

رابطة الجامعات الإسلامية

سلسلة فكر المواجهة
مواجهة الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين

(٣)

الإسلام ..وتطوير الخطاب الديني

أعمال ندوة عقدت بجامعة قناة السويس
في العام الجامعي ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

رئيس التحرير
أ.د/ جعفر عبد السلام
الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

دار البيان



للطباعة
والنشر
والتوزيع

٤ عمارات الجبل الأخضر
بجوار نادى السكة الحديد
ووزارة المالية الجديدة
مدينة نصر
تليفاكس: ٤٨٢٢٤٨٧
تليفون: ٤٨٣٤٣٢٧

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١٤٣٧٦

ترقيم دولى: 977-335-090-8

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تصدير
للأستاذ الدكتور
جعفر عبد السلام
الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

كانت أحداث سبتمبر ٢٠٠١م التي أودت بمركز التجارة العالمي في نيويورك، وضربت مبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) زلزالا عالميًا أثر على الكثير من الأوضاع ليس في الولايات المتحدة فقط، بل في سائر أنحاء العالم، وكان نصيب الإسلام والمسلمين من نتائج هذه الأحداث الكثير بفعل اللوبي الصهيوني المعادي للإسلام، والمسيطر على مراكز اتخاذ القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذا على وسائل الإعلام التي راحت تشن هجمات ضارية على الإسلام، و المسلمين وتتهمهم بالإرهاب ومعاداة الحضارة الغربية؛ بل استدعت أوراق وكتابات قديمة وحاضرة تصف العلاقة بين الإسلام والغرب بأنها علاقة عداء؛ وأن المسلمين يرغبون في تقويض الحضارة الغربية والقضاء عليها، إلى غير ذلك من الاتهامات التي نسمعها ليل نهار منذ هذه الأحداث وحتى الآن.

ولقد فكرت رابطة الجامعات الإسلامية في المواجهة العلمية لكل ما يثار ضد الإسلام والمسلمين من اتهامات، وتعاونت مع رابطة العالم الإسلامي في الزيارات التي أعدتها للدول الأوروبية للحوار مع الأجهزة والمؤسسات الشعبية والحكومية وكذا الجامعات وأجهزة الرأى العام في هذه الدول، وكذا أقامت العديد من الندوات والمؤتمرات التي اهتمت بهذه المشكلات وقامت بالرد عليها.

ولما كان الكتاب من أهم وسائل التعليم والفكر والثقافة؛ فإن الرابطة تتوج جهدها بإصدار مجموعة من الكتب تحت عنوان «فكر المواجهة» تتضمن بعضها الندوات التي قامت بها في مصر وفي غير مصر، ويتضمن البعض الآخر إصدارات علمية لكبار العلماء والخبراء فى رابطة الجامعات الإسلامية، ذات شأن في إظهار طبيعة الإسلام وعلاقته بالآخر وموقفه من الإرهاب وصراع الحضارات، وغير ذلك من الأفكار المثارة اليوم.

والإصدار الذي أقدمه اليوم هو الإصدار الثالث والذي يوضح خطة الرابطة في المواجهة، وأهم ما قامت به وستقوم به إن شاء في مواجهة ما يثار ضد الإسلام والمسلمين من حملات.

والله الهادي إلى سواء السبيل

كلمة

معالي الأستاذ الدكتور

عبد الله بن عبد المحسن التركي

رئيس رابطة الجامعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أيها الإخوة الأفاضل:

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإنه يطيب لى أن أحيى هذه الندوة والمشاركين فيها، شاكراً جامعة قناة السويس على تنظيمها، مقدراً تعاونها مع رابطة الجامعات الإسلامية، فى مجالات البحث العلمى، والتأصيل للعمل الإسلامى الرشيد، حيث تعتبر هذه الندوة شاهداً على التعاون فى مجال الخير: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

إن الخطاب الإسلامى يتميز بالتجدد فى إطار أسس العقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة، وترتبط مضامينه بحاجات المسلمين وفق أولوياتها، وتتصل مقاصده لمعالجة التحديات التى تواجهها الأمة، وليس بخاف أثر المعركة الثقافية التى تديرها ضد الإسلام والمسلمين مؤسسات معادية، يقف وراء حملاتها فكر مضاد يستهدف كيان الأمة، بشن الغارة على أسسها وقيمها ومبادئها

ومناهجـها، وينسب إلى دينهـا تهمًـا باطلة، صاغ منـها هو مقـولات الإرهاب الإسلامـى، والتخلف الإسـلامى وغيـرها من المقولات البـاطلة، وهدفه إيـجاد فاصل من التمييز والكراهية بين أمة الإسلام والأمم الأخرى.

أيها الإخوة:

لا بد ونحن نجتهـد فى صياغة الخطاب الإسلامى المعـاصر أن نحدد خطورة الهجـمة الغـربية الشـرسة على دين الله الخـاتم، وعلى البلدان الإسلامـية، وفى مقـدمتهـا المملكة العربيـة السعودية وجـمهورية مـصر العربـية، ولن تظل هذه الخطورة محـصورة فى بلدانـنـا، بل سوف تشمل المجـتمـعات الإنسـانية، وأمن الناس، حيث إنها تسعى بشكل حثيث إلى:

١- دفع المجتـمعـات الإنسانيـة لاتخاذ الإسـلام عدوًا مكان الشـيوعـية، وشن الحرب الثقافية على أصوله وتشريعاته وأحكامه الإلهية.

٢- إثارة النعرات الصليبية لدى الشعوب الغربية والحث على ما أسموه انتصار الغرب على الإسلام.

٣- حشد وسائل الإعلام لشن حرب الكراهية والتمييز العنصرى ضد المسلمين.

٤- تأليب العالم على أمة الإسـلام، وحشد القوى الثقافيـة العالمية للصراع مع الإسلام، إنفاذًا لنظرية صدام الحضارات.

إن الحملة الشرسـة التى تشن اليوم على أمة الإسلام ثـلاثية الأهداف، ويبدو ذلك واضحًا فى :

أولا: السـعى الحثـيث لفـصل الأمـة عن دينهـا، ومنعهـا من الاحـتكام إلى

شـريعتـها، مـن خلال الحـملة على مـبادئ الإسـلام، وتطبيـق أحكام الشريعـة وحدودها، والنيل من التـعليم الديني ومدارسه، والقـدح في مناهج التعليم في العالم الإسـلامي: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفـواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

ثانيًا: شق صف الأمة، وبث الصراع بين صفوفها، من خلال تقوية التيارات المعادية للدين ورسـالة الله، بغية إضعـاف الأمة وإدخالها فـي دوامات الخلاف ودوائره، وصرف المسلـمين عن تحقـيق المقاصـد العالمية للإسـلام: ﴿وما نقـموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾.

ثالثًــا: تغييـر هوية الأمة المسلمة وتزوير ملامـحها من خلال التأثيـر عليها للأخـذ بمناهج تيارات الـعولمة وثقـافتـهـا البديلة، وهي ثـقافـة تحارب المبـادئ والتعاليم التي نزلت بها كتب اللـه ودعت إليها رسله، في خضوع الناس لربهم وعبادتهم له دون سواه. ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

وإن مضامين الخطاب الإسلامي في كل عصر يجب أن تربط المسلمين بكتاب الله العظيم، وسنة نبيه ﷺ: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.

وفي إطار العـالمية التـي يتصف بهـا الإسلام يتـوجب على الخطاب الإسـلامي المعـاصر أن يراعي الأولويـات المشتـركة للبـشـرية، والحاجـات الإنسـانية الملحـة، والقضـايا المثارة، وفي مـقدمـتهـا قضايا الأمـن والسلام العالمـي والمسائل المتعـلقة بالعلاقات الدولية، وحماية الإنسان وضمان حقوقه، واشتراك المجتمعات الإنسانية في مـحـاربة شرور العـصـر وأمـراضه وظواهـره الشاذة، وحل مـشكلات الجـوع

والمرض فى العالم، ومعالجة ظاهرة التطرف والعنف والإرهاب التى صارت اليوم ظاهرة عالمية، لا تنتمى إلى جنس محدد، ولا ترتبط بدين أو ثقافة معينة.

أيها الإخوة:

لقد عالج الإسلام هذه القضايا: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾، ولا بد أن يتضمن الخطاب الإسلامى المعاصر رؤية الإسلام ووسائله فى علاج هذه المشكلات، وبالأمس القريب قدم المجمع الفقهى الإسلامى فى رابطة العالم الإسلامى فى خطاب واضح للعالم تفسيرًا إسلاميًا لظاهرة الإرهاب العالمية. وتعريفًا به، وبيانًا للعلاج الإسلامى له، وينبغى على الأمة المسلمة أن تسعى إلى تقديم العلاج الإسلامى لمشكلات العصر فى خطاب جماعى عاقل، تشارك فى صياغته الجامعات والمجامع والهيئات الإسلامية ومراكز البحث والمؤسسات الإسلامية، تقودها فى كل ذلك قيادة إسلامية رشيدة، تؤمن بوسطية الإسلام، وتعى مقاصده العالمية، بالإضافة إلى وعى مصالح الأمة.

أما وسيلة الخطاب الإسلامى الذى نريده للأمة فى هذا العصر فهى العرض الحسن : ﴿وقولوا للناس حسنًا﴾ وتجنب الجدال الضار:﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾ والبعد عن الفحش والسباب فى أساليب الخطاب : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾.

إن الجامعات الإسلامية بما فيها من علماء وخبراء هى من أقدر المؤسسات على معالجة قضايا الأمة، ومعالجة آثار الحملات الثقافية والإعلامية على

الإسلام من خلال منهج حكيم، وخطاب معاصر، وهذا يقتضى زيادة التعاون والتنسيق بين مسئوليها، مما يستدعى وضع برنامج عملى محكم للتعاون بين الجامعات ومؤسسات الدعوة، والمجامع الفقهية، ومراكز البحث، والمؤسسات المهتمة بحضارة الإسلام، ولا بد لى أن أدعو من على هذا المنبر فى مصر العربية أساتذة الجامعات وعلماء الأمة ومثقفيها، وقادة المؤسسات الإسلامية الدعوية، للتعاون على إيجاد صيغة شاملة لخطاب إسلامى، يعين فى تبليغ دين الله على الوجه الصحيح: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

أيها الإخوة:

ما أجمل أن تتكامل الجهود فى إطار من التنسيق، ومن خلال صيغة لعمل جماعى مشترك، يؤصل قواعد مناسبة، يقوم عليها خطاب الأمة لمواجهة الظروف ومعالجة مشكلات العصر الذى أوشكت فيه تيارات العولمة الثقافية والاجتماعية أن تحاصر المجتمعات الإنسانية، وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذا التعاون فى ميادين الاجتهاد وميادين الدعوة إلى الله، واجتثاث عوامل الخلاف والاختلاف، من خلال منهاج رشيد، وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾.

وإن رابطة العالم الإسلامى، كبرى المنظمات الإسلامية الشعبية، ورابطة الجامعات الإسلامية، التى تضم مؤسسات العلم فى العالم الإسلامى، إن الرابطتين على أتم الاستعداد للتعاون والتنسيق مع أى جهد مخلص، يريد لأمة الإسلام العز والتقدم، وللإنسانية الخير والرفاهية.

ويسعدنى أن أقدم للقراء هذه الندوة المهمة التي نظمتها رابطة الجامعات الإسلامية بالإشتراك مع جامعة قناة السويس، وقد تضمنت مجموعة من الدراسات والبحوث التى تفيد فى مواجهة الحمة ضدد الإسلام والمسلمين وأرجو الله أن يحقق الاستفادة الكاملة منها.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

***

لماذا الدعوة إلى خطاب إسلامى معاصر؟

أ.د/ جعفر عبد السلام (*)

تمهيد:

(١) قضية إعادة النظر فى الخطاب الإسلامى المعاصر إحدى القضايا الهامة التى تشغل أمتنا فى الوقت الحاضر. والواقع أن القضية تشغل عقل المفكرين المسلمين منذ الصحوة التى انبعثت فيهم فى أواخر القرن الماضى. والصحوة أتت من مناظرة واقع المسلمين ومقارنتهم بباقى شعوب العالم الذين يعيشون فيه. وكان لثورة الاتصالات والمواصلات وارتباط العالم بشبكة قوية وسريعة أثرها البالغ فى هذه الصحوة، إذ يرى ويسمع عبر أجهزة التلفاز ما يجرى ويحدث فى أماكن دانية وقاصية.

لقد أحس المسلمون أنه رغم تزايد أعدادهم إلا أنهم لا يتحركون ولا يسايرون العصر، فهم فى واد، والعالم الآخر فى واد، رغم كثرة عددهم، ورغم تملكهم للكثير من أسباب التقدم، وتأتى على رأسها العلم الدينى ومرجعيته المحفوظة الباقية، وهى القرآن والسنة، ثم مصادر الطاقة والمياه والموارد الأولية، وكذا الثروة البشرية.

(٢) ولا أدل على الحاجة الماسة للتغيير من أن المؤتمرات والندوات والدراسات التى أظهرت ضرورة التغيير فى الأعوام القليلة الماضية، كانت كثيرة. أبدأ بتلك السلسلة من الدراسات التى قامت بها رابطة الجامعات الإسلامية فى أواخر القرن الماضى، والتى تلمست المخاطر والتحديات والمشكلات التى تواجه الأمة، وأعطت رؤية فى طريقة معالجتها فى المؤتمر العام للرابطة الذى عقد فى الأردن عام ١٩٩٩ وصدر عنه إعلان عمان. ثم أذكر ثلاثة مؤتمرات للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية كلها دارت حول وضع مشروع لنهضة العالم الإسلامى فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، وكان آخرها فى عام ٢٠٠١م عن ضرورة تجديد الفكر الإسلامى.

(*)(الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية) .

كما عقدت مؤتمرات فى جامعة اليرموك بالأردن وأغادير بالمغرب، حول نفس العنوان. وانطلقت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد حمّلت على المسلمين، ورأى العالم الإسلامى نفسه محاصراً بقوى الغرب تتهمه بمعاداة الحضارة الغربية، وبحقده الدفين ضدها، وبالتطلع للقضاء عليها.

(٣) وانتهزت الصهيونية الفرصة للزج بالمسلمين أكثر فى أتون هذه النيران المشتعلة وانطلقت أصواتها عبر الأثير - التى تملك ناصيته - يندد بالإسلام والمسلمين، ويعتبر دينهم ضد الحضاره، بل من الغريب فى هذه الحملة الإعلامية والصحفية الربط الكامل بين الإسلام والإرهاب. وطالعتنا الصحف الغربية بعناوين تدل على الأزمة التى أصبحت فيها، ولعل عناوين مثل : «المسلمون قادمون»، «انتبه أيها الغرب إلى خطورة القنبلة الإسلامية»، «التخلف ينطلق ليدمر العالم المتقدم» ، ترينا المدى الذى أصبحت فيه هذه الحملة تنال الإسلام والمسلمين.

(٤) ولم يكن الخطاب الإسلامى قبل أحداث سبتمبر أو بعدها على المستوى المطلوب. نعم كان الصوت الإسلامى ضعيفا فى مواجهة الحملة الضارية ضد الإسلام والمسلمين، ولكن تحركات عديدة من مؤسسات وهيئات إسلامية جرت، خاصة أن الحملة الضارية ضد الإسلام والمسلمين، حاصرت العديد منها وألصقت بها تهمة تمويل الإرهاب، وجمدت أموالها فى البنوك المختلفة : ولكن أين صدى هذا الصوت بين أقلام أظهرت تعصبها الدفين وراحت تكيل التهم بدون دليل للمسلمين؟

(٥) للأسف أظهرت المحنة قصوراً واضحًا فى الخطاب الإعلامى الإسلامى بشكل عام، هذا القصور يمس أساسًا الرسالة الإعلامية الإسلامية، فليس هناك إستراتيجية معدة لها، ولا اتفاق بين الدول على الخطوط الأساسية التى يجب أن تتضمنها الرسالة الإعلامية للعالم الإسلامى، خاصة فى وقت الأزمة. وتبين

أن أجهزة الاتصال والإعلام الموجودة بيد الدول الإسلامية قاصرة، ولا تقدم ما يمكن أن يسهم فى علاج الأزمة فضلاً عن مواجهتها. من هنا كانت الدعوة إلى تجديد الخطاب الإسلامى من قبل العديد من القادة والحكام، ومن هنا كان تفكير رابطة الجامعات لتنظيم هذه الندوة.

إننا نحتاج بداية أن نحدد مظاهر الأزمة فى الخطاب الإسلامى المعاصر، وهذا ما خصص له القسم الأول من هذه الدراسة. أما القسم الثانى فسوف نتناول فيه الخطوط الأساسية التى يجب أن يشملها الخطاب الإسلامى المعاصر.

***

القسم الأول
مظاهر الأزمة فى الخطاب الإسلامى المعاصر

أولا: خطبة الجمعة داخل ديار الإسلام:

(٦) لا بد من الاعتراف بقدر من الأخطاء فى خطابنا الإسلامى المعاصر، وأعنى بهذا الخطاب كافة صور التعبير التى تنطلق من أجهزة الخطاب فى بلادنا الإسلامية أى الكلام والكتابة والإشارة والإذاعات المرئية والمسموعة.

وأفضل تعبير عن الكلام فى الخطاب الإسلامى المعاصر هو خطبة الجمعة ومختلف الدروس والعظات التى تعطى فى مساجدنا ومراكزنا الثقافية والإعلامية المختلفة فى كثير من الدول الإسلامية.

(٧) والواقع أن الخطابة فى داخل دولنا وخارجها ليست على المستوى المطلوب، سواء قبل وقوع أزمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أو بعدها. حقيقة، جعلتنا الأزمة نراجع أنفسنا، لكن الحاجة إلى هذه المراجعة بدأت منذ وقت طويل وتنادى لها المفكرون المخلصون. ونلاحظ أنه ليست كل المساجد تتبع الدولة، لذا فكثير منها يقف على منابرها من لا يستطيعون التعبير عن عقول الجماهير أو مخاطبتها بمضمون الرسالة الإسلامية التى يحتاج إليها الناس.

وللأسف لدينا نسبة أمية مرتفعة فى بلادنا الإسلامية لا تقل فى مصر عن ٥٠٪، وتقل عن ذلك فى بعض أقطارنا الإسلامية، وتزيد قليلاً فى أقطار أخرى. على أن الأمية بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة ليست هى المشكلة الوحيدة فى بلادنا، بلا هناك أمية ثقافية وفكرية تزيد عن ذلك بكثير.

ويعتبر المسجد وخطبة الجمعة بالذات وسيلة التثقيف والتعليم الدينى الأساسية للأميين بمختلف فئاتهم، لذا فإن تأثير المسجد والخطيب عليهم يعد تأثيراً كبيراً.

ولعل هذا يتطلب أن يكون الخطاب الإسلامى الصادر منه قويًا، ومهمًا، ومتنوعًا فى نفس الوقت، بعبارة أخرى تحتاج خطبة الجمعة أن تكون كمحطات الإذاعة، يلتقط كل منبر منها أخبار الجهات الأخرى ويذيعها فى صيغة الخطاب إلى الروح والعقل والقلب، فتكون خطبة الجمعة هى الكلمة الأسبوعية فى سياسة الأسبوع أو مسألة الأسبوع، وبهذا لا يجىء الكلام على المنابر إلا حيًا بحياة الوقت، فيصبح الخطيب ينتظره الناس فى كل جمعة انتظار الشىء الجديد، ومن ثم يستطيع المنبر أن يكون بينه وبين الحياة عمل. وللأسف فإن معظم الخطب أصبحت محفوظة معروفة ولا ترتبط بالمناسبات، لذا لا يكاد أثرها يظهر فى أولها حتى يزول فى نهايتها، إنها أصبحت ـ على حد قول البعض ـ كالقراءة لإقامة الصلاة، بعد أن كانت فى بداية عصر الإسلام درسًا لإقامة شأن من شئون الاجتماع والأسرة والسياسة، ومما يلاحظ على خطبة الجمعة فى بلادنا بشكل عام إلى جانب ذلك:

أ- أنها تميل إلى التشديد على الناس بشكل عام، وتقوم على الوعيد وتذكرة الناس بما ينتظرهم من عذاب فى القبر ثم فى الآخرة، وهى على ذلك تبتعد عن التيسير على الناس، ولا تذكر بما فى الجنة من خير للناس، ومباهج وصفت فى القرآن الكريم وفى السنة الشريفة.

ب- أنها تعتمد فى الترهيب على أحاديث ضعيفة وروايات وإسرائيليات لا يمكن أن يقبلها العقل، ولا تستقيم مع المنطق، وللأسف فإن الكثير من الخطباء يحاولون إرضاء العامة بكافة الطرق، ويستخدمون الأساليب البلاغية فى التعبير حتى يحصلوا على تعاطف مستمعيهم.

جـ- أنه مما يؤسف له ضعف مستوى الخطباء فى اللغة العربية، وعدم حفظهم للقرآن الكريم ولا لسنة النبى ﷺ حفظًا جيداً.

ء - تناول الخطباء لموضوعات جانبية فى العادة لا تتصل بأحداث الحياة، وبمشكلات المسلمين المعاصرة. إن الذى يستمع إلى خطب الجمع فى الغالب، يشعر أنه فى عصر آخر، وفى مكان مختلف.

هـ- إن الخطاب لا يرتبط ـ وهو الأهم ـ بسلوكيات موافقة له ، بل غالبًا ما يتناقض مع السلوك ، مما يوقع الناس فى حيرة، وخصة غير المسلمين الذين يلاحظون التناقض البين بين القول والعمل، والله ـ سبحانه وتعالى ـ ينبهنا إلى هذا التناقض في قوله ـ تعالى ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ , ٣].

ثانيًا: خطبة الجمعة فى الدول غير الإسلامية:

(٨) وإذا انتقلنا إلى الدول غير الإسلامية فى أوروبا وأمريكا وآسيا نجد أن فئات المهاجرين فى الغالب غير متعلمة نزحت إليها لتعمير ما خربته الحربان العالميتان، وما لبثت أن استقرت هناك لأسباب عديدة، ولقد استمعت بنفسى إلى خطب الجمعة هناك، وهى فى أغلبها تثير الاستياء وتبعث على الحيرة؛ فهناك من يهاجم المجتمعات التى يعيش فيها ويتهمها بالكفر والزندقة، وبعضها يذكر بجرائم الاستعمار وينبه المسلمين إلى عدم الاطمئنان إلى الأوروبيين أعداء الإسلام، بل هناك من يدعو عليهم ويسأل الله أن يرمل نساءهم وييتم أطفالهم !! وفوق هذا وذاك تشعر بضعف الداعية وعدم معرفته بالقرآن أو الأحاديث، وتصوره الذهنى الراجع إلى عدم إعداده الإعداد الدينى السليم. والأكثر من ذلك، مهاجمة المسلمين بعضهم لبعض وانقسامهم بين شيعة وسنة، وسلفيين ومعتدلة، وكأنما بعثت كل الخلافات التى حدثت فى التاريخ الإسلامى بين مختلف الفرق والجماعات الإسلامية لتحل فى حياتنا المعاصرة التى تحتاج إلى جمع الشمل والتآلف بين كل المسلمين ونسيان الخلافات التى نجاهم الله منها.

وهى فى الجملة تدل على عدم اهتمام الدول الإسلامية برعاياها وبدينها وتركها الأمور فى الغالب لمن لا يحسن استعمالها، بل أوجد ذلك ظاهرة ـ تفشت فى أوروبا بين الذين دخلوا الإسلام من أهل البلاد ـ هى دعوتهم إلى إيجاد إسلام أوروبى أو إيطالى أو فرنسى ليتخلصوا من هذه الخلافات.

الداعية :

(٩)من خصائص الإسلام أنه جاء خاتمًا للرسالات، فالنبى ﷺ آخر الأنبياء وخاتم المرسلين، لذلك فإن دعوة الإسلام هى الدعوة المنوط بها هداية بنى آدم إلى آخر عمر البشرية.

وإذا كان نبينا قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ـ بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة التى كلف بها من رب العالمين عملاً بتوجيهه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] قوله عزّ وجلّ : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربكَ﴾[المائدة :٦٧] ـ فإنه بات واجبًا على المسلمين من بعده تكملة هذه الرسالة، ودعوة الناس إلى دين الله؛ لتعليمه لهم ونشره بينهم، مصداقًا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والسبيل الأساسى إلى هذه الدعوة بينه القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥].

وبالطبع فإن الدعوة لا تتم بدون داعية مؤهل لهذا الغرض، يقوم بواجبات الدعوة الإسلامية على الوجه الأكمل ، وكلما كان الداعية مؤهلاً ومسلحًا بأسلحة العلم كلما كان النجاح حليفه وزاد عدد المدعويين والمتقبلين لتلك الدعوة.

وإذا أردنا إيجاد خطاب دينى على أساس منهجى فإن علينا إعداد الداعية بما يتناسب مع مقتضيات هذا العصر، ولذلك لا بد لنا من الوقوف على مواطن القصور فى إعداد الدعاة ومعالجة هذه المواطن بما يتاح لنا من وسائل وآليات.

ولا بد فيمن يتصدى بواجب الدعوة الإسلامية أن تتوفر فيه بعض الشروط التى بدونها يكون الداعى على غير هدى وبصيرة فى دعواه.

ففضلاً عن إلمامه بعلوم القرآن والسنة وتاريخهما يجب أن تتوافر فيه بعض الشروط منها:

سعة المعرفة:

(١٠) فلا بد للداعى أن يكون ملمًا بأبجديات العلوم الإنسانية آخذًا منها ولو بطرف، فذلك أدعى لأن يكون ناجحًا فى دعوته، وليستطيع مخاطبة كل الفئات والعقليات المختلفة، ولنا فى أئمة السلف الأسوة الحسنة، فالإمام السيوطى ـ رحمه الله ـ صنف فى كثير من العلوم كالتفسير، والفقه، والحديث، والتاريخ، والنحو، والصرف، والبلاغة،.. إلى آخر هذه العلوم، وفى ذلك عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

مراعاة مقتضى الحال:

(١١) وعلى الداعى أن يراعى مقتضى الحال فى دعوته فإن لكل مقام مقالاً، فعليه أن يتخير الموضوعات ويتحين الأوقات فى تبليغ دعوته وإلا كان ذلك سببًا فى نفور المدعوين وانصرافهم عنه.

الإلمام بفقه الأولويات:

(١٢) فالأولويات والثانويات، لا ينبغى الخلط بينها، فهناك أشياء ثابتة ومعلومة من الدين بالضرورة وهناك أركان يقوم عليها هذا الدين، كما أن هناك جزئيات لا ينبغى أن تأخذ أكبر من قدرها، ولعل هذه الآفة قد استشرت فى الأوساط الدينية فى أرجاء العالم الإسلامى، لذا وجب أن يدرس فقه الأولويات لكل من يتصدى لواجب الدعوة الإسلامية، حتى يكون على بينة من الأمر.

ثالثًا: الكتاب الإسلامى:

(١٣) وإذا انتقلنا إلى الكتاب الإسلامى فإننا نجده يتراوح بين العمق الشديد والتبسيط المخل، والاهتمام فى الغالب بموضوعات أهملها التاريخ، وانتهى عصرها.

والكتب التى توجه للبسطاء والأميين ضعيفه وتهتم بموضوعات هامشية وغير أساسية فى الدين، كالحجاب واللحى، واللباس، والسحر، والجن، وتردد فى العادة أحاديث ضعيفة وضع أغلبها للترهيب من المعاص، وغالبًا لا تهتم

بقضايا المسلمين الحقيقية، وتسود فيها فى الغالب لغة متشددة، وتخلو من التسامح الذى يعد جوهر الدين الإسلامى.

كما نلاحظ أنا ما يدرس فى كتب الفقه الآنه يساير الكتب القديمة وينقل منها دون تصرف فى الغالب وأحيانًا بتصرف، بل ألاحظ أن الأمثلة تتحدث حتى الآن عن «العبد الآبق»، وتعتبر الموسيقى مزامير الشيطان وصوت المرأة من قبيل العورات. ولا زالت أبواب الرق موجودة فى الكتب التى تدرس فى بعض جامعاتنا، وبالمقابل تخلو هذه الكتب من معالجة أحكام المصارف (البنوك) والبيوع المعاصرة ، كالتجارة الإلكترونية، واستخدام الفاكسات والتلكسات وسائر المراسلات الإلكترونية فى التعامل، بما يحتاج إلى طفرة فى تفسير النصوص، وفى علاج مشكلات الواقع الذى يعيشه المسلمون فى الداخل والخارج الآن، تأتى هذه الطفرة لعلاج الفراغ التشريعى الذى نتج عن إقفال باب الاجتهاد والاعتماد على كتابات وعقول وقفت عند القرن الرابع الهجرى.

ولعل نقص الخطاب هنا هو الذى ساعد الاستعمار على التأثير على القوانين التى كانت تحكم ديار الإسلام وإزالتها بالتدريج بل استبدالها بقوانين وأنظمة غربية أحدثت شرخًا واسعًا فى الحياة الثقافية والفكرية والقانونية للمسلمين.

خامساً: الخطاب الإعلامى:

(١٤) وإذا انتقلنا إلى الخطاب الإعلامى، فإن الطامة أكبر، فهوخطاب حائر لا مرجعية له، يتنكر لأهله ويخاطبهم بما لا يحبون، إنه خطاب متغرب يستعين بلغة الغرب فى التعبير عن مجتمع شرقى إسلامى، كذا فهو غير مقنع ومرفوض فى أغلب الناس، بل لعله مسئول عن كثير من الانزلاق فى السلوك، والانحدار عن القيم التى يعرفها الإسلام. وهو يستعين ببعض العلماء ـ ذرًا للرماد فى العيون ـ يجلسهم على كراسى ويصورهم يتحدثون بشكل منفرد إذ لا يستخدم معهم أى فن من فنون الحركة أو التأثير، مما يجعل معظم الناس تغلق مفاتيح التليفزيون أو يحولونها إلى البرامج التى تفوق البرامج الغربية فى الإباحية والتحلل من كل القيم والأخلاق.

والغريب فى أجهزة الإعلام، والتليفزيون على وجه الخصوص أنهم يبثون برامج أجنبية أمريكية فى الغالب تؤكد التغريب وتنخر فى نخاع الأمة، وتشيع فى الشباب والأطفال نزوعًا إلى الشر، وإلى التحلل. وتمثل الأفلام الأمريكية قمة فى هذا المجال. ولا تقل الدراما السينمائية أو التليفزيونية العربية عن الأجنبية فى هذا المجال، وقلما تعبر عن الفكر الإسلامى الرشيد.

(١٥) والواقع أن الثقافة الإسلامية والمنابع التى تستقى منها الحضارة الإسلامية مليئة بالأفكار والمثل والقصص والشخصيات التى يمكن أن تكون مادة خصبة للدراما، ولكن الأشخاص الذين يضطلعون بمسئوليات فى هذا المجال، للأسف لا يعلمون عن ذلك شيئًا، ويسعون إلى إظهار العورات لكى يداعبوا الغرائز والنزوات والشهوات متبعين سنن ورذائل الغرب سهمًا بسهم وقيراطًا بقيراط.

ومن الخطايا التى ترتبط بإعلامنا فى جملته أنه يميل إلى اللهو ولا ينتج معلومات ثقافية إلا فى القليل النادر، وهكذا يُذهب ساعات طويلة من عمر معظم الأطفال والشباب والكبار دون فائدة، فلا توازن فيه بين المعرفة والثقافة وبين اللهو وبين الخبر. ورغم وجود محطات غربية عديدة تخصصت فى متابعة ما يجرى على الأرض من أحداث وإذاعته فوراً مع تقديم تحليلات له، إلا أنه فى محيط العالم الإسلامى لا نجد إلا قناة فضائية واحدة قد اختطت هذه الخطة، وتتعرض لهجوم كبير، بسبب التوجه الجرىء الذى تعالج به القضايا، والخروج على خط سائر الإذاعات المرئية والمسموعة فى بلادنا، وهو تتبع الرئيس والحديث عن أفكاره وأفعاله وتوجيهاته.

ومما يؤسف له أن نجد الخطاب الإسلامى الإعلامى فى بلادنا مرتعش الخطوات مكبلاً نفسه بقيود صعبة، كمن يخشى أن يسير فى الطريق خوفًا من أن تداهمه السيارات، تماما كالموقف من ممارسة الشورى أو الديمقراطية فى بلادنا بشكل عام.

وأسوأ ما فى الخطاب الإسلامى لعالمنا الإسلامى مجتمعًا هو افتقاد أى

استراتيجية أو سياسة ثابتة للتعبير عن خطاب أو رسالة بتعبير رجال الإعلام، فلا توجد خطوط عامة لهذه الرسالة، وتفتقد فى إعلام الدول الإسلامية هذه الخطط، فالتشرذم والاختلاف هو الغالب على حياتنا وحتى الآن لم نستطع أن نقيم أى شكل من أشكال التكتل أو التعاون الفعال فى المجالات السياسية والاقتصادية على الخصوص، لذلك من الطبيعى أن يتراخى وضع الإستراتيجية الإعلامية أو الثقافية للعالم الإسلامى.

(١٦) ونأتى إلى الخطاب الإسلامى المتصل بالمرأة. والواقع أن حال خطابنا عن المرأة محير، فنحن نسمع ونقرأ كتابات بعضها للأسف لأستاذة جامعية تقول إن المرأة هى «مركوب الرجل» وهى شيطانة وأكثر أهل النار منها، إلى غير هذه التعبيرات، وهى تعبيرات شاعت ولا زالت تشيع فى بلادنا. وكذلك ربما سمعنا جميعًا الخروجات الثلاثة التى يسمح بها للمرأة طوال عمرها، خروجها من بطن أمها وإلى بيت زوجها وإلى القبر!!.

أين هذا الخطاب مما نراه الآن فى خطابنا الإعلامى عن المرأة والصورة التى تصور بها. خروج وسفور وتهتك وتصويرها كما لو كانت سلعة للبيع، بل إنها تستخدم بشكل كبير للإعلان عن السلع حيث تستغل عوراتها وخنوعها لجذب المشاهدين إلى شراء السلع.

تناقض فج، لكن كله يتصل بالمرأة، وكله يدل على عدم إعطائها قدرها الصحيح فى حياتنا. إن التمييز ضد المرأة لا زال ساريًا فى حياتنا وفى قوانيننا، فهى لا تعطى جنسيتها لأولادها بما ينتج عن ذلك من توارث حالة كون الزوج أجنبيًا يتركها لمصيرها بعد الزواج دون اهتمام، كما أننا لم نعالج حتى الآن بشكل جدى كيف يمكن الإنفاق على المرأة إذا طلقها زوجها ولم يكن لها من يمكنه الإنفاق عليها.

وفى المقابل وعلى العكس تسمح بخروج المرأة وترك منزلها لأعمال غير مفيدة للمجتمع مما يوثر على الأسرة ويخلق فيها أنماطا من العادات والأعراف والأفكار التى لم تكن فى حياتنا من قبل، وتزلزل ما عشنا عليه من قبل بشكل كبير.

القسم الثانى
الخطوط الأساسية لتطوير الخطاب الإسلامى المعاصر

التحديات التى تواجه الأمة فى الوقت الحاضر:

(١٧) من مجموعة الدراسات المهمة التى قامت بها رابطة الجامعات فى الفترة من عام ١٩٩٥ - تاريخ نقل الرابطة إلى مصر - وحتى نهاية عام ١٩٩٩ للتحديات التى تواجه الأمة فى القرن المقبل أظهرت أن أهم هذه التحديات هى تحدى الوحدة، وتحدى التخلف، وتحدى العولمة، وتحدى التعايش مع النظام الدولى الجديد.

وقد وضعت الرابطة مقترحات الجامعات الأعضاء للتغلب على هذه التحديات.

فبالنسبة لتحدى الوحدة اتجهت الجامعات إلى أن العالم الذى نعيش فيه هو عالم الوحدات الكبرى وهو يتجه نحو الوحدة والتكتل خاصة فى المجال الاقتصادى، لذا لا مناص للدول الإسلامية إذا أرادت أن يكون لها وزن فى المجتمع الدولى، من أن تترجم ما بينها من عناصر الوحدة وهناك إجماع على أنها لا تتوافر لأية مجموعة أخرى الآن إلى أشكال قانونية حديثة.

وهناك اتفاق على أن الوحدة السياسية غير ممكنة فى السنوات المقبلة، لكنها ليست صعبة فى القرن المقبل على أن تتخذ خطوات من الآن فى سبيل هذا الاتجاه.

وقد أظهرت الدراسات المقدمة، على أن خطوات الوحدة يجب أن تبدأ بتكتلات اقتصادية على مستوى تجمعات متجانسة من هذه الدول، لتنتهى إلى إنشاء سوق إسلامية مشتركة، أو دولة اقتصادية موحدة على النحو الذى تحقق فى أوروبا.

(١٨) كما أظهرت الدرسات أنه يجب أن يواكب المد الاقتصادى الوحدوى، مد وحدوى آخر فى مجال التشريعات، ويجب الاستفادة من مجهودات توحيد التشريعات التى تمت فى نطاق جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى.

وقد آن الأوان لدعم عوامل الوحدة الأخرى المتوافرة بين الشعوب الإسلامية، خاصة فى المجال الحضارى والثقافى. إن تراث الإسلام الفكرى يجب بعثه، كما يجب أن يترجم فى الأعمال العلمية والفكرية والفقهية بين كافة الشعوب الإسلامية. ويجب أن ننهل من منابع الفكر الإسلامى الواسعة ما يساعدنا على الحياة فى ظل أسس موحدة ومشتركة، وإذا كانت تداعيات العولمة توشك أن تسيطر علينا خاصة فى المجال الحضارى والثقافى، لذا فإن الدفاع الرئيسى عن الذات يتم بإبراز السمات المميزة للمسلمين والتى تنبع من تراثنا الفكرى، النابع أساسًا من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعمل سلفنا الصالح ومسيرة الإسلام والآداب والأخلاق المشاعة فيه خلال أربعة عشر قرنًا من الزمان.

ومن المقترحات الرئيسية فى هذا الصدد:

(١٩) أن توضع دراسات فى برامج الدراسة فى مختلف الكليات تؤكد على أسس الوحدة بين المسلمين وكيفية القضاء على معوقاتها، وكيف يمكن الوصول إليها.

(٢٠)ومن السهل أن تتضمن برامج دراسات التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع، والتربية واللغة العربية، والاقتصاد والعلاقات الدولية وعلم السياسة والقانون الدرامى والآثار والفندقة مثل هذه الأسس.

(٢٢) ويجب أن تتعاون المنظمات الدولية الإسلامية وعلى رأسها منظمة المؤتمر الإسلامى، والإسيسكو، واتحاد جامعات العالم الإسلامى ورابطة الجامعات الإسلامية فى تأليف مناهج جديدة تتضمن هذه الاتجاهات.

(٢٣) ويمكن أن يكون التأليف عن طريق مسابقات تعلن عنها هذه الجهات، أو إحداها، على أن يتم التنسيق بينها فى هذا الصدد.

ولا شك أن أدوات التعبير عن الرأى ووسائل الإعلام لها دورها الهام فى هذا الشأن، ويقترح التقرير توحيد أسس الرسالة الإعلامية ومساهمة كل الوسائط الإعلامية المنتشرة فى العالم الإسلامى- محطات أرضية أو فضائية - فى تكوين هذه الرسالة وبسط وسائل تحقيق الوحدة والتكامل والتعاون بين الشعوب والدول الإسلامية ولا شك أن أفكار الوحدة تأتى على رأس الرسالة الإعلامية الإسلامية.

لذا فإن مضمون الخطاب الإعلامى لمختلف الدول الإسلامية يجب أن يترجم هذه العوامل حتى لا يكون الخطاب الإعلامى الدينى أو السياسى فى واد وضرورات الحياة للمسلمين ومتطلباتهم فى واد آخر.

لذلك فإنى أركز هنا على برامج كليات الدعوة والإعلام التى تخرج الدعاة والإعلاميين فى بلادنا الإسلامية.

يجب أن تدرس علوم الإعلام خاصة ما يتصل بتعريف الإعلام والهدف منه والرسالة الإعلامية وعوامل التأثير والوسائط الإعلامية والعلاقة بين الوسيلة والمستمع، فضلاً عن القوانين التى تحكم العمل الإعلامى لكى يعرف الداعية المباح والممنوع والواجب فى العمل الإعلامى.

تطوير البث الإعلامى:

كذلك فإن المسئولين عن العمل الإعلامى يجب أن يوظفوا كل ما يبث لخدمة الدعوة، وقد يكون العمل الدرامى المتقن فى الموضوع وفى السيناريو وفى التعبير عن القيم الدينية بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال القدوة الحسنة، أبلغ فى التأثير من إحضار شخص يجلس على كرسى ويتحدث فى الدين (الحديث المباشر)، كما أن الدراما والمنوعات التى تبث من الإذاعات

المرئية والمسموعة ـ كما تشاهد فى أغلبها الآن. قد تنسف كل تأثير لحديث دعوى يصدر منها. إننا نحتاج إلى عقول المسلمين وأفئدتهم لكى يكتبوا موضوعات تصلح للبث تستوحى من التاريخ والعقيدة والقيم الإسلامية، والتشريع الإسلامى، كما تحتاج إلى المثل القدوة الذى يشخص ويبلور القيم ويكون سلوكه فى الحياة وبين الناس قدوة حسنة ومثالاً يحتذى.

(٢٥) وقد كشف تقرير لجنة التحديات الإعلامية المنبثقة من رابطة الجامعات الإسلامية عن القصور الواضح فى المناهج التى تدرس فى كليات الدعوة والإعلام، من ناحية تكوين الرسالة الإعلامية على وجه الخصوص، فحتى الآن لا تتفق الدول الإسلامية ولا العربية على إستراتيجية موحدة للبث الإعلامى رغم تنوع المحطات والقنوات، وملكية الدول والشركات بل والأفراد لقنوات البث، وأغلبها يتجه إلى التافه من الأعمال. ويلاحظ هنا الاختراق الإعلامى الكبير من قبل القنوات الأخرى والتى ملأت السموات فوق أقاليم الدول الإسلامية، وكلها واضحة المعالم، كلها تنفذ سياسة الهيمنة الجديدة، علو إرادة على إرادة، بهدف أن تربوا أمة على أمة. إنها نفس أهداف الحرب، فهى تستهدف أولاً وقبل كل شىء تغلب إرادة على إرادة، وقد كان السلاح يستخدم لتحقيق هذا الهدف والآن سلاح الإعلام يحققه بأقل قدر من التكاليف ودون آثار للكراهية بما يستوجب رد فعل للمقاومة.

إن الأفكار المنبثقة من أجهزة الإعلام تتدخل فى تشكيل عقول الناس وأفئدتهم دون جهد كبير، خاصة إذا كان المبثوث يخاطب الهوى والنفس الأمارة بالسوء كما ترى فى أغلب ما يقدم لنا. لقد تشبع أبناؤنا بالأفلام والمسلسلات والأغانى الأجنبية حتى لا تكاد تسمع منهم شيئًا سواها، وذلك لأسباب عديدة، فى مقدمتها أنه لا بديل عربيا أو إسلامى مناسب، ولا نستطيع حتى الآن أن نعلم ثقافتنا ولغتنا باعتبارها ثقافة فكر وفن، وعلى إسلاميا أن حضارتنا هى مهد للحضارات الأخرى، ولها وعاء واسع يحتضن علومًا وتاريخًا وثقافة.

وهذا يفرض علينا أن نعلم التاريخ والثقافة والفنون الإسلامية المختلفة لكل من يعمل بالدعوة. إننا نحتاج إلى مجهود ضخم لبعث التراث من أمهات الكتب العربية بشكل ميسر وأن نسهل استيعاب الوسائل الحديثة له، لكى يمكن لرجال الإعلام والخطاب الدينى بشكل عام أن ينهلوا منها فى الأعمال المختلفة التى يقومون بها.

ضرورة إنشاء شركة متخصصة للإعلام بين الدول الإسلامية:

فى تصورى أن التخلص من الفردية التى تسيطر على شخصيتنا أساس النجاح لأى مجهود دعوى ناجح.

(٢٦) إننا نعمل بشكل منفرد دائمًا، وننسى أن أمامنا مجالا حيويًا واسعًا للعمل فى مجال الإعلام، أمامنا العالم الإسلامى بكامله ويجب أن يخطط العمل الإسلامى له على اتساعه، ويجب أن تقوم بهذا التخطيط المنظمات الدولية ذات البعد الإسلامى أو التى تتبنى الفكر العالمى مثل الإسيسكو واليونسكو ومنظمة الإذاعات العربية ومنظمة الإذاعات الإسلامية. هذه المنظمات مطالبة بأن تضع إستراتيجية موحدة للبث الإعلامى يمكن أن تنفذ من قبل الإذاعات والمحطات الإعلامية. والمشكلة الرئيسية خاصة بالنصوص، نحتاج إلى تشجيع المواهب التى يمكنها أن تنتج الفكر، ونحتاج إلى المعد والسيناريست الجيد الذى يستطيع أن يحول الفكرة إلى منتج يبث من خلال الوسائل الحديثة. ونحتاج كذلك إلى المخرج المتميز الذى يعرف الحلال والحرام ولا يسمح بأن يصدر أو يعرض ما يغضب الله ولا يتفق مع حقائق الدين، ويجب أن تهتم كليات الإعلام بتخريج هؤلاء الفنيين الذين يمكنهم القيام بهذه الأعمال خدمة لدينهم، وفى سبيل عقيدتهم.

والواقع أن العالم الإسلامى فى حاجة ماسة إلى شركات كبرى ذات رأس مال كبير تسجل فى دولة إسلامية رئيسية، ويفتح باب الاكتتاب فيها للشركات والأشخاص والمؤسسات العامة والخاصة تعمل على تشجيع المواهب للكتابة ويعمل بها فريق منتج على أعلى مستوى يشمل مختلف التخصصات، تقوم

بالإنتاج الإعلامى بمختلف أشكاله وتبيعه للإذاعات المرئية والمسموعة ويكون على نحو من القوة بحيث يقنع الجمهور بما فيه. إن مثل هذه الشركة تستطيع أن تجند عناصر متميزة لهذه الأعمال الكبرى. كما تستطيع أن تشترى الوسائل والأجهزة والمعدات وأن تستخدم الإستديوهات فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى، وحبذا لو قامت بالمبادرة اللازمة فى هذا الشأن فالقنوات التى يمكن البث عليها متوافرة الآن فى منطقتنا من القمر العربى «وعرب سات» والمصرى «النيل سات»

الخطاب الدينى على الشبكة الدولية للمعلومات:

(٢٧) لا شك أن الشبكة الدولية للمعلومات ذات أهمية فائقة فى العمل الدعوى من أكثر من وجه:

فهى تنتج معلومات سهلة وميسرة وشاملة بالنسبة لرجل الدعوة وبالتالى فيمكنه الاستفادة بها بالحصول على أية معلومات عن الموضوعات المختلفة التى يريد أن يعرفها. إن الشباب والأطفال مولع اليوم بالإنترنت وأصبح الاتصال به هواية لكثير منهم، ومن ثم فإن الداعية الذى يخاطب الناس يجب أن يدرك جيداً من يخاطب وأية معلومات واسعة متوافرة لديهم، وما لم يعلم ما يعيشون فيه، فمن الصعب أن يقنعوا به.

كذلك تفيد شبكة المعلومات كمصدر للاستقبال الآن، ونستطيع أن نستخدمها فى العمل الدعوى. إن الأمر لا يتطلب أكثر من اتخاذ موقع على الإنترنت وبث المعلومات الصحيحة عن الدين والتى تقنع الناس به.

والمهمة هنا سهلة وصعبة، وأطلق من هذا المنبر نداء بأن تتحد الجهات المسئولة عن الدعوة وعن الإفتاء وعن التشريع فى العالم الإسلامى على كلمة سواء فيما يجب أن يوضع على الشبكة من جانبهم، ويمكن تقسيم ما يوضع

بينهم، فجهة تختص بوضع الفتاوى كالأزهر الشريف، وجهة تختص بوضع المعلومات التى يحتاجها الداعية، وتلك المؤثرة والمقنعة للناس ولتكن رابطة العالم الإسلامى وجمعية الدعوة الإسلامية على سبيل المثال، المهم أن تدعو منظمة إسلامية عالمية ـ كالمؤتمر الإسلامى ـ إلى التوحيد بين الدول الأعضاء والمؤسسات والمنظمات الدولية الإسلامية والشركات والمؤسسات المعنية بالإنترنت لوضع إستراتيجية شاملة للبث على هذه الشبكة التى أصبحت واسعة الانتشار وموجودة فى كل منزل.

(٢٨) إن العلم الحديث قد أتاح للعالم الإسلامى فرصة كبيرة للدعوة إلى الإسلام من خلال هذه الشبكة ولاشك أن مثل هذه الإستراتيجية تحتاج إلى وضع معلومات عن الإسلام والدعوة إليه بلغات أخرى إلى جانب اللغة العربية حتى يمكن لغير الناطقين بالعربية أن يتعرفوا على الإسلام على حقيقته.

(٢٩) إن الإنترنت وسيلة تمكن المؤسسات الإسلامية من الاستقبال والإرسال فى نفس الوقت، إنها من أفضل الوسائل التى يتيحها العلم الحديث للعالم الإسلامى لنشر دين الله، ولتصحيح المفاهيم المغلوطة التى توضع عنه فى هذه الشبكة العالمية بسهولة ويسر.

لذا فإن الجامعات الإسلامية مطالبة بأن تعلم طلاب الدعوة الفنون المتصلة بهذه الوسيلة الإعلامية الجديدة، على ألا يقتصر ذلك على تعليم كيفية الاتصال بهذه الشبكة، وإنما يجب تعليم فنون صياغة وتشكيلها المعلومات على الشبكة والاستيعاب الهندسى والمعلوماتى لهيكلها وكيفية عملها وتقليل النفقات التى يجب أن تنفق عليها.

ولا شك أن هذا من المناهج الجديدة التى يجب أن تدخل فى دراسات كليات الإعلام والدعوة.

الدعوة من خلال اللقاءات العلمية:

(٣٠)رغم كل ما يوجه إلى الإسلام والمسلمين من هجوم، ورغم اعتبار الإسلام العدو الأخير للغرب وللحضارة الغربية بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وانتهاء المد الشيوعى فى العالم، فإن الناس فى كل مكان يدخلون فى دين الله أفواجًا، وتزداد أعداد من يدخلون الإسلام عامًا بعد عام.

والغريب أن قسمًا كبيرًا ممن يدخلون فى دين الله من كبار المفكرين والفلاسفة فى العالم، ولا يدخل من هؤلاء الإسلام إلا باقتناع كامل به بعد قراءات متأنية فيه، وتعمق فى أصوله. من هنا يجب على الهيئات المعنية بالدعوة الإسلامية وبتعليم الإسلام أن تقدم الإسلام للعلماء بشكل مقنع يخاطب العقل ويتفق مع حقائق العصر. إن علينا أن نجتهد - وهنا أقول أيضًا - بشكل جماعى فى وضع الأفكار والمؤلفات التى تلبى ذلك، وأقول إن هذه هى مهمة أساسية نعمل من أجلها. ولعل فى المؤلفات الجديدة التى تهتم رابطة الجامعات الإسلامية بإخراجها حاليًا عن الحضارة الإسلامية والفقه الطبى والعمارة والفنون الإسلامية ما يحقق قدراً من المطلوب، كذلك فإن منظمات إسلامية أخرى تقوم بدور كبير فى هذا الخصوص.

كذلك يبرز هنا أهمية تنظيم اللقاءات العلمية من مؤتمرات وندوات وحلقات للنقاش فى قضايا حيوية ومحورية، على أن تضم إلى جانب المسلمين، أشخاصًا من جنسيات أخرى. إن وضع مفاهيم حقوق الإنسان والديمقراطية والعدالة من المنظور الإسلامى مع مقارنته بالمفاهيم الحديثة، كما فعلت الرابطة فى العام الماضى مع جامعات كاثوليكية فى مجال التعريف بالإسلام وبسطه وعرضه بوضوح على علماء الغرب، وهذا ما قرره رؤساء الجامعات فى ختام ندوة الإسلام والغرب التى نظمتها رابطة الجامعات الإسلامية مع جامعات جورجيانا لاتيرانا فلورنسا فى مايو ٢٠٠٠ بمدينة روما.

ويجب أن تهتم الجامعات الإسلامية بالتعاون مع مختلف جامعات العالم وتنظيم لقاءات علمية وفكرية بشكل مستمر معها. وتسعى رابطة الجامعات الإسلامية إلى تطوير هذه البرامج والتوسع فيها.

خاتمة:

خلصنا من هذه الدراسة إلى أن الخطاب الديني الإسلامي يجب تطويره من حيث الرسالة الإعلامية التي يجب أن يحملها للناس، فيجب أن تتفق مختلف الدول والمؤسسات الإعلامية المعنية بالإعلام، على إستراتيجية موحدة للعمل الإعلامي تلتزم بها كافة الأجهزة، كما توضح للدعاة والإعلاميين بشكل عام الملامح الرئيسية للرسالة الإعلامية، وللخطاب الديني دون الدخول في التفاصيل، كما أنه يجب الاستفادة من الوسائل الحديثة في تكوين الدعاة والإعلاميين مع استمرار تدريبهم حتى يلموا بحقائق العصر. ورأت الدراسة أن تأثير الإعلام الدرامي قد يكون أكثر بكثير من تأثير الإعلام المباشر. لذا يجب تشجيع المواهب والقدرات الكامنة لدى الشعوب الإسلامية على أن تظهر ما عندها حتى يمكن أن تكون رسالة إسلامية تعرف الثوابت الإسلامية وتحافظ على الشخصية الإسلامية بمقوماتها المعروفة ووفقًا للضوابط الشرعية المتفق عليها.

***

الخطاب الإسلامى المعاصر ومقوماته

أ.د/ سعيد مراد(*)

الإسـلام بمصادره وأصـوله كان ولا يزال مـعاصـراً يستـوعب حركـة المكان والزمـان.. وقد وضع الأسس والمـقومـات التى تضـمن الاستـقـرار على كافـة المسـتويات بالمعـالجـة الدقيـقة لـلمشكلات التى واجـهت الفـرد والمجتـمع فى مختلف العـصور سواء كان ذلك من خلال النصـوص المنزلة قرآنا وسنة أو من خـلال اجتـهـاد الفقـهـاء والعلماء فى رصـد الواقع واقـتراح الحـلول المناسبـة لمشكلاته.

ومن أكبر الدلائل الدامغة التى تؤكد ذلك:

أولا: نزول القرآن منجما:

يقول الشـيخ محـمد أبو زهرة: «توالى نزولُ القرآن منجـمًا فى مـدة الرسالة المحـمدية التى اسـتمـرت ثلاثا وعشـرين سنة يدعـو فيـها بالحق، وإلى صـراط مستقيم، ينير السبيل، يهدى للتى هى أقوم»(١).

والدليل على نزوله منـجمـا، قوله ـ تـعالى ـ : ﴿وقـرآنا فرقـناه لتقـرأه على الناس على مـكث ونزلناه تنزيلا﴾ [الإسـراء : ١٠٦]، وقــوله : ﴿وقـال الذين كـفـروا لولا نزل عليـه القرآن جـملة واحـدة كـذلك لنثبت به فـؤادك ورتلناه ترتيـلا* ولا يأتونـك بمثل إلا جـئناك بالحق وأحـسن تـفـسـيـرا﴾ [الفـرقـان: ٣٢, ٣٣].

وفى بيان حكمة القرآن منجمـا قال أهل العلم: «لتنجيم نزول القرآن الكريم أسرار عدة نستطيع أن نجملها فى أربع حكم رئيسية:

الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد النبى ﷺ ، وتقوية قلبه.

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الزقازيق

(١) الشيخ محمد أبو زهرة – المعجزة الكبرى القرآن – دار الفكر العربى – ص ٢١.

الحكمة الثانية: التدرج فى تربية هذه الأمة الناشئة علما وعملا.

الحكمة الثالثة: مسايرة الحوادث والطوارئ فى تجددها وتفوقها، فكلما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه وتنتظم هذه الحكمة أمورًا أربعة:

أولها: إجابة السائلين على أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول ﷺ سواء أكانت تلك الأسئلة لغرض التثبت من رسالته، كما قال الله ـ تعالى ـ فى جواب سؤال أعدائه إياه: ﴿ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا﴾ [الكهف: ٨٣].

أم كانت لغرض التنور ومعرفة حكم الله كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ [البقرة:٢١٩] وقوله : ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ [سورة البقرة: ٢٢٠].

لا ريب أن تلك الأسئلة كانت ترفع إلى النبى ﷺ فى أوقات مختلفة وعلى نوبات متعددة، حكاية أنهم سألوا ولا يزالون يسألون، فلا بد أن ينزل الجواب عليها كذلك فى أوقاتها المختلفة، ونوباتها المتعددة .

ثانيها: مجاورة الأقضية والوقائع فى حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها ووقوعها . ومعلوم أن تلك الأقضية والوقائع لم تقع جملة، بل وقعت تفصيلا وتدريجا، فلا مناص إذن من فصل الله فيها بنزول القرآن على طبقها تفصيلا وتدريجا. والأمثلة على هذا كثيرة، منها قوله سبحانه : ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ [النور: ١١]، إلى قوله سبحانه : ﴿أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ [النور : ٢٦].

ومن الأمثلة قوله ـ تعالى ـ فى مفتتح سورة المجادلة: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾ [المجادلة:٤].

ثالثـهـا: لفت أنظار المسلمين إلى تصحيح أغلاطهم التى يخطئون فيها وإرشادهم إلى الصواب.. ولا ريب أن تلك الأغلاط كانت فى أزمان متفرقة. ومن أمثلة ذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى آخر الآيات التى تنبه المسلمين وترشدهم إلى ما حدث منهم فى غزوة أحد وكذلك قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم توليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾ [التوبة: ٢٥ , ٢٧].

رابعًـا: كشف حال أعداء الله المنافقين، وهتك أسرارهم وسرائرهم للنبى والمسلمين ومن أمثلة ذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ [البقرة: ٨] إلى قوله : ﴿إن الله على كل شىء قدير﴾ [البقرة : ٢٠].

الحكمة الرابعة: الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه(١).

ثانيًا: أسباب النزول:

من أكبر الدلالات على كون الإسلام بمصادره وأصوله كان ولا يزال وسيظل معاصرًا جامعًا للثوابت التى تستوعب الوجود الإنسانى . اهتمام علماء التفسير بأسباب نزول الآيات حتى صار البحث فى أساب النزول علما من علوم القرآن مستقلا بذاته. يقول الزركشى فى كتاب البرهان فى علوم القرآن: «وقد اعتنى بذلك المفسرون فى كتبهم، فأفردوا فيه تصانيف منهم على بن

(١) الشيخ / محمد عبد الحميد الزرقانى- مناهل العرفان فى علوم القرآن- دار المعرفة - بيروت ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م ص ٥٢- ٥٩ مختصرًا.

المدينى شيخ البخارى، ومن أشهرها تصنيف الواحدى فى ذلك، وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته. لجريانه مجرى التأريخ وليس كذلك، بل له فوائد:

منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

ومنها: الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو الفتح القشيرى: بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى الكتاب العزيز، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا.

ومنها: أن يكون اللفظ عاما، ويقوم الدليل على التخصيص، فإن محل السبب لا يجوز إخراجه بالاجتهاد والإجماع» [1] إلى غير ذلك من الحكم التى توسع فى ذكرها أصحاب هذا العلم.

ثالثا: تطور الفقه وضرورة الاجتهاد:

لم يتوقف الفقهاء عند ميراث رسول الله ﷺ من آراء وأحكام فقهية. بل وجدوا أنه من الضرورى النظر فى المسائل التى واجهتهم ولم يكن قد سبق أحكام للرسول فى شأنها. ويقول الدكتور محمد يوسف موسى فى ذلك: «نعرف أن الفقه أخذ يتطور بعد حياة الرسول المباركة، مثله مثل كل كائن حى، ما دام الفقه هو «العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأعمال المكلفين خاصة» وهذه الأفعال لا يحصرها العاد، ويجد منها أنواع وضروب على مدى الزمان دائمًا، ولذلك كان اجتهاد الفقهاء ضرورة لا محيص عنها»[2].

والاجتهاد لا ينفصل بحال من الأحوال عن الكتاب والسنة ذلك أن الاجتهاد هو : «بذل الجهد فى استنباط الحكم الشرعى مما اعتبره الشارع دليلا

---

(١) الزركشى - البرهان فى علوم القرآن- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار التراث- القاهرة- ص ٢٢.

(٢) د. محمد يوسف موسى - تاريخ الفقه الإسلامى دعوة قوية لتجديده بالرجوع لمصادره الأولى- مطابع دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م ص ١٣١.

وهو : كتاب الله، وسنة نبيه وهو : نوعان:

الأول: أخذ الحكم من ظواهر النصوص، إذا كان محل الحكم مما تتناوله تلك النصوص.

الثاني: أخذ الحكم من معقول النص: بأن كان للنص علة مصرح بها، أو مستنبطة. ومحل الحادثة مما يوجد فيه تلك العلة، والنص لا يشمله، وهذا هو المعروف بالقياس(1).

وقد التزم الصحابة هذا المنهج بعد وفاة الرسول ﷺ .

«كانت ترد على الصحابة أقضية لا يرون فيها نصا من كتاب، أو سنة، وإذ ذاك كانوا يلجأون إلى القياس، وكانوا يعبرون عنه بالرأى، كذلك كان يفعل أبو بكر - رضى الله عنه - إذ لا يجد فى الكتاب نصًا، ولا عند الناس سنة، فإنه كان يجمع الناس ويستشيرهم، فإذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به، وكذلك كان عمر يفعل، ولما ولى شريحًا قضاء الكوفة قال له: انظر ما يتبين لك فى كتاب الله، فلا تسأل عنه أحدًا، وما لم يتبين لك، فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ، وما لم يتبين لك فى السنة، فاجتهد فيه برأيك، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى يقول : القضاء فريضة محكمة، أو سنة متبعة، ثم قال الفهم الفهم فيما تلجلج فيه صدرك مما ليس فى كتاب، ولا سنة، اعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور عند ذلك»(2).

وقد تميز فقه الصحابة والتابعين بعدم الجمود، والعمل على تعرف علل الأحكام الشرعية، ثم بقبول مبدأ أن هذه الأحكام قابلة للتغيير حسب الزمان والمكان، وذلك تبعًا لتغير عللها، ولتحقق المقاصد المرادة من تشريعها.

لكل ما سبق نقول إن الإسلام بأحكامه وتشريعاته بمنطوقه ومفهومه لا يتخلف أبدًا ولا يتراجع عن استيعاب حركة الحياة.

(1) الشيخ/ محمد الخضرى بك- تاريخ التشريع الإسلامى، دار المعرفة، بيروت ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ص ٧٤.

(2) المرجع السابق ص ٧٥.

مفاهيم لا بد من توضيحها:

نتناول فى هذا البحث موضوع (الخطاب الإسلامى المعاصر) وذلك يوجب علينا أن نحلل هذا العنوان ونتعرف على مفهوم كل مفردة فيه.

١ - **الخطاب:** ورد لفظ (الخطاب) فى آيتين فى سورة واحدة وهى سورة «ص» قال ـ تعالى ـ : ﴿وشددنا ملكة الخطاب﴾ [ص:٢٣]، وفى تفسير ذلك يقول الرازى: «الذى يحصل له إدراك وشعور ويحصل عنده قدرة على تعريف غيره الأحوال المعلومة له، وذلك هو الإنسان وقدرته على تعريف الغير المعلوم عنده بالنطق والخطاب، ثم إن الناس يختلفون فى مراتب القدرة على التعبير عما فى الضمير فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المرتب المنتظم بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادراً على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات»(١) ومعناه أن المقصود بالخطاب: القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل.. وعزنى فى الخطاب : قال الضحاك: إن تكلم كان أفصح منى، وإن حارب كان أبطش منى وقال ابن عطية: كان أوجه منى وأقوى، فإذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامى وقوله أعظم من قولى. وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج والمجادل»(٢).

أما الأصبهانى فيقول: «الخطب، والمخاطبة، والتخاطب: المراجعة فى الكلام وفصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب»(٣).

فالخطاب على هذا هو الكلام الذى يتكلم به المتكلم لإظهار حجة وإيراد دليل وتوضيح معنى والفصل فى القول ويتفاوت الناس فى القدرة على ذلك.

٢- **الإسلامى:** المنسوب إلى دين محمد ﷺ.

(١) فخر الدين الرازى- التفسير الكبير ٢٦/ ١٨٧.

(٢) أبوحيان الأندلسى- تفسير البحر المحيط ٧/ ٣٧٤.

(٣) الأصبهانى- المفردات فى غريب القرآن- أعده للنشر وأشرف على طبعه د. محمد أحمد خلف الله- الأنجلو المصرية – ص ٢١٦.

٢- **المعــاصــرة:** وردت كلمـة العصـر فى موضع واحـد ى القرآن (سـورة العصر) قـال ـ تعالى ـ : ﴿والعصر إن الإنسـان لفى خسر﴾ [العصـر:١] وفسر المفسرون العصر: بقولهم : الدهر أو الزمن(١).

وفى معناه يقول الـزبيدى: «العصر، مثلثـة، أشهرها الفتح، بضـمتين، وهذه عن اللحيانى، وقال امرؤ القيس:

وهل يعمن من كان فى العصر الخالى.

الدهر، وهو كل مدة ممتدة غير محددة، تحتوى على أمم تنقرض بانقراضهم، قـاله الشهـاب فى شـرح الشـفاء، .. قلت : وبه فـسـر الفراء قـوله ـ تعـالى ـ: ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر﴾..

والعصر اليوم(٢).

والذى تنتهى إلـيه من الرأى أن المقصـود «بالخطاب الإسلامى المعـاصر» هو الكلام الواضح الفصيح المنسوب إلى دين محمد ﷺ فى هذا الزمن.

من سمات الإسلام:

مما لا ريب فـيـه أنه الإسـلام يسعى دائمًـا إلى بناء الـفرد الصـالح والأسـرة الصالحـة والمجتمع الصالح وذلك بتـرسيخ قيم أخـلاقية سلوكيـة وقيم معرفـية تمكن الفـرد من الفهم الصحـيح وتمكن المجتـمع من تحقـيق التقدم الـذى يحقق للمجتمع الريادة والقيادة. وأول سـمة من سمات الإسلام أنه دين عالمى. لذلك نرى من الضرورى الوقوف أولا على مفهوم عالمية الإسلام.

أ- **الدين العالمى:** إن رسالة الإسلام رسالة عالمية موجهة إلى جميع البشر بلا تمييـز أو تحيز لجنس «دولة الإسـلام.. ليست دولة عنصـرية ولا إقليميـة، إنها لا تقوم على أسـاس حدود أرضيـة، وفواصل جـغرافيـة، إنها - فى الأصل (دولة

(١) الرازى - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ٣٢/ ٨٤.

(٢) المرتضى الزبيدى- تاج العروس ٧/ ٢٢٩, ٢٣٠.

مفتوحة) لكل مؤمن بمبادئها باختياره بلا ضغط ولا إكراه.. (دولة عالمية) لأن لها رسالة عالمية. إنها دولة فكرة وعقيدة، تذوب فيها فوارق الأجناس والأوطان، والألسنة، والألوان، حيث يوحد بين أبنائها الإيمان بإله واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد، ويجمع بينهم قبلة واحدة، وشعائر واحدة وشريعة واحدة، وبهذا تتكون منهم (أمة واحدة) تقوم على (توحيد الكلمة) المنبثق من (كلمة التوحيد)(١).

يذكر د. مراد هوفمان تجربته وشهادته الذاتية التي تؤكد رفض الإسلام للعنصرية والتعصب على أساس اللون أو الجنس فيقول: «.. من المهم أن نذكر أن الإسلام قادر فعلاً- وأنه كان دائما قادرًا- على تهميش العنصرية، بل وإزاحتها تماما. لقد تحقق هذا في بدايات الإسلام عند ما عرض بعض نفر من أهل يثرب (المدينة فيما بعد) على الرسول الهجرة إلى يثرب، وعرضوا عليه الحماية فيما عرف ببيعتي العقبة الأولى والثانية عامي ٦٢١ , ٦٢٢م.

ولم يعرض عليه أهل يثرب مجرد الملجأ، ولكن الحماية والأخوة وانضمام المسلمين تحت قيادته السياسية في مدينتهم بدين واحد(٢). إننا أمام موقف يؤكد على عالمية الإسلام بمعنى أنه دين الإنسانية.. والغاية والهدف الارتقاء بالإنسان فردًا كان أم جماعة ولعل ذلك ما جعل دولة الإسلام ترفض العنصرية والتحيز وتسعى إلى وحدة الأمة بكل عناصرها واتجاهاتها.

ب- **سمو المبادئ الإسلامية:** إن المبادئ الإسلامية تنطلق من الفطرة التي فطر الله الناس عليها.. وما كان القرآن إلا دعوة تعمق القيم والمثل العليا في نفوس البشر بداية من المسائل العقدية التي تعد الأساس المتين للمسائل

(١) د. يوسف القرضاوي – من فقه الدولة في الإسلام- دار الشروق ط٢- ١٤١٩هـ ١٩٩٩م ص ٣٢,٣١.

(٢) د. مراد هوفمان- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود- مكتبة الشروق – القاهرة- كوالالمبور- جاكرتا ط ١ ١٤٢١هـ ٢٠٠١م ص ١٨٨.

التشريعية والأمور الحياتية. فالإيمان بالله الواحد هو جوهر هذا الدين والتوحيد هو الضمان الوحيد لنجاح المقاصد الإنسانية ولذلك كانت النصوص القرآنية تنطلق بدعوة التوحيد إلى كل الآفاق تجمع الناس على العقيدة الصحيحة.

قال ـ تعالى ـ : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، إلا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤]. وقال ـ تعالى ـ : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا واحد ونحن له مسلمون﴾ [العنكبوت:٤٦] وقال ـ تعالى ـ : ﴿قل أتحاجوننا فى الله، وهو ربنا وربكم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون﴾ [البقرة: ١٣٩] إن هذا البناء العقدى نستنبط منه العديد من الخصائص التى تميز بها الإسلام وتعد أساسًا ثابتة للمبادئ الإسلامية ومن هذه الأسس:

- الإسلام لا يكلف النفوس البشرية ما ليس فى وسعها .
- إن جميع مبادئ الإسلام مركوزة فى جبلة الإنسان خلق مفطورًا عليها.
- لا إرهاب ولا إكراه بل دعوة للعفو والصفح والتسامح.
- يطهر الإسلام النفوس، وينزع منها أسقامها، ويذهب ظلمتها بما فيه من البراهين المعقولة وما فيه من النور الساطع.

جـ- أصول تؤكد على طبيعة الثقافة العصرية:

لقد سبق القول إن الإسلام دين كل عصر وأن شريعته قد واجهت كل المشكلات التى واجهها الناس فى الأعصار المختلفة ولا تزال تملك قدرة مواجهة مشكلات العصر الذى نعيشه ومن أصول هذه الشريعة أنها دعت إلى:

١- زوال آثار الوراثات الدينية.

٢- انمحاء التعصب المذموم للعقائد الباطلة.

٣- قيام النظر العقلى مقام التقليد الأعمى.

٤- الميل إلى إيجاد زمالة عامة بين الناس كافة، ومحاربة كل العقائد المفرقة للأمم والجاعلة إياها شيعا.

٥- الاتجاه إلى نصب العلم فاروقًا بين الحق والباطل، بغير اعتداد برأى أية طائفة من الطوائف، أو فرد من الأفراد(١).

مقومات الخطاب الإسلامى المعاصر

أولا: النظر العقلى والتفكير العلمى:

الواجب على المسلمين فى هذا العصر- أكثر من أى عصر مضى- فهم العصر ومعرفة مشكلاته وقضاياه وامتلاك لغته وأدوته حتى لا يتخلفوا عن ركب العصر ويتحقق لهم الاستقرار السياسى والاجتماعى بالإضافة إلى كسب التأييد المعنوى والمادى من شعوب العالم وكسب أرض جديدة تستجيب لدعوتهم وتتفهم حقيقة عقيدتهم، وتدفع سوء الفهم عن شريعتهم، وتكشف المتربصين بهذا الدين من أعدائهم، وهم فى ذلك لا يأتون بدعًا من القول وزورًا بل إنهم بذلك يتشربون روح الإسلام ويقفون على معالم منهجه الذى وضع أسسه من خلال النص المنزل.

«إن القرآن والحديث مشحونان بالنصوص التى ترفع من قيمة العلم، ومن شأن العقل، وتدفعه دفعًا لأن يتحرك ويتدبر، وتعيب عليه الجمود والجحود. فقد جاءت الآيات برفع درجات العلماء الذين يستعملون عقولهم، فى الوصول إلى ما أودعه الله فى كونه وشرائعه، مما جعل منزلتهم أعلى من منازل الجهال والجامدين. فقال ـ تعالى شأنه ـ : ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو

(١) محمد فريد وجدى - من معالم الإسلام- سلسلة مكتبة الأسرة- الأعمال الدينية- الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م ص ٤٤.

الألبـاب﴾ [الزمر:٩] ﴿يرفع الـله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجـات﴾ [المجادلة:١١].

ووضع العلماء بعـد درجة الملائكة مباشـرة فى أهم شهادة وأقدسـها ، وهى الاعـتراف بالله. قـال ـ تعالى ـ : ﴿شـهـد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ١٨](١).

وقد تـعددت الآيات التى تحث على العلم والـعقل والفكر والتـدبر والنظر. من ذلك قـوله ـ تعالى ـ : ﴿والراسـخون فى العلم يقـولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران:٧].

وقـوله : ﴿وتلك الأمـثـال نضـربهـا للناس، ومـا يعـقـلهـا إلا العـالمون﴾ [العنكبوت:٤٣]، ويتكرر قـوله - سبحـانه ـ : ﴿أفلا يعقلون، أفـلا تذكرون﴾ ﴿إن فى ذلك لآيات لأولـى النهى، لأولى الألبــاب، لقــوم يعــقلون، لقــوم يتفكرون، للعالمين﴾ وكثر استعـمال هذه المفردات فى مواضع كثيرة وهى دعوة صريحة لأعـمال العقل من أجل الفهم الدقـيق لمقاصد الحياة فـإذا ما أضفنا إلى ذلك دعـوة الإسـلام إلى ربط بالأسـبـاب المسببـات وجـعل ذلك من الحكمـة العـالية.. وطريق ذلك : «إن المسـتدل ينظر أولا إلى مـا حوله من المرئيـات، ثم يحاول أن يتـبين أسبـابها المباشـرة، أى المؤثرة فيهـا بلا أية واسطة، فإذا تبـينها ، أسرع إلى الإغضاء عن سببيتها، واعتبرها مسببات لما قبلها، ثم بادر إلى البحث عن التى قبلهـا، فإذا اهتدى إليـها، سلك بإزائهـا مسلكها بإزاء مـا سلف، حتى ينتهى إلى الحق الـذى هو الغاية المنشودة والنهـاية المقصودة. وهنا يـنتقل المفكر من مرتبة النظر إلى الكائـنات بعين البصر إلى مرتبـة النظر فى الموجودات بعين الذهن المعـتمد على الحـواس.. وإذ ذاك يتحـقق له استنتـاجه المقصـود، ويتم له

(١) د. عبـد المنعم النمـر- الإسـلام والمبـادئ الدسـتـورية - دار القلم - القـاهرة- ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م ص٨١.

استدلاله المراد، فيصل إلى مبتغاه من الحق(1). ومن أمثلة ذلك فى القرآن الكريم ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون* ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون* وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وإن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفًا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ [النحل : ١٠, ١٣].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم* وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين، وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون﴾ [الحجر: ١٩-٢٣] ذلك هو البناء الفكرى الذى أسسه الإسلام على أساس من أعمال العقل السليم المهتدى بالشرع الحكيم فى النظر والبحث والمعرفة.

وهذا كل العامل الفاعل فى تشكيل عناصر الحضارة الإسلامية التى أسست بفضل جهود العلماء فى مختلف ميادين العلم وفى مختلف العصور..

إذن فالعقلانية يجب أن تكون سمة الخطاب الإسلامى المعاصر فمعطيات العصر لم تعد تقبل أو تهضم الاستغراق فى ألون الخطاب التى تعتمد على الخرافة والأسطورة والخيال السقيم البعيد عن منجزات العصر.

ثانياً: التواصل اللغوى:

اللغة هى الوعاء الحضارى للأمة الإسلامية وهذا الوعاء يتسع لكل المفردات

(1) د. محمد غلاب- الإسلام من خلال مبادئه التأسيسية- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م ص ٥٨، ٥٩.

المعبرة عن روح هذه الحضارة وفى حالتنا التى نحن بصددها فاللغة العربية لغة القرآن الكريم صاحبة النفوذ الأكبر فى صياغة هذه الحضارة وصيانتها.. من هنا نؤكد على ضرورة التواصل اللغوى بمعنى أن تأتى لغة اليوم غير منفصلة عن لغة الأمس وفى ذات الوقت تملك القدرة على توسيع معجمها اللغوى بحيث يستوعب إبداعات العصر ومنجزاته الفكرية والعلمية وأن تطبع لغة العصر بطابعها، ثم تهضمها وتحولها إلى غذاء صالح يفيد المسلمين أولا.. ثم ينتقل ذلك إلى غيرهم.

والأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى معرفة اللغات الحية فى عالم اليوم لكى نتمكن كأمة من تحقيق التواصل مع العالم فى ظل منتجات العلم الذى حول العالم المترامى الأطراف إلى قرية صغيرة. ونحن فى ذلك لا نبتدع شيئًا جديدًا وإنما نلتزم بمسلك سلكه رسول الله ﷺ فى صدر دعوته: فقد جاء فى الحديث عن خارجة بن زيد أن أباه زيدًا ـ رضى الله عنه ـ أخبره أنه لما قدم النبى ﷺ المدينة قال زيد : ذهب بى إلى النبى ﷺ فأعجب بى فقالوا يا رسول الله هذا غلام من بنى النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك النبى وقال : يا زيد تعلم لى كتاب يهود فإنى والله ما آمن يهود على كتابى قال زيد: فتعلمت كتابهم ما مرت بى خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب»(١) وهذا يؤكد على أهمية الانفتاح على لغات الأمم والشعوب التى تشاركنا الحياة فى هذا الكوكب ليتحقق التواصل بيننا وبينهم.

وما نود أن نؤكده أن سلامة اللغة الأصلية والتمكن منها وضبط الكلمات والجمل يجعل المتحدث ذو قدرة على التحاور والتفاهم والتخاطب فإذا ما أضفنا إلى ذلك إتقان لغة وسيطة أو أكثر كان ذلك عاملا هاما فى فهم الآخر.

---

(١) الشيخ / أحمد عبد الرحمن البنا- الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ٢٢/ ٢٤٢.

ثالثا: التفاعل الثقافى وسعة الأفق:

إن جوهر الإبداع فى أى مجال من مجالات النشاط الإنسانى يبرز فيما يمتلكه المبدع من أدوات ووسائل وما يختزنه فى الذاكرة من صور للأشياء والعلاقات بين المركبات الذهنية والخيالية.

وبقدر ما يمتلك الفرد المبدع من هذا المخزون تكون قدرته على الإبداع وهنا تكمن أهمية الثقافة.

وقد عاشت المجتمعات الإسلامية منذ البدايات الأولى تدرك قيمة تحصيل المعارف والعلوم خصوصا أنها وجدت فى النصوص المنزلة ما يشجع على طلب المعرفة بالنظر فى جنبات الكون ومشكلات الحياة والتفاعل مع أمم ذات حضارات جاورت الدولة الإسلامية أو دخلت ضمن حدودها «إننا لو سألنا التاريخ الإسلامى الطويل، المفعم بعظائم الأحداث وجلائل الوقائع، لم يحدثنا مرة واحدة أن الإسلام قد حاول، أدنى محاولة، أن يحطم مدنية أمة من الأمم التى فتحها، ووضعها تحت إمرته، وأخضعها لرايته، وإنما كان دائمًا يطبعها بطابعه ثم يهضمها ويحولها إلى غذاء صالح يفيد أتباعه»(1) وكان هذا بالطبع من أهم روافد الثقافة الإسلامية التى نسعى إلى توسعة آفاقها المعاصرة، وهذا لا يتم ولا يتحقق إلا باستيعاب ثقافة العصر التى تتمثل فى «تلك الأفكار والأحداث التى مست حياتنا فأثارت اهتمامنا عن إخلاص لا تكلف فيه، ولا جدال فى أن أخطرها جميعًا وأهمها شمولا وأعمقها أثرًا، هو القفزة الهائلة التى قفزتها العلوم الطبيعية فى عصرنا، بكل ما تبعها من نتائج، كانت إحداها شعار المستعمرين، وكانت الأخرى خشية منا على الدين أن تهتز مكانته فى نفوس المؤمنين، فلو تقصينا ما كتبه الكاتبون حول هذين المحورين: ما كتبوه دفعا للمستعمر ودفاعا عن الحرية، ثم ما كتبوه بيانا لقوة الدين أمام غزوات العلم الجبارة، تارة بالتدليل على أن الدين والعلم لا يتناقضان، وتارة

(1) د. محمد غلاب مرجع سابق ص ٣٨.

أخرى بالتقليل من شأن العلم بالقياس إلى الدين، أقول إنا لو تقصينا ما كتبه الكاتبون حول هذين المحورين: لوجدناه قد ملأ رقعة فسيحة من مجال نشاطنا الثقافي الحديث»(1) إن هذا الجهد المبذول من وراء ثقافتنا الإسلامية يجب أن يكون رصيداً في المخزون الثقافي للدعاة الذين تقع على مسئوليتهم مخاطبة الآخرين وهذا الرصيد يجب أن يزاد ببذل الجهد الأعظم من التفاعل مع الثقافات الأخرى التي تحيط بنا بشرط أن يكون لدينا وعياً كاملا للتفريق بين التفاعل الثقافي والغزو الثقافي» فالتفاعل الثقافي مشروع، بل مطلوب، ولكن التفاعل إنما يكون من جانبين، بين ندين، يعطي كل منهما ويأخذ، واعياً مختاراً، غير مكره، ولا واقع تحت تأثير خاص، فهو يأخذ ما يحتاج إليه، وفق معايير مدروسة، ويدع ما يدع تبعاً لمنطق معلوم، محتفظاً بهويته وخصائصه، غير مفرط في قيمه ومبادئه ومسلماته المشخصة لذاته.

أما الغزو، فهو من طرف قوي لطرف ضعيف، أي من غالب قاهر، لمغلوب مقهور مبهور بقوة غالبة، فهو يأخذ منه ولا يعطيه، ويأخذ مالا يحتاج إليه، بل يأخذ مالا ينفعه، وإن كان قد ينفع صاحبه، بل كثيراً ما يأخذ الضار ويترك النافع» (2)ولقد أدرك سلف هذه الأمة أهمية التفاعل الثقافي فانفتحوا على ثقافات أمم وشعوب بعد أن لعبت حركة النقل والترجمة دوراً كبيراً في نقل كثير من العلوم والفنون إلى لغتنا العربية..وقد أخذوا في كثير من الأحوال من العلوم خاصة ما يضيف إلى ثقافتنا الإسلامية وفي ذات الوقت أفادت الأمم والشعوب كثيراً من معين ثقافتنا الإسلامية.

إن الدعاة يتحقق نجاحهم بقدر سعة ثقافتهم وقدرتهم على إفراز أفكار وآراء تؤكد على العطاء الحضاري الإسلامي في كافة مجالات الحياة.

---

(1) د. زكي نجيب محمود - ثقافتنا في مواجهة العصر - دار الشروق - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ١٩.

(2) د. يوسف القرضاوي - الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي - دار الشروق - ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ص ١٦١.

رابعاً: لغة الحوار واحترام الآخر وتقديره:

الحوار الهـادف سمـة من أبرز سمـات الإسلام، وذلك ليس بالأمـر الغريب فالقـرآن الكريم استخدم الحـوار أسلوبًا من أساليب الدعوة إلى الحق، فـالحوار أسلوب من أساليب الإقناع التى سلـكها القرآن فى استـقطاب الناس نحو الحق الذى جاء به:

١- استقطاب الناس نحـو الجديد من الآراء والمعتقدات التى تشتـمل عليها الدعوة الإسلامية.

٢- اسـتقطاب الناس نحـو الرفض للمـواريث الثقـافيـة التى تتعـارض مع الدعوة الجـديدة، والتى أعلن القرآن الكريم أنها غيـر صالحة لما فيـها من باطل، وما فيها من فساد، يعود على الناس بالضرر.

وقد أشار القرآن إلى الحوار والجدل فى كثير من الآيات. منها : قوله ـ تعالى ـ : ﴿واضرب لهم مثـلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحـففناهما بنخل وجعلنا بينهمـا زرعًا، كلتا الجنتين آتت أكلها ولـم تظلم منه شيـئا وفجرنا خلالهما نهرًا، وكان له ثمر فقال لصـاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفـرًا، ودخل جنتـه وهو ظالم لنفـسه قـال مـا أظن أن تبيـد هذه أبدًا، ومـا أظن الساعة قائمة ولأن رددت إلى ربى لأجدن خيرًا منها منقلبا، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا﴾ [الكهف : ٣٢:٣٧] لقد ورد لفظ (الحوار) فى هذه الآية مـرتين.. وقد ورد لفظ مرادف للحـوار وهو لفظ الجدل وذلك فى قـوله ـ تعالى ـ : ﴿قـد سمع الله قـول التى تجـادلك فى زوجهـا وتشـتكى إلى الله والله يسـمع تحاوركـمـا إن الله سمـيع بصير﴾ [المجادلة:١].

ومن الجـدير بالذكـر أن الإسـلام قـد وضع الآداب والمبـادئ والأسس التى يجب أن يقوم الحوار على أساسها.

أ- آداب الحوار:

١ - أن يكون الحوار قائما على الصدق وتحرى الحقيقة، بعيداً عن الكذب والسفسطة والأوهام.

ومن الأمثلة التى تؤكد هذا المبدأ المحاورة التى دارت بين سيدنا موسى - عليه السلام - وبين فرعون فى قوله - تعالى - : ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى* اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى * قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى * قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى * فأتياه فقولا إنا رسول ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى * إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى * قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى * قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى * الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى * كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى*﴾ [طه: ٤٢-٥٤]، هذه الآيات تفيد مما تفيد الدعوة إلى الله باللين. يقول الرازى فى قوله - تعالى - : ﴿فقولا له قولا لينا) «إن من عادة الجبابرة إذا غلظ لهم فى الوعظ أن يزدادوا علوا وتكبراً، والمقصود من البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر فلهذا أمر الله - تعالى - بالرفق»(١).

ثم إن الهدف من الدعوة يجب أن يكون واضحًا وعلى صاحب الدعوة أن يبذل غاية الجهد فى الإقناع وليعلم أن الهداية قد تتحقق وقد لا تتحقق وقد يحصل بعضا من الهداية وذلك واضح فى قوله - تعالى - : ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ فيرجع فرعون «من إنكار إلى الإقرار بالحق وإن لم ينتقل من الإنكار

---

(١) الفخر الرازى - تفسير الكبير ٢٢/٥٨.

إلى الإقرار لكنه يحصل فى قلبه الخوف فيترك الإنكار وإن كان لا ينتقل إلى الإقرار فإن هذا خير من الإصرار على الإنكار» (1) ومن هنا فإن من عوامل نجاح الدعوة الصدق الذى يؤدى إلى الإصرار وعدم التردد والانتقال من هدف إلى هدف وتنوع أساليب الخطاب بين اللين والشدة.

٢- التزام الموضوعية للوصول إلى الحقيقة وتحقيق النتائج المرضية:

وذلك واضح تمام الوضوح فى ما ساقه القرآن الكريم من ألوان الحوار بين الأنبياء وأقوامهم مثل :

نوح ـ عليه السلام ـ : قال له قومه ﴿قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين﴾ [الأعراف:٦٠]. فرد عليهم دون أن يخرج عن الموضوع قائلا : ﴿قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين* أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٦١ , ٦٢].

هود ـ عليه السلام ـ : اتهمه قومه بقولهم: ﴿إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ [الأعراف: ٦٦]. فقال مدافعًا عن نفسه وعما اتهموه به قائلا: ﴿قل يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين* أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين﴾ [الأعراف:٦٧ , ٦٨].

محمد ﷺ : واجه الشبهات التى أثارها قومه مفندًا لها فى سياق موضوعى وقد ساق القرآن هذه الشبهات وردود الرسول ﷺ . من ذلك:

قوله ـ تعالى ـ : ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون* قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾ [الأعراف: ٢٨ , ٢٩].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند

(1) المرجع السابق ص ٥٩.

الله عـهدًا فلن يخلـف الله عهـده أم تقولون علـى الله ما لا تعلمـون* بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعـملوا الصـالحـات أولئك أصـحـاب الجـنة هم فـيـهـا خـالدون﴾ [البقرة: ٨٠-٨٢].

هكذا يعلمنا الإسلام التزام الموضـوعية وعدم الخروج عن قضـية الحوار إلى تفريعات وفصيلات قد تنسينا جوهر الموضوع.

٣- التزام الحجة البالغة والدليل الواضح والبرهان الصادق والمنطق السليم:

ومن أمثـلته فى القـرآن الكريم ما حكاه الله عن الحـوار الذى دار بين خليل الرحمن إبـراهيم ـ عليه السلام ـ ونمـرود بن كنعان. قال ـ تعـالى ـ : ﴿ألم ترى إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قـال إبرهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين﴾ [البقرة:٢٥٨].

ومن أمـثلته أيضًـا فى القرآن الكريم مـا حكاه القرآن مـا كان من حـوار بين موسى عليـه السلام وسحرة فـرعون ثم بين سحـرة فرعون وفرعـون ذاته قال ـ تعالى ـ : ﴿قالوا يا موسى إمـا أن تلقى وإما نكون أول من ألقى* قال بل ألقوا فإذا حبـالهم وعصيهم يخيل إليـه من سحرهم أنها تسعى* فـأوجس فى نفسه خيـفة مـوسى* قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى* وألق مـا فى يمينك تلقـف ما صنعـوا إنما صنعوا كـيد ساحـر ولا يفلح السـاحر حيث أتـى* فألقى السـحرة سـجـدًا قـالوا آمنـا برب هارون ومـوسى* قـال آمنتم له قـبل أن آذن لكم إنه لكبـيـركم الذى علمكـم السـحـر فـلأقـطعن أيديكم وأرجلكـم من خـلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشـد عذابًا وأبقى* قالوا لن نؤثرك على مـا جاءنا من البـينات والذى فطرنا فـاقض مـا أنت قاض إنما تقـضى هذه الحياة الدنيا * إنا آمـنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليـه من السحر والله خير وأبقى* إنـه من يأت ربه مجرما فإن لـه جهنم لا يموت فيهـا ولا يحيى*

ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ [طه:٦٥:٧٥].

إن البرهان والدليل والمنطق السليم من أعظم وسائل الإقناع وإفحام الخصوم.

وإذا كنا لا نستطيع أن نأتى على كل الآداب والمبادئ التى قررها الإسلام للحوار فإننا نستطيع أن نضيف إلى ما سبق على سبيل الإجمال ما يلى:

٤- أن يقصد الداعية المحاور أن هدفه إظهار الحق والصواب.

٥- يجب أن يتحلى الداعية بالتواضع وتجنب الغرور، والتزام الأسلوب المهذب الخالى عن التجريح.

٦- إفساح المجال للمناقشة وتمكين المحاورين من إبداء وجهات نظرهم بحرية دون مصادرة على رأى(١).

ب- قواعد الحوار:

القاعدة الأولى: فهم الآخر كما يريد أن يكون مفهوما.

القاعدة الثانية: أن يزداد الشخص تفهما لدينه كى يستطيع عرضه على الآخر بأسلوب مقنع مقبول.

القاعدة الثالثة: الإيمان الأصيل بالمطلق فإن ذلك يخرج الإنسان من عزلته، ويدعوه إلى علاقة أكثر قربًا واتصالا بباقى البشر.

القاعدة الرابعة: الممارسة. فإن هدف الدين ليس مجرد المعرفة ولكن التطبيق والممارسة(٢).

التزاما بهذه الأسس والمبادئ والآداب والقواعد ترتقى لغة الخطاب لكى تناسب هذا العصر الذى تتشابك فيه الآراء وتتداخل الأفكار.

(١) د. محمد السيد طنطاوى - أدب الحوار فى الإسلام- نهضة مصر- ١٩٩٧م ص ١٦-٣١.

(٢) د. وليم سليمان - الحوار بين الأديان- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م ص ١٦٨-١٧٧.

خامساً: إظهار وسطية الإسلام: (لا إفراط ولا تفريط، لا تهويل ولا تهوين):

دعوة الإسلام تقوم على التوسط والاعتدال وترفض المغالاة والتطرف، وقد خاطب المولى نبيه ومن تبعه من جماعة المسلمين بقوله : ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير* ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ [هود: ١١٢, ١١٣]، دعوة إلى الاستقامة والاعتدال وعدم الطغيان، وتحذير من الركون والائتناس إلى الظالمين من دعاة الانحراف والظلم والغلو والتطرف، ذلك أن الله مطلع على معتقدات القلوب وأعمال الجوارح، وقد سلب المغالين نصره وتأييده وعونه(١).

لقد جاءت آيات القرآن هادية ومرشدة للناس فى كل زمان ومكان وتعلن عن مكانة هذه الأمة ودورها فى قيادة البشرية حيث يقول جل علاه: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾[البقرة: ١٤٣].

يقول محمد فريد وجدى: «جعلناكم أمة وسطا أى خيارًا معتدلين. (وأصل الوسط اسم للمكان الذى تتساوى جوانبه، استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى إفراط وتفريط) وإنما جعلناكم كذلك لنسند إليكم مهمة عالمية جليلة الشأن، هى أن تكونوا شهداء على الناس فى تقصيرهم وغلوهم، ويكون الرسول عليكم شهيدًا.

هذا مثل أعلى من مثل الاجتماع لم ينزل به الوحى على أمة من الأمم غير الأمة الإسلامية، وإنه لأمر جلل يحق معه للأمة التى تنال هذا التقدير السماوى أن تبذل كل ما فى وسعها من علم وعمل للمحافظة عليه، ولا يمكنها ذلك إلا

(١) د. سعيد مراد- الفرق والجماعات الدينية فى الوطن العربى قديمًا وحديثًا- عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية ط ٢ ١٩٩٩م ص ٩.

بدوام مراقبة ذاتها، فى جميع حركاتها وسكناتها، والجرى على الطريق السوى فى رغباتها ونزعاتها والقيام على القسطاس المستقيم فى معاملاتها ومنازعاتها(١).

ويقول الشيخ محمد المدنى فى ذات السياق: «وسطية الإسلام، أى عدالته فيما جاء به من أحكام ومبادئ ومثل، وكونه قواما بين الأطراف، وميزانا للتعديل يرجع إليه الناس فى معرفة الخير والشر، والحق والباطل، والصالح والفساد، والاستقامة والاعوجاج والقصد والغلو، إلى غير ذلك من هذه المعانى المتقابلة التى يتعر لها الناس فى مختلف شئونهم ووجوه حياتهم. إن هذه «الوسطية» التى جعل الله المسلمين عليها حين تنزلت عليهم رحمته بهذا الدين، هى التى جعلت- أو من شأنها أن تجعل - المسلمين شهداء على الناس، كما تقول الآية الكريمة، أى أن هذه الشريعة بما فيها من أحكام معتدلة متوسطة وبما فيها من مبادئ قويمة، ومثل عالية ملائمة بين طبيعة الإنسان وما يجب أن يتكمل به ويسمو إليه من شأنها أن تكون أمة خيرة متوسطة مستقيمة على الجادة، لا انحراف لها فى شىء من الأشياء إلى طرف، ولا التواء لها فى أمر من الأمور عن الصراط السوى، فهى أمة لها طابع الاعتدال، قد مرنت عليه حتى أصبح سليقة لها، وشأنا من شئونها المميزة، وصلحت به لأن تكون أمة القيادة والتوجيه إلى المثالية الواقعية، وأن تكون أحكامها هى الفيصل حين يختلف الناس على الأحكام ومبادئها ومثلها هى المبادئ والمثل حين يختصم الناس فى المبادئ والمثل(٢).

ومن هنا يختلف الناس على ضرورة أن يتضمن الخطاب الإسلامى المعاصر هذه المفاهيم موضحًا للناس مظاهر وسطية الإسلام ومنها:

(١) محمد فريد وجدى - من معالم الإسلام- ص ٨٢.

(١) محمد محمد المدنى - وسطية الإسلام - سلسلة دراسات فى الإسلام- العدد الرابع - يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م ص ٧,٨.

١- المزاوجة فى طبيعة الإنسان بين الروح والجسد.
٢- الاعتراف بالواقع البشرى.
٣- مسايرة الفطرة وتهذيب الغرائز.
٤- بساطة العقيدة ويسر التكليف.
٥- تحديد الوضع الاجتماعى لكل من الرجل والمرأة.

بهذا نكون قد وصلنا إلى ختام هذا البحث الذى نستهدف به تحديد مقومات الخطاب الإسلامى المعاصر الذى يمكننا من أن ندخل فى حوار منتج بين حضارات أخرى تشاركنا العيش فى مجتمعنا المعاصر معلنين لهؤلاء الذين يظهرون العداء للإسلام والمسلمين بتشويه صورته لكل الوسائل والسبل ونجاحهم فى ذلك إلى درجة كبيرة نتيجة لغيبة الفكر الإسلامى الصحيح وتخلف الخطاب الإسلامى التقليدى الذى فرض على المسلمين فرضًا فى ظل الهيمنة الاستعمارية التى فرضت علينا التبعية وشجعت على التقوقع وحالت بين أبناء الإسلام وبين الثقافات والعلوم المعاصرة.

ونعتقد أن الوقت قد حان كى ينطلق الإنسان المسلم- مسترشدًا بالنص المنزل قرآنا وسنة- بحثًا عن مناهج جديدة وأساليب تتناسب مع العصر الذى نعيشه كى تبرز حقيقة الإسلام فى مقاصده الشريفة وغاياته النبيلة ومثله الواقعية التى تضمن استقامة الحياة.

***

وجهة نظر في
تطوير الخطاب الدينى
للأستاذ الدكتور/ نبيل السمالوطى(*)

يمثل تجديد الخطاب الدينى أو تحديثه مع الحفاظ على الثوابت الإسلامية وأخذ المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية المستحدثةفى الاعتبار، أهمية بالغة في فكر المواجهة للرد على ما يثار ضد الإسلام والمسلمين من مزاعم.

وهذه المعادلة تحتاج لجهد وشجاعة وتعمق فى العلوم الشرعية من جهة وتعمق فى العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية وأخذ المستجدات التكنولوجية فى الاعتبار من جهة أخرى. ولعل هذا يثير عدة قضايا تتصل بإعداد الدعاة وأهمية تأهيلهم التخصصى والاجتماعى والنفسى وتزويدهم بأساليب الفهم العلمى للمجتمع، وأساليب التعامل مع الجماهير والتأثير فيهم، والتعرف المنهجى على البناء الاجتماعى والثقافى للمجتمع الذى تعاملون معه. كذلك فإن هذا الموضوع يثير أهمية صياغة الخطاب الدينى بما يتفق مع فهم الناس وقدرتهم على الاستيعاب، ومع اهتماماتهم والإجابة عما يشغلهم من أمور الدين والدنيا.

والخطاب الدينى يجب ألا يسيء إلى العقائد الأخرى أو إلى الديانات المخالفة خاصة فى المجتمعات متعددة الأديان. هنا يجب التأكيد على الأدب القرآنى الذى يجب التأسى به فى الخطاب الدينى فى كل عصر. فعلى الرغم من تحريم وتجريم الإسلام لعبادة الأصنام، فقد نهى الله عن سب الأصنام التى يعبدها المشركون حتى لا يقابل المشركون هذا السب بالإساءة إلى المسلمين

(*) عميد كلية الدراسات الإنسانية ـ جامعة الأزهر بالدقهلية، ومقرر لجنة الندوات والمؤتمرات برابطة الجامعات الإسلامية.

بسب الله. قال تـعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. وهذا يعنى أن أمر الدعوة ليس خاضـعًا لاعتبارات عاطفية أو حـماسية فحسب، ولا لحسن النوايا فـحسب، وإنما يجب أن يخضع لمنهجية وتخطيط وفهم علمى للشرع وللواقع أو لفقه الشرع وفـقه الواقع. فقد يؤدى الإخلاص والحماس الخالى من المنهجيـة العقلانية إلى عكس المستهدف، وقد يؤدى إلى صراعات وفتن توقع المسلمين فى أزمات.

واستلهـامًا لأدب الخطاب القرآنى، فـإنه يجب انتقاء الكلمـات والتعبيرات التى لا تتصادم مع الأديان الأخرى، ولا تخدش الحياء، ولا تدعو إلى رزيلة ولا تسخر من فـضيلة. وهذا ما عناه القرآن الكريم فـى قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسـراء: ٥٣]. وفى قوله تـعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]. وهذا أيضًا ما عناه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وهناك عدة ملاحظـات يجب أخذها فى الاعتبار بصـدد الخطاب الإسلامى المعاصر، أهمها:

(١) يجب تحديد ماذا نعنى بالخطاب الإسلامى. فالمفهوم لا يجب أن يقتصر على الكلمـة المسموعـة أو المشاهدة، ذلك أن الخطاب يمتـد ليشـمل إلى جانب الأحـاديث والخطب والمواعظ والمحـاضرات والمنـاظرات والحوارات، جـوانب كثيرة يجب الاهتمام بها عند محاولة تجديد أو تحديث الخطاب الإسلامى. ومن هذه الجـوانب المهمـة إعداد المسلسـلات والأفـلام (دراما) بلغـات أجنبيـة ومن خلال استـخـدام أحدث التقنـيات والأساليب الحـديثة فى الإخـراج والتمـثيل

والتصوير، وبشرط كتابة النص بعناية فائقة بحيث يتفق مع الذوق الغربى ويحمل فى نفس الوقت الرسالة التى نريد أن نوصلها لهم. كذلك فإن الخطاب يتضمن نماذج واقعية ناجحة فى حياتنا يمكننا أن نقدمها لهم بوصفها إفرازاً للتمسك بالإسلام عقيدة وشريعة. ونحن وإن كنا متخلفين فى المجالات المادية والعلمية والتكنولوچية والاقتصادية مقارنة بالغرب لأننا ابتعدنا كثيراً عن التوجهات الإسلامية التى تحتم أن يكون المجتمع المسلم هو الأقوى مادياً (اقتصادياً وتكنولوچياً وعسكرياً)، فإن هناك العديد من النماذج المهمة التى يمكن أن نقدمها فى خطابنا مع الغرب والتى تؤكد تسامح الإسلام ووسطيته وبعده عن التعصب وتأكيده على السلام والحوار والتراحم واحترام حقوق الإنسان... ومن هذه الأمور التكامل الأسرى والحرص على الزواج الشرعى وحرص الأسر على رعاية الأبناء وقلة نسبة الأطفال غير الشرعيين، والرعاية الأسرية لكبار السن... إلخ.

إن المشكلة أن الغرب أخذ بالعديد من التوجهات الإسلامية مثل احترام قيمة العلم، والتخطيط، والوقت، والجودة، والإبداع العقلى، والإنتاج.. فنجح فى هذه المجالات لأنها سُنّة الله التى لا تتخلف. ولعل الإشكالية الكبرى أننا أهملنا هذه الجوانب فتخلفنا. هنا يصبح الخطاب الإسلامى المدعوم بالنماذج الواقعية الناجحة أمراً صعباً. هذا يعنى ضرورة السير فى خطين متوازيين وبسرعة. الأول محاولة الوصول إلى رجل الشارع فى الغرب بالكلمة والدراما والبرامج والاتصال به من خلال مختلف الوسائط الممكنة لبيان حقيقة الإسلام الصحيح. أما الأمر الثانى فهو محاولة تطبيق قيم وثقافة الإسلام فى واقعنا ـ وهذا هو الأهم ـ من خلال دعم ثقافة الديمقراطية وقيم التعليم والعلم والإتقان والجودة والتخطيط والجماعية... إلخ.

(٢) الخطاب الإسلامى الإلهى المصدر «القرآن الكريم والسُنّة الصحيحة» موجه فى الأساس إلى عقل الإنسان الناضج. فقد رفع القلم عن الصبى حتى

يكبر، وعن المجنون حتى يفيق. والخطاب الإسلامى يقتضى مخاطبة الناس بما يعرفون ويفهمون «خاطبوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله» وقد أوضح ابن مسعود أن مخاطبة الناس بما لا يتفق مع قدراتهم العقلية، وقدراتهم على الاستيعاب، أمر يؤدى إلى حدوث الفتنة. وقد طبق رسول الله ﷺ هذا. فبعد عودته عليه السلام من رحلة الإسراء والمعراج، حدث الناس بالتفصيل عن رحلة الإسراء لأنها أمر مفهوم ومعروف لهم، أما قضية المعراج فلم يحدث فيها الناس إلا بعد انتصار الإسلام وكثرة عدد المسلمين وتأهلهم عقليًا وإيمانيًا لفهم خطاب المعراج.

(٣) الخطاب الإسلامى له عناصر مهمة أبرزها ثلاثة:

اختيار الموضوع المناسب، فى المكان المناسب، فى الزمان المناسب، على أن يراعى المستويات العمرية والثقافية والاجتماعية لجمهور المتلقين. وهناك ثوابت فى الخطاب الإسلامى تتصل بالعقيدة والأخلاق والثوابت التشريعية. وهناك أمور عاجلة تقتضيها مستجدات أو أحداث معينة تتطلب بيان موقف الإسلام منها، وهنا لا يجب أن يتأخر البيان.

(٤) يجب مراعاة طبيعة الموقف فى تحديد مضمون الخطاب الإسلامى. فهنا أمور ثابتة بالكتاب والسنّة، وهى حق لا مراء فيه لكن الحكمة تقتضى عدم ذكرها أو الاقتراب منها تجنبًا لفتنة أو لحدوث مساوئ أو مفاسد. والمبدأ الإسلامى أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

(٥) يجب أن يتسم الخطاب الإسلامى بالوضوح واليسر والجاذبية للجمهور المستهدف. وهذا يتطلب أن يبتعد تمامًا عن التجريح أو استفزاز المتلقين للرسالة، أو الإساءة إلى الآخرين. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. قال تعالى: ﴿لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وكان الرسول ﷺ يوجه ويصحح الأخطاب بقوله: «ما بال أقوام تفعل كذا وكذا». فأسلوب الدعوة يجب ألا يثير عند جمهور المتلقين المعاندة أو الخصومة أو الرفض، كما يجب العمل بالحكمة على تقليل مقاومتهم لمضمون الدعوة بقدر الإمكان. والهدف من هذا التمكن من توصيل الحقائق إلى الجمهور المستهدف بالدعوة وتركهم يتدبرون الأمر لعلهم يهتدون.

(٦) يجب على الخطاب الإسلامى توضيح الفرق بين الإسلام كعقيدة وشريعة وأخلاق وبين واقع المسلمين. فالعديد من المسئولين عن الإعلام الغربى يقدمون صور التخلف التى يعانى منها المسلمين على أنها إفراز لدين الإسلام، والحق أنها إفراز للابتعاد عن جوهر الدين الذى يجعل الأخذ بالعلم وكل سبل التقدم المادى والمعنوى فريضة على المسئولين عن المجتمع المسلم، وعلى القادرين من أبنائه.

(٧) الخطاب الإسلامى ينقسم إلى قسمين: الأول هو الخطاب الإلهى متمثلاً فى القرآن والسُّنّة وهذا كمال مطلق. وهذا الخطاب يتفق مع المعاصرة على مر العصور إلى قيام الساعة. فقد نزل القرآن منجمًا حسب الأحداث المعاصرة فى زمنه، وهناك علم أسباب النزول، وقد وضع الخطاب الإلهى الكليات أو المبادئ أو الدستور الأساسى الصالح للتطبيق فى كل زمان ومكان. أما القسم الثانى من الخطاب الإسلامى فهو الخطاب البشرى وهو محاولة الإنسان فهم الخطاب الإلهى، ومحاولة استنباط الأحكام وهنا يدخل الاجتهاد وإمكان الاختلاف، وهنا أيضًا يعطى الإسلام مساحة كبيرة للعقل الإنسانى وللاجتهاد البشرى فى إطار الثوابت الإسلامية العقائدية والقيمية والتشريعية. وبشكل عام فإن عالمية الرسالة الإلهية تجعل الخطاب القرآنى معاصراً بصفة

دائمة، قادراً على استيعاب حركة الزمان والمكان ومتغيرات كل العصور، والنسبية الثقافية والاجتماعية والتاريخية... إلخ.

(٨) يجعل بعض الفقهاء المصالح المرسلة من بين مصادر التشريع الإسلامى بشروط ثلاثة، الأول عدم التصادم مع نصوص قاطعة الدلالة، والثانى أن تكون المصالح عامة لكل الناس وليست خاصة، والثالث أن تكون المصالح حقيقية وليست وهمية. وهذه المصالح تشمل أغلب مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوچية.. وهذا يعنى أن الخطاب الإسلامى يؤكد باستمرار على عنصر المعاصرة لأنه يراعى واقع الأمة والمتغيرات الدولية.

(٩) يجب أن يختلف الخطاب الإسلامى الداخلى (داخل المجتمعات الإسلامية) عنه فى المجتمعات غير المسلمة. وهنا يجب مراعاة ثقافة المجتمعات غير الإسلامية ونمط تفكير أبنائها والأساليب الناجحة للإقناع داخلها، وقدرتها على الاستيعاب. وفى كل الأحوال يجب مراعاة فقه الأولويات والبعد عن التشدد والاسترشاد بالتوجهات الإسلامية فى الحكمة والسماحة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن. ونبذ كل صور التطرف والتعصب وتأكيد حرية الإنسان حتى فى اختيار العقيدة «لا إكراه فى الدين».

(١٠) يجب ألا يتصدى للخطاب الإسلامى إلا المؤهلين لذلك شرعيًا واجتماعيًا ونفسيًا ولغويًا. ولعل هذا يتطلب إعادة صياغة مناهج كليات الدعوة فى العالم الإسلامى من أجل ضمان التمكن من اللغات الأجنبية ومن الفهم العلمى الاجتماعى للمجتمعات، ولمعرفة سيكولوچية متلقى الدعوة... إلخ.

(١١) يجب التنسيق بين المشتغلين بالخطاب الإسلامى الموجه للدول غير الإسلامية وأقصد هنا التنسيق بين الدول الإسلامية لرسم إستراتيچية إعلامية متفق عليها بين كل الدول الإسلامية، حتى لا يتناقض الخطاب الإسلامى الموجه للدول الأجنبية بين دولة إسلامية وأخرى. وهنا يجب تجاوز الخلافات الفقهية بين الشيعة والسنّة أو بين المذاهب أو بين الدول الإسلامية، حتى يكون الخطاب

أكثر فاعلية فى عرض حقائق الإسلام بعيدًا عن الخلافات السياسية والمذهبية والثقافية بين الدول الإسلامية.

(١٢) إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، وما شاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه. الدين الإسلامى بسيط يتفق مع الفطرة السوية والعقل الموضوعى. وهنا يجب الابتعاد تمامًا عن التشدد أو التعصب فى عرض حقائق الإسلام يجب الابتعاد تمامًا عن التشدد أو التعصب فى عرض حقائق الإسلام. فى سماحتها ووسطيتها واستهدافها لصالح الإنسان ـ مطلق إنسان فى الدنيا والآخرة. ويجب إبراز قبول الإسلام لكل الديانات السابقة وجعل الإيمان بكل الأنبياء والكتب السابقة شرطًا لصحة الإيمان الإسلامى، وإبراز القيم العليا للإسلام فى العدل مع الجميع وتحريم الاعتداء وتجريم الإرهاب والتطرف والعنف بكل أشكاله، وقبول الإسلام على كل الحضارات، على العكس من أغلب الحضارات والديانات الأخرى.

(١٣) الكثير من المستشرقين يعرفون حقيقة الإسلام، لكنهم يحاولون تشويه هذه الصورة سواء لأهداف شخصية أو تحت تأثير النفوذ الصهيونى والحملات الصهيونية التى تعد إعدادًا علميًا مخططًا بشكل محكم. هنا يجب على الخطاب الإسلامى الوقوف على مختلف الجوانب التى يركز الخطاب الصهيونى على إثارة شبهات حولها ودحض هذه الشبهات بشكل غير مباشر.. وبأسلوب سهل مبسط، وبأسانيد منطقية شرعية وعقلية، ومن خلال خطة علمية لا نبخل عليها بالأموال والإمكانات.

***



خصائص الخطاب الإسلامي المعاصر

أ.د/ عبد الملك منصور(*)

تمهيد:

١- أهمية الخطاب ودوره:

للخطاب عموما أهميته فى أنه بالإضافة إلى كونه وسيلة التواصل مع البشر، أفرادًا وجماعات، ولمختلف الأغراض فإنه يعد العامل الخارجى الأهم فى تشكيل البنية الذهنية أو التكوين العقلى للبشر كما يعد أحد المؤثرات الأساسية وأحيانا الوسيلة الوحيدة المتاحة لتوجيه الأفراد وتغيير المجتمعات. وقد شرف الله الخطاب بأن اختاره ليكون وسيلته للتواصل مع البشر وأشار إلى أهمية أثره ودوره بأن جعله كافيا لإقامة حجته على الناس أجمعين. ولا غرو والأمر كذلك أن يصبح الخطاب وخاصة فى عصرنا هذا أهم وسيلة للتنافس أو الصراع الدائر على عقول البشر.

ويمثل الخطاب الإسلامى المكون الأساسى للعقل المسلم كما إنه يشكل - أو هكذا يفترض- المصدر الأساسى لوعى الآخر (غير المسلم) بالإسلام. ومن هنا يبدو واضحًا ومفهوما أنه مهما يكن بالمسلمين من حال العلم أو الجهل، والرشاد أو الضلال، الوحدة أو الشقاق، والتحضر أو التخلف وكذا مهما يكن عليه وعى الآخر بالإسلام من حال العمق أو الضحالة، والسلامة أو التشوه، والصحة والزيف إنما يعكس أساسا حال الخطاب الإسلامى السائد. واستطرادًا للقول- لا يبدو بعيدًا عن الصواب الزعم بأن إشكالية الحضارة الإسلامية هى لدرجة كبيرة إشكالية خطابية. فالخلل فى فهم المسلمين للخطاب- الخطاب الشرعى- وما ترتب عليه من خلل فى الخطاب الإسلامى عموما كان من أهم

(*) وزير الثقافة والسياحة فى اليمن سابقًا.



بالإسلام هي علاقة تضاد وعداوة كالمنافق. وسواء بدت التبريرات السابقة كافية أو غير كافية لإمكان التوسع في مفهوم الخطاب الإسلامي على النحو المبين آنفًا فإنه يصح القول أنه لا ينبغي أن يطلق اسم الخطاب الإسلامي عند التحقيق إلا على ما صح مضمونه إسلاميا.

٣- مكونات الخطاب الإسلامي:

أيا كان مفهومه، يتكون مجمل ما يمكن أن يطلق عليه «الخطاب الإسلامي» من عنصرين أو مكونين متمايزين هما :

العنصر أو المكون الشرعي: ونعني به البيان الشرعي الذي جاء به الوحي الإلهي قرآنا أو سنة ثابتة.

العنصر أو المكون البشري: ويتعلق بما فهمه أو استنبطه البشر من البيان الشرعي فقها كان أو فكرا أو أدبا أو علما.

والمكون الشرعي هو أصل الخطاب الإسلامي لأنه - أولا- منشأ الخطاب الإسلامي ومبدؤه وهو جذره الذي سبق وجوده وجود الخطاب الإسلامي (المكون البشري) زمانا كما هو ثابت تاريخيا، و- ثانيا- لأنه صادر عن الأصل الذي هو الله أصل هذا الوجود كله و- ثالثا- لأنه شرعا وإسلاميا هو المرجع الذي يتعين أن يرد إليه ما سواه ويحتكم إليه فيه.

وإذا كان المكون الشرعي هو أصل الخطاب الإسلامي وجذوره فإن المكون البشري هو فصله أو فرعه ليس فقط لأن ذلك هو الحكم الشرعي الذي يقضي بخضوع المكون البشري للمكون الشرعي وإنما أيضًا لأن ذلك هو حكم المنطق الذي لا يقبل أن يكون ما كان من البشر فوق أو مساويا لما كان من عند الله وهو أيضًا حكم الواقع الذي يؤكد أن المكون البشري قد بدأ تاريخيا متفرعا عن المكون الشرعي ومؤسسا عليه.

والعلاقة بين المكون الشرعى والمكون البشرى للخطاب الإسلامى علاقة تتراوح بين التقارب حتى التماثل والتباعد حتى التغاير وربما التضاد.

ويكون التقارب بقدر تقارب مضامين المكون البشرى مع مضامين المكون الشرعى ومع أن هذا التقارب قد يتناهى إلى التماثل بين مضامين المكونين إلا أنه لا يبلغ التماثل الكامل بل يكون دائما تماثلا جزئيا و- فى بعضه - مؤقتا. وهو جزئى دائما لأن - أولا- من المستعصى على المكون البشرى أن يحيط فى أى وقت بكل معانى ومضامين المكون الشرعى إحاطة كاملة و- ثانيا- لأنه تماثل فى المعنى أو المضمون دون - وخاصة بالنسبة للقرآن - المبنى أو التعبير اللغوى الذى يعجز البشر أبداً عن إتيان مثله و-ثالثا- لأن المكون البشرى عادة لا يخلو تماما من الخطأ بينما يخلو منه تماما المكون الشرعى. وهو - أى التماثل- عادة ما يكون فى بعض جوانبه مؤقتا لأنه بينما يتطلب تماثل المكون البشرى مع المكون الشرعى أن يكون مضمون الأول متو افقا مع مضمون الثانى المناسب للظرف أو الزمان الذى وجد أو نشأ فيه مضمون الأول فإن من المعلوم ما يتميز به المكون الشرعى من أن بعض مضامينه ذات مناسبة ظرفية أى تتغير بتغير الظرف أو الزمان وهو الأمر الذى يجعل مضامين المكون البشرى التى كانت متوافقة معها فى ظرف أو زمان ما تصبح غير متوافقة وبالتالى، غير متماثلة معها فى الظرف أو الزمان الآخر.

ويكون التباعد فى العلاقة بين المكون البشرى والمكون الشرعى بقدر تباعد مضامين المكون البشرى عن مضامين المكون الشرعى وقد يزداد التباعد حتى تصبح مضامين المكون البشرى مغايرة تماما لمضامين المكون الشرعى وبحيث لا تصح تسمية أو اعتبار المكون البشرى عندئذ خطابا إسلاميا إلا مجازا.

يؤكد مجمل ما تمهد حقائق أساسية فى مقدمتها:

١ - ضرورة التمييز عند الحديث عن الخطاب الإسلامى بين مكونه الشرعى ومكونه البشرى.

٢- المكون الشرعى هو أصل الخطاب الإسلامى ومرجعيته هو - بحكم مصدره الربانى - كامل ولا يطاله العيب أو النقص.

٣- المكون البشرى قد يتماثل وقد يتباين مع المكون الشرعى مضمونا ولأنه -بحكم مصدره البشرى - لا يخلو من أوجه القصور الكامنة فى البشر فإنه يعد مصدر وأساس إشكاليات الخطاب الإسلامى عموما.

اختلال خصائص الخطاب الإسلامى:

بدا لى أن ما سبق تمهيد مناسب للحديث عن خصائص الخطاب الإسلامى المعاصر لوثاقة الصلة بينهما. ففى ضوء التمهيد السابق يغدو من اليسير، مثلا، التأكد من أن المعنى بخصائص الخطاب الإسلامى هنا هو أساسًا خصائص المكون البشرى للخطاب الإسلامى لأن من المعلوم أن الباعث للحديث عن الخصائص هنا هو الشعور بوجود إشكالية تتعلق بخصائص الخطاب الإسلامى وواضح من التمهيد السابق أن أى إشكالية تتعلق بالخطاب الإسلامى مصدرها هو بالضرورة المكون البشرى وليس المكون الشرعى للخطاب الإسلامى.

وتأسيسا على ما تمهد من أن حال الواقع القائم إنما يعكس حال الخطاب السائد يبدو جليا أن ما يعانيه الواقع الإسلامى القائم من مشكلات وأزمة تمتد إلى مختلف جوانبه لا يدع مجالا للشك فى أن الخطاب الإسلامى السائد حاليا خطاب إشكالى ومأزوم. ويُشْكل الخطاب ويتأزم عندما تختل سماته وخصائصه وتقوم بين هذه السمات والخصائص المختلة والواقع المأزوم علاقة طردية تكرس تأزم الواقع بقدر ما تكرس اختلال سمات وخصائص الخطاب.

عندما يصبح الخطاب مأزوما لاختلال فى سماته وخصائصه لا يعد فى الإمكان معالجة وضع هذا الخطاب إلا من خلال تحريره من تلك الخصائص المختلة أوغير المرغوبة وإكسابه الخصائص السليمة أو المرغوبة. ومن الواضح أن ذلك يتطلب، فيما يتطلب، تحديد كل من الخصائص المختلة أو غير المرغوبة

والخصائص السليمة أو المرغوبة. ولعل أول مسألة تواجه محاولة التحديد العلمى الدقيق لتلك الخصائص هى مسألة تحديد طريقة أو منهج المقاربة، أى كيف وبأى منهج يمكن تحديد تلك الخصائص. وتعود أهمية تحديد منهج المقاربة إلى ما هو معلوم من أن من شأن اختلاف مداخل ومناهج الدراسة أن يستتبع اختلافا- قد يكون محدودا وقد يكون واسعًا- فى تحديد خصائص الخطاب.

مداخل تحديد خصائص الخطاب:

يبدو أنه يمكن حصر المداخل المحتملة لتحديد خصائص الخطاب، سواء الخصائص المختلة أو الخصائص السلمية، فى ثلاثة مداخل عامة هى :

١- المدخل الاعتباطى: ونعنى به تحديد الخصائص اعتباطا ودون الاستناد إلى مرجعية منهجية واضحة وأكثر ما تتأثر عملية التحدد فى هذه الحالة بالانطباعات والملاحظات الأولية والرغبات الشخصية والمقارنة بالنماذج المتحققة سواء منها التاريخية أو المعاصرة.

٢- المدخل الأيديولوجى: ونعنى به خضوع عملية تحديد الخصائص، سواء عن قصد ووعى أو عن غير قصد ووعى، لالتزام أيديولوجى أو مذهبى معين خضوعا يخل بالموضوعية . وفى مثل هذه الحالة فإن من المؤكد أن تختلف الخصائص التى سيحددها للخطاب الإسلامى- مثلا- دعاة المذاهب الدينية الماضوية من المسلمين عن تلك التى سيحددها له أنصار مذاهب التفسير المادى للإسلام أو أتباع العلمانية والتغريب من المسلمين.

٣- المدخل الموضوعى: ويتمثل فى تحديد خصائص الخطاب المنشود وفقًا لإطار علمى غير اعتباطى و- فى نفس الوقت- متحرر من أى إسار أيديولوجى أو مذهبى يستتبع إخلالا بالموضوعية العلمية.

ويتطلب المدخل الموضوعى والذى لا شك يمثل الاختيار الأصوب بلورة أو

تحديد أسسه العلمية وفى تقدير هذه الورقة يمثل تحديد المثال المرجعى الذى يتيح تجديد كل من الخصائص المختلة والخصائص السليمة للخطاب المعنى تحديدا صائبا، أهم أسس المدخل الموضوعى.

المثال المرجعى للخطاب الإسلامى:

لعل من غير العسير فى ضوء ما تمهد تبين أن المثال المرجعى بالنسبة للخطاب الإسلامى يتحدد بالمكون أو البيان الشرعى. وكما أن من الواضح أن من غير المقبول تحديد هذا المثال المرجعى بأى إطار آخر من خارج الإسلام لأن ذلك - ببساطة - سيفضى إلى خطاب آخر يتعين نسبه إلى ذلك المثال المرجعى وليس إلى الإسلام لأنه لن يعود خطابا إسلاميا، من غير المقبول أيضًا تحديد المثال المرجعى بالمكون البشرى من الخطاب الإسلامى لكون ذلك يتعارض مع المنطق لما فيه من تقديم البشرى على الإلهى وتقديم الفرع على الأصل كما يتعارض مع الشرع الذى يقضى بهيمنة البيان الشرعى (المكون الشرعى) على ما عداه وبمرجعيته لكل ما هو نتاج أو اجتهاد بشرى . وفى الواقع فإن تقديم المكون البشرى على المكون الشرعى للخطاب الإسلامى لا يخلو من أن يكون مضاهاة محظورة أو تقليدا محرما لما نعاه الله على أهل الكتاب من تقديمهم لخطاب أحبارهم ورهبانهم (المكون البشرى) على خطاب الله (المكون الشرعى) «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله».

وإذا بدا واضحًا أن تقديم المكون البشرى على المكون الشرعى ليس مقبولا فإن من غير المقبول أيضًا المساواة بينهما واتخاذهما معا- كما قد يرى البعض- مثالا مرجعيا لأن مثل هذه المساواة محظورة شرعا كما أن ما بين المكونين من تناقض يجعل محاولة الجمع بينهما غير ممكنة عمليا وعادة ما تنتهى إلى تقديم أحدهما على الآخر على الأقل فى حالات التناقض.

وتحديد المثال المرجعى للخطاب الإسلامى بالمكون الشرعى يقتضى أن تمثل

خصائص المكون الشرعى المعيار الذى يتم على أساسه اكتشاف أوجه الاختلال فى خصائص الخطاب الإسلامى السائد والمثال الذى ينبغى أن تتغياه خصائص الخطاب الإسلامى المنشود.

وليس المقام لتفصيل القول فى خصائص المكون أو الخطاب الشرعى. بيد أن من المفيد أن نشير هنا بإيجاز إلى أن كون أى خطاب إنما يستمد خصائصه من مصدره يعنى أن المكون الشرعى قد أكسبه مصدره الربانى خصائص ربانية خاصة لا تتوفر لغيره من مثل الشمولية والثبات المشفوع بالمرونة والصلاحية لمختلف الأزمنة والأحوال.

ومن شأن مقارنة خصائص الخطاب الإسلامى السائد بخصائص المكون الشرعى للخطاب الإسلامى أن يكشف أوجه الخلل ويبين الخصائص المختلة. ولا يدخل حصر وشرح الخصائص المختلة للخطاب الإسلامى السائد ضمن صلب اهتمام هذه الورقة.

تحديد خصائص الخطاب الإسلامى المعاصر:

هناك عاملان أساسيان يوجهان تحديد الخصائص المطلوبة للخطاب الإسلامى المنشود وهما:

١- المثال المرجعى: وقد تم بيان أن هذا المثال المرجعى يتمثل فى المكون الشرعى للخطاب الإسلامى.

٢- الواقع القائم: ونعنى به أحوال العصر أو الواقع الوجودى بمختلف أبعاده الاجتماعية والثقافية والقانونية والفكرية والعلمية والاقتصادية والسياسية و.. إلخ. ومن الواضح أنه بهذا المعنى العام يشمل أيضًا واقع الخطاب الإسلامى القائم.

فمن خلال دراسة المثال المرجعى (المكون الشرعى) نستطيع أن نكتشف ما ينقص الخطاب الإسلامى من الخطائص التى ينبغى أن يتسم بها. كذلك من

شأن دراسة الواقع القائم أن تظهر لنا الخصائص المطلوبة على المثال المرجعى نستطيع تحديد مدى مشروعيتها واستيضاح مختلف أبعادها.

وبشكل عام فإن الخصائص التى يتعين على الخطاب الإسلامى المنشود أن يتسم بها يمكن التمييز بينها من حيث علاقتها بالخطاب الإسلامى الموروث إلى ثلاثة أنواع هى :

الخصائص الظاهرة:

من المعلوم أن الخطاب الإسلامى (المكون البشرى) نشأ فى البداية متسما بخصائص المكون الشرعى. وقد سجلت هذه الخصائص حضورا ظاهرا فى الخطاب الإسلامى فى بداية عهده، ولكن ومع مرور الزمن فقد الخطاب الإسلامى بعض تلك الخصائص وذلك نتيجة لعوامل أساسية ثلاثة هى :

تغير الوضع أو الواقع الذى لاحظه الخطابَ الإسْلامى ونَظَّر أو شَرَّع له فى بدايته :

إن بعض الوضع أو الواقع الذى لاحظه وراعاه الخطاب الإسلامى الموروث اختفى أو كاد على الأقل قانونيا (الرق وبعض المقاييس مثلا) مما جعل ما يتناوله من الخطاب الإسلامى الموروث غير ذى صلة بالواقع المعاصر. والبعض الآخر من ذلك الواقع شهد تغيرا كبيرا لم ينه وجود ذلك الواقع بل ربما رسخه ولكنه أحال ما تضمنه الخطاب الإسلامى الموروث بخصوصه غير مناسب للمرحلة المعاصرة من ذلك الواقع (مثل العلاقة بالآخر غير الإسلامى عموما). وهكذا فقد الخطاب الإسلامى، مثلا، خاصية المعاصرة والتى كانت متوفرة له ويتمتع بها فى بداياته.

ظهور وقائع يبدو أنه لم يتناولها الخطاب الإسلامى الموروث مباشرة أصلا:

من الواضح أن هنالك بعض الوقائع والمستجدات التى ظهرت فى وقت متأخر عن فترة تكون الخطاب الإسلامى الموروث وبعضها لم تظهر إلا حديثا (مثل بعض المعاملات الاقتصادية الجديدة وبعض المستجدات الطبية والعلمية). وقد ترتب على ظهور بعض الوقائع والمستجدات التى لم يتناولها الخطاب

الإسلامى الموروث ولم يعالجها بعد الخطاب الإسلامى السائد علاجا ناجعا أن أصبح الخطاب الإسلامى يفتقر لما كان يتسم به فى أول عهده من خصائص مثل الشمولية والإبداع والابتكار.

هيمنة المكون البشرى:

تميز الخطاب الإسلامى فى بداية أمره بأنه كان خطابا مستمدا مباشرة من المكون أو الخطاب الشرعى الذى هو أصل الخطاب الإسلامى ، إلا أنه ومع تراكم المكون البشرى وسهولة الرجوع إليه فى معرفة الأحكام اليومية بدأ يقل الرجوع إلى الأصل أى المكون الشرعى مباشرة بينما بدأ يزداد الرجوع إلى الفرع أى المكون البشرى ليس فى معرفة الأحكام فقط وإنما حتى فى استنباطها وإقرار شرعيتها أو عدم شرعيتها. ومع مرور الزمن اكتسب هذا الفرع أى الخطاب البشرى أو بعضه عند كثيرين بعض قدسية الأصل أى المكون الشرعى وأصبح التوافق مع هذا الفرع أو عدم التعارض معه أمرا لازما لقبول أى خطاب إسلامى جديد. وهكذا ضعفت صلة الخطاب الإسلامى بالأصل، وبالتالى ، فَقَدَ أو ضَعُفَ حظه من ما كان يستمدها من أصله سابقًا من خصائص الأصالة (التأصيل)، والتنوع، والأولوية أى مراعاة الأولويات، وغيرها.

الخصائص الضامرة:

هناك بعض خصائص المكون الشرعى التى ربما لاحظها علماؤها السابقون وأدركوها وربما أن بعضهم كتب عنها أو مارسها عمليا. بيد أنه وعلى النقيض من الخصائص الظاهرة المذكورة آنفًا ظلت هذه الخصائص ضامرة ولم تسجل حضورا ظاهرا فى التيار العام للفقه الموروث باعتبارها خصائص وليس مجرد

مضامـين عابرة. ومن أهم تلك الخصائص الحوارية أو التحـاور أى كون الحوار سواء مع الذات أو الآخر (غير المسلم) يمثل توجـها ونهجًا أساسيا للمكون أو الخطاب الشـرعى. وربما كـان ضمـور خاصيـة الحوار فى الخطاب الإسـلامى الموروث مظهـرا من مظاهر ضـعف حظ هذا الخطاب من خـاصيـة أخـرى من خصـائص المكون الشـرعى وهو خاصـية التـوازن، إذ يبدو أن هذا الخطـاب قد غفل بعض الشىء عن التـوازن الذى يبديه بوضوح المكون الشرعى بـين الجهاد الحوارى والجهاد القتالى. وقد يعود ذلك لتأثر الخطاب الموروث بكون الظروف التاريخية التى ظهر فيها الإسلام انتهت إلى اضطرار الرعيل الأول من المسلمين إلى الدخـول فى سلسلة من الجهـاد القتـالى الذى برز عمليـا بروزًا أوضح من الجهـاد الحوارى الذى التزمـه وحده المسلمون سنين عـددا قبل أن يضطروا إلى الجمع بينـه وبين الجهاد القـتالى. ومن الخـصائص الضامـرة أيضًا التـرابطية أى كون الخطاب الشـرعى يربط بين مختـلف مضاميـنه ربطًا وثيقًا يُظْهـر بوضوح التـداخل المحكم بين شـتى مسـائل أو جـوانب العقـيدة والـعبـادة والمعامـلات والأخلاق، و..إلخ ليس على مستوى المضـمون والأحكام فقط وإنما حتى على المسـتـوى الشكلى حـيث نجـد الخطاب الشـرعى يعـرض هذه المضـامين مـعـا ومـتداخلة مع بعـضهـا البـعض وغيـر منفصـلة أو مجـزأة وفى المقابل لا نجـد الخطاب الموروث لاحظ بما يكـفى هذا التـرابط وهو يعرض مـضـامـين المكون الشرعى مـجزأة إلى أبواب يركز على بعـضها كالـعبادات والسيـر دون البعض الآخر كالأخـلاق الأمر الذى يبدو أنه أعطى عـامة المسلمين إشارة خـاطئة عن مدى أهمية هذا البعض الأخير وخاصة الأخلاق فى السلوك العملى للمسلم.

الخصائص الغائبة:

يتمـيز المكون الـشرعى للخطاب الإسـلامى بثرائه وعـمق وسعـة مضامـينه

وخصائصه التى تتكشف للعقل البشرى بقدر تطوره وتعمقه فى دراسته وتوفيق الله له. ومن هنا فإن من المؤكد أن الخصائص التى تسنى للخطاب الإسلامى الموروث اكتشافها أو التعرف عليها ليست هى كل خصائص المكون الشرعى وأن على العقل المسلم اليوم أن يستفيد من ما اكتسبه الفكر البشرى عموما من تطور عما كان عليه فى الماضى فى اكتشاف واستنباط المزيد من خصائص المكون الشرعى ويعكسها فى الخطاب الإسلامى.

وتشير بعض المحاولات الدراسية الحديثة إلى أن الخطاب الشرعى ربما يكمن فيه أيضًا بعض الخصائص التى برزت واضحة حاليا فى الخطاب البشرى المعاصر عموما ، ومن تلك الخصائص، مثلا خاصية التنظير العمومى أو الكلى (النظريات) وخاصية المستقبلية أى الاهتمام بشكل علمى بالتطورات المستقبلية المحتملة وإجراء التخطيط اللازم بشأنها.

ولا يسع المقام لتفصيل القول عن مفاهيم مجمل الخصائص المشار إليها آنفًا ولا عن أدلتها ومظاهر خاصيتها فى المكون الشرعى ولا عن مظاهر واثار أو عواقب افتقار الخطاب الإسلامى المنشود إلى استعادة الخصائص التى ظهرت ثم خبت، وتعزيز وترسيخ الخصائص التى بقيت ضامرة، واكتشاف وبلورة الخصائص التى ظلت غائبة.

كذلك تحتاج مسألة كيفية إكساب الخطاب الإسلامى المنشود الخصائص المذكورة وغيرها إلى معالجة خاصة لا تدخل ضمن أولويات هذه الورقة. على أن مما يمكن الإشارة إليه هنا بهذا الخصوص أن المدخل الذى لابد منه للوصول إلى تلك الخصائص واكتسابها هو التأصيل المباشر للخطاب الإسلامى وذلك بجعل الأصل أى الخطاب الشرعى هو المصدر المباشر للخطاب الإسلامى ومرجعتيه . وإذا ما تم ربط الخطاب الإسلامى بالمكون الشرعى مباشرة من خلال عملية التأصيل سيكسب المكون الشرعى هذا الخطاب خصائصه المشار إليها آنفًا.

ويحتاج عملية التأصيل المذكورة إلى:

١ - استيعاب الواقع المعاصر استيعابا سليما من خلال منهج علمى موضوعى يتتبع جذور هذا الواقع ومساره ويكشف جوهره وروحه ويميز حقائقه الموضوعية عن أوهامه الخيالية أو المؤقتة ويستشرف آفاقه وتوجهاته المستقبلية.

٢- بلورة معالجة مناسبة للواقع المعاصر والتنظير له فقها وفكرًا بناء على قراءة مباشرة للبيان أو المكون الشرعى وفق مناهج استنباط إسلامية جديدة أو مطورة تستعين وتستأنس ولكن لا تلتزم بالضرورة بمضامين ومناهج الخطاب الإسلامى الموروث.

***

التقنية الحديثة، فى التخطيط للرسالة الإعلامية التى تقدم الإسلام للعالم كله دون تحريف أو تشويه.

ولتحقيق هذا الهدف نتناول الأوضاع الإعلامية التى تقدم الإسلام للعالم كله دون تحريف أو تشويه.

ولتحقيق هذا الهدف نتناول الأوضاع الإعلامية فى العالم خلال القرن العشرين فى المبحث الأول من هذه الدراسة. ونعرض فى المبحث الثانى التحديات التى واجهت الإعلام الإسلامى فى هذا القرن.

أما المبحث الثالث فيسعى إلى وضع إستراتيجية مستقبلية للإعلام الإسلامى خلال القرن الحادى والعشرين فى ضوء التغيرات المتلاحقة، والتى تفرض على المخططين والمنفذين المواءمة المستمرة بين الخطط التفصيلية والتطورات السريعة فى الأوضاع الإعلامية فى عالم الغد.

***

المبحث الأول
الأوضاع الإعلامية فى العالم خلال القرن العشرين

الاتصال ضرورة حتمية لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات البشرية. ولو فقد الاتصال بين الناس لتعذر ظهور الحضارات الإنسانية، ولما تحققت السمات الثقافية المتميزة لأى مجتمع. لقد كان ظهور التجمعات البشرية نتيجة لبداية عملية التفاهم الإنسانى باستخدام الإشارات Signals وتلا ذلك تطور على جانب كبير من الأهمية فى ارتقاء هذا التفاهم حينما بدأ استخدام اللغة. ثم كان التطور الأكثر أهمية متمثلا فى الكتابة كوسيلة لنقل الحقائق والأفكار إلى الغير.

وإذا كان اختراع الكتابة قد حفظ لنا تاريخ الإنسانية أو تراثها الثقافى، فإنه بلا شك لم يستطع أن يعمل على نشر الثقافة فى العصور الخالية على نطاق واسع. فالكتاب المخطوط كان شيئًا نادرًا باهظ التكاليف وبالتالى لا يمكن أن يقتنيه إلا صفوة الصفوة.

وكانت الثورة الأولى فى وسائل الاتصال متمثلة فى اختراع جوتنبرج للطباعة فى منتصف القرن الخامس عشر، ثم تطورت الطباعة تدريجيا حتى وصلت إلى شكلها الحالى الذى أثمر ظهور صحافة الملايين التى تطبع ملايين النسخ فى ساعات قليلة وتوزعها فى ساعات أقل.

وقد عرف العالم المذياع (الراديو) فى بداية العشرينيات من هذا القرن، وانتشرت هذه الوسيلة الإعلامية فى الثلاثينيات انتشارا كبيراً وظهرت الإذاعة المرئية (التليفزيون) قبل بداية الحرب العالمية الثانية وانتشرت على مستوى تجارى فى أعقاب الحرب، ثم بدأت انتشارها الواسع فى الخمسينيات والستينيات، وقد أصبح من الممكن أن تنتقل الأحداث بالصوت والصورة فى نفس لحظة وقوعها تقريبًا عن طريق الأقمار الصناعية للاتصالات التى بدأت

انتشارها فى أكتوبر عام ١٩٦٢ حينما تم إطلاق القمر تلستار Telestar [١].

ولقد فتحت أقمار الاتصالات آفاقا واسعة أدت إلى تطوير أبنية الاتصال على المستويين الوطنى والدولى، كما أدت فى الوقت ذاته إلى سيطرة الدول الكبرى بإمكاناتها الهائلة فى صناعة الاتصال على الإعلام الدولى خاصة مع التفوق الكبير لوكالات الأنباء العالمية على الوكالات المحلية فى جمع ونشر الأخبار والمعلومات والأفكار.

وقد ساهم هذا التقدم الهائل فى وسائل الاتصال فى تقريب المسافات بين بقاع العالم المختلفة حتى أصبح العالم من الناحية الإعلامية أصغر مما هو فى الواقع نتيجة لسرعة تداول الأنباء وانتقال المعلومات والآراء. وعلى صعيد آخر فقد أدى تطور وسائل المواصلات وطرق النقل الحديثة وتقدم المواصلات السلكية واللاسلكية التى تُيَسر الانتقال المادى بين سكان العالم. لقد أصبحت عملية الانتقال بين دول العالم فى هذا العصر أشبه بعملية الانتقال بين قريتين متجاورتين فى العصور السابقة.

لقد قيل إن العالم أصبح الآن أشبه بقرية إعلامية، ما يحدث فى أى بيت من بيوتها يتردد صداه فى جميع بيوت القرية، بفضل التقدم الهائل فى وسائل الاتصال والمواصلات.

ولقد لعبت وسائل الاتصال الجماهيرية دورا كبيرًا فى نقل الثقافات المختلفة بين مجتمعات العالم، وتقريب المسافات الفكرية، وتحطيم الحواجز المصطنعة. وقد ترتب على هذا كله تزايد معرفة المجتمعات بما يجرى فى بعضها البعض، مما أدى إلى تفهم الاختلافات فى بعض الأحيان، واتساعها أحيانا أخرى، فحينما تستغل الأنظمة الحاكمة فى بعض المجتمعات ما لديها من وسائل اتصال واسعة الانتشار فى تعبئة مشاعر الكراهية لغيرها من الأنظمة، وإثارة النزعات

(١) علي عجوة(دكتور): الأسس العلمية للعلاقات العامة، الطبعة الثالثة، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٥ ص ٥.

العدوانية ضدها، تتسع هوة الخلاف، وتحتدم الصراعات التى تؤدى إلى الصراع المسلح فى بعض الأحيان.

وتستطيع وسائل الاتصال الجماهيرية من خلال ما تقدمه من موضوعات تتصل بأنماط الحياة فى المجتمعات الأخرى، أن تنقل الأفراد من عالمهم المحدود إلى عالم أرحب وأوسع. ويؤدى هذا الانتقال إلى معرفة هؤلاء الأفراد بأساليب الحياة فى بعض المجتمعات المتقدمة، فينمو لديهم الاستعداد للأخذ عنها، كما تنمو عندهم القدرة على التقمص الوجدانى Empathy أى القدرة على تصور الفرد لنفسه فى ظروف الآخرين أو تصوره لدوره وأدوار الآخرين فى المجتمع(١).

لقد ترتب على هذا التطور الكبير لوسائل الاتصال والمواصلات تزايد معرفتنا بأجزاء العالم المختلفة، لكن هذه المعرفة ليست عادلة فى معظم الحالات بالنسبة للمجتمعات المختلفة كانعكاس طبيعى لتأثير القوى الكبرى فى التدفق الإعلامى والتأثير الثقافى.

إننا نعلم الكثير عن الولايات المتحدة الأمريكية، أو بريطانيا، أو فرنسا أو غيرها من الدول الأوروبية الكبرى، ولكننا لا نعلم إلا القليل عن بعض الدول الإفريقية المجاورة أو القريبة منا، بل إننا ربما لا نعلم القدر المعقول من المعرفة عن المجتمعين العربى والإسلامى اللذين ننتمى إليهما.

ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى التفوق فى استخدام وسائل الاتصال الجماهيرية من جانب الدول الكبرى، وهو ما يجعل المسافة الإعلامية بينها وبين الدول الصغرى البعيدة أقصر بكثير من المسافة بين هذه الدول المتجاورة. وهو ما ينعكس أيضًا على اختلاف المسافة بين دولتين باختلاف اتجاه الاتصال بينهما. فالمسافة الإعلامية بين واشنطن والقاهرة مثلا أقصر بكثير من المسافة

(١) على عجوة (دكتور): العلاقات العامة والصورة الذهنية، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٣ ص ٢٠،ص ٢١.

الإعلامية بين القاهرة وواشنطن رغم أنها مسافة واحدة من الناحية الجغرافية.

وهذه هى مشكلة الدول النامية- ومعظم الدول الإسلامية تندرج فى إطارها- إنها لا تستطيع أن تنقل صوتها إلى شعوب الدول المتقدمة بنفس القدرة التى تتمكن بها حكومات الدول المتقدمة من التأثير على شعوب الدول النامية[1].

إن سيطرة الدول الكبرى على وسائل الاتصال المتطورة قد أثار بعض المفكرين فى نفس هذه الدول بالإضافة إلى مفكرى الدول النامية نفسها وجعلهم ينادون بالبحث عن وسيلة مناسبة لتحقيق التوازن فى تدفق الاتصال بين دول العالم المختلفة وتخفيف سيطرة القوى الكبرى على اتجاهات التدفق الإعلامى. وقد ازداد الموقف تعقيداً بعد خروج ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى من ساحة المنافسة فى السيطرة الإعلامية على العالم وعدم معرفة القوى الجديدة التى ستدخل المنافسة. هل سيكون من بينها الوريث الأقوى للاتحاد السوفيتى؟ أم سيدخل فى المنافسة أعضاء جدد من أوروبا الغربية أو آسيا. وأيا ما كانت الإجابة فلا شك أننا فى جميع الأحوال نواجه إعلاما يملك إمكانات هائلة ودعاية تسعى لفرض سيطرتها وتفوقها على المستوى الدولى.

ولعل أسوأ ما فى هذه الدعاية هى الحيز الواضح والصريح ضد المسلمين والأفارقة والعرب فالمسلمون محكوم عليهم من كبريات الصحف الغربية بالبلاهة والتخلف الفكرى. والسود هم فى مرحلة بدائية وأقرب ما يكونون إلى الحيوانات. أما العرب فهم أسوأ المخلوقات وأحقرها ولا يمكن ترتيبهم من حيث العرق إلا فى أسفل الدرجات[2].

وبعد محاولات متعددة لفضح هذا الاختلال الإعلامى أقر المؤتمر العشرون لليونسكو عام ١٩٧٨ الإعلان الخاص بالمبادئ الأساسية المتعلقة «بمساهمة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢.

(٢) مصطفى المصمودى (دكتور): النظام الإعلامى الجديد. عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٥ ص ١٩.

وسائل الإعلام فى دعم السلم والتفاهم الدولى وصيانة حقوق الإنسان ومقاومة التمييز العنصرى والتحريض على الحرب(١).

وكان هذا الحدث بمثابة خطوة هامة نحو إرساء نظام عالمى جديد للإعلام والاتصال وأول وثيقة رسمية للأمم المتحدة تولى مطامع البلدان النامية اهتماما بشأن تغيير النظام الحالى فى ميدان الاتصال وتحديد أفضل الواجبات وحقوق وسائل الإعلام.

غير أن هذا الاهتمام لم يترجم إلى وثيقة رسمية ولم يتجاوز إرساء القواعد الأولى لمفهوم النظام العالمى الجديد للإعلام فى المؤتمر الحادى والعشرين من خلال لائحة تمت المصادقة عليها فى شبه إجماع.

وقد ورد فى هذه اللائحة الدعوة إلى:

١- القضاء على اختلال التوازن وأوجه التفاوت التى يتسم بها الوضع الراهن.

٢- إزالة الآثار السلبية لبعض الاحتكارات العامة أو الخاصة وأوضاع التركيز المفرط.

٣- تذليل العقبات الداخلية والخارجية التى تحول دون التداول الحر والانتشار الأوسع نطاقًا والأكثر توازنا للمعلوما ت والأفكار.

٤- تعدد مصادر المعلومات وقنوات الإعلام.

٥- حرية الصحافة والإعلام.

٦- تمتع الصحفيين وجميع المهنيين العاملين فى وسائل الاتصال بحرية لا تنفصل عن المسئولية.

٧- تدعيم قدرة البلدان النامية على التوصل إلى تحسين وضعها الخاص ولا سيما عن طريقة التزود بالمعدات وتدريب أطرها وتحسين بناها الأساسية، وجعل وسائل الإعلام والاتصال الخاصة بها قادرة على الوفاء باحتياجاتها وتطلعاتها.

(١) المرجع السابق ص ٢٣.

٨- الرغبة الصادقة من جانب البلاد المتقدمة فى مساعدتها على بلوغ هذه الأهداف.

٩- احترام الذاتية الثقافية لكل أمة وحقها فى إعلام الرأى العام العالمى بمصالحها وأمانيها وقيمها الاجتماعية والثقافية.

١٠- احترام حق جميع الشعوب فى الاشتراك فى التبادل الدولى للمعلومات على أساس المساواة والعدالة والمصلحة المتبادلة.

١١- احترام حق الجمهور والفئات الاجتماعية والأفراد فى الانتفاع بمصادر المعلومات وفى المشاركة الفعالة فى عملية الاتصال.

وقد حاولت الدول النامية عرض نص إضافى يطلب من المدير العام لليونسكو دراسة إمكانية إعداد إعلان يعرف بصورة أدق بالنظام العالمى الجديد للإعلام والاتصال ويعرض على الدورة الثانية والعشرين لمؤتمر اليونسكو عام ١٩٨٣، ولكن تهديدات الدول الغربية بالانسحاب من اليونسكو حالت دون خروج هذا النص إلى حيز التنفيذ[١].

والخلاصة أن النوايا الطيبة والأحلام السعيدة للدول النامية لم تجد لها سنداً يؤيدها فى مجال التنفيذ الفعلى، وبالتالى لم تتحقق حتى الآن أية بوادر لتحقيق الديمقراطية الإعلامية وإقرار حق الاتصال، وضمان حرية تدفق الإعلام العلمى، وبصفة عامة إيجاد توازن فى التبادل الإعلامى بين الدول المتقدمة والنامية.

ولا يقتصر الاختلال الإعلامى على المستوى العالمى بين الدول المتقدمة والنامية فقط، وإنما تمتد آثاره إلى داخل الدول النامية نفسها. فالبناء الاتصالى فى هذه الدول يتسم بالمركزية الشديدة حيث يوجه الاتصال من العاصمة إلى كافة مدن وقرى الدولة. وما ينطبق على الدول النامية بصفة عامة ينطبق على الدول العربية باستثناء عدد قليل منها كالمغرب والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وجمهورية مصر العربية فإمكانات البث والنشر مركزة فى العاصمة فى أغلب الدول العربية والإسلامية.

---

(١) المرجع السابق ص ١١١- ١١٤.

كـما يؤثر ضـعف البرامج الاتصـاليـة وضآلة الإنتـاج العربى الإسـلامى فى المجال التليفـزيونى على نوعية البرامج التى تعرضهـا قنوات التليفزيون فى هذه الدول. فبـعض هذه الدول يعتمـد على استيـراد البرامج التى قد لا تتـفق القيم التى تحـملهـا فى أغلب الأحوال مع الـقيم الإسـلامـية والاهتـمـامات الوطنيـة لشعوب هذه الدول وهذا يتـيح الفرصة مرة أخرى لسـيادة الإنتاج الفنى للدول المتقدمة على الدول النامية باختيار القائمين على أمور الاتصال فى هذه الدول.

يضاف إلى ذلك ما تنقله أقمار البث المباشر من برامج يتلقاها مواطنو الدول النامـية بكـل ما يمكن أن تحـمله هذه البـرامج من قـيم تتعـارض فى كـثيـر من الحالات مع القيم الإسلامية والاهتـمامات الوطنية. ولا شك أن ضعف البرامج الوطنيـة وتكرار الكثير منـها فى بعض الدول نتيـجة ضـالة الإنتاج، إمـا بسبب نقص الإمكانات الفنـية والبـشـرية، أو بسبب نقص الإمكانات المادية، يشـجع مواطنى هذه الدول على مشاهدة البرامج التى تبث من هذه الأقمار.

وفى ظل هذه السـيطرة الإعلاميـة لوكالات أنبـاء الدول الكبرى، والأقـمار الصناعية التى تبث برامجها، والمضامين الاتصـالية التى تنتجها وتشتريها الدول الناميـة، بالإضافة إلى الإذاعات العـالمية الموجهة، والصـحف الكبرى، والكتب التى تصـدرها دور النشر العـالمية، وكذلك جـهود الإرسـاليات التـبشيـرية التى تعتمـد على الاتصال المباشر، تحـاول إذاعة القرآن الكريـم فى مـصر وإذاعة نداء الإسـلامى من مكة المكرمـة وإذاعـة القـرآن الكريم مـن مكة والرياض تقـديم تعاليم الديـن الإسلامى وتوضيح صـورة الإسلام والمسلمـين ومقاومـة دعاوى الإلحاد والقيم الهدامة، كما تقـوم إذاعات الدول الإسلامية، وقنوات التليفزيون بها وكذلك الصـحف والمجلات الإسلامية والعـامة بجهود متفـرقة، وإن كانت فى أغلب الأحوال ضـعيفة، فى مجـال التعريف بالإسلام والمسلمـين وتوضيح تعاليم الدين الحنيف، ومواجهة التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية فى ظل ثورات الاتصال المتعاقبة.

المبحث الثانى
التحديات التى تواجه الإعلام الإسلامى
فى القرن العشرين

يواجه الإعلام الإسلامى فى هذا القرن تحديات كبرى تحتاج إلى جهود كبيرة لمواجهتها وإضعاف آثارها مرحليًا، تمهيدًا للتغلب عليها وتحقيق التفوق لهذا الإعلام فى المستقبل القريب. ومن أهم هذه التحديات قوة الاتصال الغربى والسيطرة التى يتفوق من خلالها على العالم كله. وكذلك الدعوة الصهيونية التى تستفيد من سيطرة الاتصال الغربى وتتحكم فيه لتحقيق أهدافها الخاصة.

كما تساهم أوضاع العالم العربى والإسلامى من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى إضعاف الإعلام الإسلامى وإتاحة فرص التفوق للدعاية المضادة. وأخيرًا تأتى الحملات الإرسالية التبشيرية بما يدعمها من قوى اقتصادية وسياسية لتشكل أحد التحديات الهامة التى تواجه الإعلام الإسلامى بأسلوب مكثف ومتطور.

ولا شك أن التناول التفصيلى لكل تحد من هذه التحديات يحتاج إلى عدد من المؤلفات العلمية، وقد تحقق هذا فعلا من خلال بعض الدراسات القيمة التى قدمها علماء مبرزون فى مجال هذه التحديات[1]. وسوف نتناول هذه التحديات بشكل مركز وصولا إلى صيغة فعالة للإعلام الإسلامى خلال القرن الحادى والعشرين.

(١) ١- محمد على العوينى (دكتور): الإعلام الإسلامى الدولي بين النظرية والتطبيق- الطبعة الثانية، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٧.

٢- حسن صعب(دكتور): الإسلام وتحديات العصر، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة مارس ١٩٧٩.

٣- عبد الحليم محمود(دكتور): أوروبا والإسلام، القاهرة ١٩٧٩.

٤- عبد العليم عويس (دكتور): المسلمون في معركة البقاء، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٧٩.

٥- محمد عبد الله السمان: محنة الأقليات المسلمة فى العالم، القاهرة، مكتبة الخانجى ١٩٨١.

أولا: قوة الاتصال الغربى:

تسيطر الدول الأوروبية الكبرى ومعها الولايات المتحدة الأمريكية على كبرى وكالات الأنباء فى العالم.

ولا تقتصر سيطرة هذه الوكالات على وسائل الاتصال فى معظم الدول من بينها العالمين العربى والإسلامى، وإنما تؤثر هذه الوكالات على عملية اتخاذ القرار السياسى الذى يستند بطبيعة الحال إلى الكم المتوافر من المعلومات وبصفة خاصة فى أوقات الأزمات . فالوكالات العالمية تسبق الجهات الرسمية فى كثير من الحالات فى الحصول على المعلومات، وتضطر هذه الجهات إلى الاعتماد على الوكالات فى تحديد موقفها وسياستها.

كما تؤثر هذه الوكالات على الأوضاع الاقتصادية فى العالم. فيرى بعض الخبراء أن الخدمة الإخبارية الاقتصادية التى تقدمها وكالة رويترز البريطانية تعتبر سوقًا مالية فى حد ذاتها، حيث تؤثر على حركة تداول الأسهم والسندات وأسعار العملات والمحاصيل فى بورصات العالم[(١)].

وفى نفس الوقت فإن سيطرة الغرب على الفضاء من خلال الكم الهائل من الأقمار الصناعية الأوروبية والأمريكية بالإضافة إلى أقمار البث المباشر قد أضاف إلى الاتصال الغربى قوة لا يستهان بها فى مجال التأثير بالصوت والصورة معًا.

أما عن الإذاعات الموجهة إلى العالم كله من الدول الغربية بلغات عديدة فتضيف هى الأخرى قوة إضافية إلى الاتصال الغربى الفعال على المستوى الفكرى والسياسى فى المقام الأول، وعلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية نتيجة للتأثير الأول. ويضاف إلى الإذاعات العامة إذاعات دينية موجهة إلى مختلف مناطق العالم.

(١) على عجوة(دكتور) وآخرون: مقدمة فى وسائل الاتصال ، جدة، مكتبة مصباح ١٩٨٩، الفصل الذى كتبه د. سعيد محمد السيد ص ٢٧٢، ٢٧٣.

فهناك اتحادات إذاعية مسيحية دولية أهمها:

أ- الرابطة الدولية الكاثوليكية للراديو والتليفزيون.

ب- الرابطة العالمية للإذاعة المسيحية.

جـ- الرابطة الدولية للإذاعيين المسيحيين.

د- المنظمة الدولية للإعلام المسيحى.

وتضم هذه الاتحادات العديد من مؤسسات الإذاعة والتليفزيون فى مختلف مناطق العالم المسيحى. ويمكن القول بصفة عامة إن أهدافها الأساسية تتمثل فى[1]:

١- تحقيق وتنشيط التعاون بين المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية المسيحية فى مختلف المجالات..

٢- توفير وتبادل المعلومات بين المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية المسيحية.

٣- زيادة فاعلية المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية فى سياق جهودها الهادفة إلى نشر الديانة المسيحية.

٤- توسيع نطاق عمل المؤسسات الإذاعية والتليفزيونية على المستوى الدولى وعلى أوسع نطاق ممكن.

٥- تحقيق التعاون مع المؤسسات الأخرى بما يخدم هدف نشر الديانة المسيحية.

٦- توفير المجال لمناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك سواء بين الأعضاء أو غيرهم من المؤسسات ذات الشأن.

٧- القيام بالدراسات والأبحاث التى تساعد على فعالية الدعاية المسيحية.

٨- التعريف بالمنظمات المسيحية فى المجالات المختلفة وإقامة شبكة من الاتصالات بينها. وتوجه الجهود الإذاعية المسيحية إلى أفريقيا على سبيل المثال من خلال القنوات الثلاثا التالية[2]:

(١) إبراهيم الداقوقى (دكتور) الأنظمة الإذاعية بغداد، جامعة بغداد ١٩٨٥، ص ٧٣٢، ٧٤.

(٢) شاهيناز بسيونى (دكتورة): الإذاعات الدينية والصراع الدعائى الدولي في أفريقيا (مجلة بحوث الاتصال) كلية الإعلام جامعة القاهرة العدد الثالث ١٩٩٠ ص ١١٦-١١٧.

أ- مراكز واستديوهات الإنتاج.

ب- الأقسام الدينية فى الإذاعات الحكومية.

جـ- الإذاعات الدولية المسيحية.

ومن أبرز مراكز وأستديوهات الإنتاج مركز الإنتاج الموجود فى زامبيا ويقوم بإنتاج المواد الدينية اللازمة لجميع وسائل الاتصال وقد أنشأته الهيئة التبشيرية عام ١٩٧٠ ويعمل بالتنسيق مع حكومة زامبيا والهيئات الكنسية المحلية والدولية. وكذلك يقوم مركز «تلبستار» فى زائير بإنتاج برامج تنموية فى مجالات التعليم والصحة والزراعة من منظور مسيحى، ويضم قسمين أحدهما لإنتاج مواد الراديو والآخر مواد الفيديو.

أما بالنسبة لأستديوهات الإنتاج فهى عبارة عن أستديوهات مجهزة تجهيزاً كاملا وموجودة فى المناطق المستهدفة وتختص بإنتاج المواد الإذاعية وإرسالها إلى المحطات الإذاعية كى تذيع هذه المواد إلى تلك المناطق. ولعل من أشهر أستديوهات الإنتاج تلك الأستديوهات التابعة لإذاعة «صوت الإنجيل» Voice of Gospel التى تمتلك سبعة أستديوهات إنتاج إقليمية فى إفريقيا منها خمسة تشرف عليها الطائفة اللوثرية فى تنزانيا ونيجيريا والملجاش وأديس أبابا. كما يوجد استديوهات فى الكاميرون يشرف عليها الاتحاد الدولى للاتصالات المسيحية.

ويوجد قسم دينى فى معظم إذاعات الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء بعمل بالتنسيق مع المسئولين عن التبشير فى هذه البلاد. وينتقى القائمون بالاتصال فى هذه الأقسام من المبشرين أو من الأفارقة الذين تلقوا تعليما دينيا داخل إفريقيا أو خارجها[1].

ومن أشهر الإذاعات المسيحية الموجهة إلى أفريقيا إذاعة «بالحب الأبدى

(١) أحمد طاهر: الإعلام الدولي ، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٣ ص ١٧٦، ١٧٧.

نكسب أفريقيا Eterna Love Winning Africa وكذلك إذاعة صوت الإنجيل Voice of Gospel وإذاعة كورداك. أما الإذاعات التى توجه إلى العالم كله فهى «إذاعة حول العالم» وراديو الفاتيكان»[1].

وإلى جانب الإذاعات الدينية تقوم الكنيسة فى الدول الإفريقية بجهود التبشير من خلال الخدمات الصحية والتعليمية وتوزيع المنشورات والكتب والصحافة المسيحية.

ثانيًا: الدعاية الصهيونية:

تمارس الدعاية الصهيونية تأثيرها من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام الغربية وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى ما تعده إسرائيل من تنظيمات تعتمد على الاتصال الشخصى فى تحقيق أهدافها.

التليفزيون الأمريكى لا يظهر العرب كفنانين أو شعراء أو دبلوماسيين أو رجال دولة أو فلاسفة أو حرفيين أو مزارعين أو عمال بناء أو رجال مصارف أو علماء أو رجال أعمال أو مدرسين أو أفراد عائلات، عاديون وإنما يصورهم كعصبة من الأشرار المتحكمين فى سوق النفط فى العالم. كما يصورهم على أنهم متوحشون وجبناء ومنحطون، عطاشا للجنس وخادعين غادرين. والصورة السائدة لشيوخ العرب يملكون الجمال وسيارات «الكاديلاك» السوداء المترفة وبداخلها أشباح سوداء ترى من فى الخارج ولا يراها أحد . كما يصورهم ساعين لاستغلال عذارى الأمريكيات ذوات الأربعة عشر ربيعا[2].

وعلى الرغم من سيطرة الصهيونية على كبريات الصحف فى العالم الغربى وعلى محطات الإذاعة والتليفزيون وبعض دور النشر فإنها تؤمن بقوة الاتصال الشخصى والتأثير المباشر والإقناع. ولتحقيق ذلك تسعى لتحديد مراكز القوة

---

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى : شاهيناز بسيونى مرجع سابق ص ١١٨- ١٢٦.

(٢) ندوة الصحافة الدولية العام ١٩٧٩ تحت عنوان الإعلام الغربى والعرب وزارة الإعلام والثقافة دولة الإمارات العربية المتحدة كلمة جاك شاهين ص ٢٥- ٣٦.

في كل مجتمع وتختار قادة الرأى وتنفذ إليها من خلال[1]:

١- الدعوات والزيارات: لاكتساب الأنصار والأصدقاء من الشخصيات القيادية المؤثرة.

٢- المؤتمرات والندوات التى تعقد بصفة دورية لمناقشة المسائل العلمية والقضايا الإنسانية.

٣- السياحة والرحلات والمعارض لتعريف الشباب الأجنبى واليهودى بصفة خاصة بعالم إسرائيل وكذلك تنظيم الترفيه بمختلف صوره للوفود الأجنبية.

٤- تبادل الخبراء فى الزراعة والتنمية والتعاونيات والشئون العسكرية وبالأخص مع الأقطار النامية.

٥- اختلاق الفضائح والابتزاز وذلك باستخدام سلاح التشهير ضد من تسول له نفسه مقاومة الصهيونية واتهامه بمعاداة السامية (مثلما حدث مع فورستال وتونيبى وديجول).

كما تستفيد إسرائيل من الجاليات اليهودية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم: خمسة ملايين فى أمريكا الشمالية، وثلاثة ملايين فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية، ومليونين فى أوروبا الغربية ونحو مليونين آخرين فى باقى القارات. وقد استغلت الدعاية الصهيونية هذا التوزيع باستثمار خصائص المجتمعات اليهودية من حيث التغلغل فى مراكز البحوث والسيطرة على مراكز الثقافة والإعلام ، والسطوة فى مجال المال وقطاع المصارف والأعمال. وقد ساعدها على ذلك قوة الارتباط المعنوى الذى يربط اليهود بإسرائيل الأمر الذى ولد ظاهرة الولاء المزدوج لهؤلاء اليهود لأوطانهم ولإسرائيل فى نفس الوقت.

(١) السيد عليوه (دكتور): إستراتيجية الإعلام العربى ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ص ٢١٠.

كما تستغل إسرائيل المنظمات غير الحكومية كالوكالة اليهودية التى تعرف بالمنظمة الصهيونية العالمية. والهستدروت(اتحاد عمال إسرائيل) الذى يشرف على المعهد الأفريقى الأسيوى ويصدرعشرات من الصحف والمطبوعات ويرسل ويستقبل عشرات النقابيين من القيادات العمالية، وهناك أيضًا الأحزاب السياسية داخليا وخارجيًا بواسطة منظماتها التابعة مثل اتحاد الكيبوتز واتحاد الموشاف والمنظمات الشبابية كالناحال والجدناع.

وقد نبه بعض الباحثين إلى نجاح الدعاية الصهيونية فى أن تنشئ علاقات مع بعض الأقليات غير المسلمة المؤيدة للصهيونية فى منظمة الشرق الأوسط مثل بعض الجماعات المارونية وكذلك بعض تجمعات شملت اليهود الأتراك وبعض أهالى أرمينيا وغيرهم، واستطاعت أن تنصهر فى حركة سرية واحدة من خلال النظام الماسونى(1).

والخلاصة أن الدعاية الصهيونية تتبنى الأسلوب العلمى وتستفيد من التجارب الدعائية السابقة فى العصور المتعاقبة، وتلجأ إلى الإغراق الإعلامى والتنويع فى الرسالة الإعلامية لتحقيق أهدافها العليا فى صراعها مع الأمتين العربية والإسلامية.

ثالثا: الصراعات الداخلية بين الدول العربية وسوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

رغم كل عوامل التوحد والانسجام التى تظلل المنطقة العربية منذ ظهور الإسلام حتى الآن، إلا أن الخلافات بين التجمعات العربية فى العصور المختلفة كانت وما زالت هى السمة المميزة لهذه الأمة. فبمجرد أن يزول الإحساس بالخطر المباشر الذى يهدد هذه الأمة فى وقت من الأوقات تظهر بوادر الصراع

(1) المرجع السابق ص ٢١١، ٢١٢.

بين بعضها البعض لأسباب واهية ترتبط فى أغلب الأحوال بصراع الزعامات على حكم هذه البلاد.

وفى بعض الحالات تكون المذاهب الدينية والاختلافات الفكرية النابعة من تفسير هذه المذاهب سببا فى احتدام الصراع بأساليب غير مشروعة لا تعترف بالحوار العقلى بقدر ما تلجأ إلى القتل والتدمير.

وقد استفاد أعداء الإسلام من هذه الخاصية المميزة للفكر العربى وللشخصية العربية فبدأوا منذ الحروب الصليبية فى تغذية أسباب الصراع وإثارة الفتن وتوجيه قوى الأمة العربية دائما لما فيه دمارها وتخلفها. ونستطيع أن نحدد عدداً من الأمثلة التى تؤكد هذا الدور المخطط من أعداء الإسلام للسيطرة على الأمة العربية وإضعافها باعتبارها الحصن الأول للإسلام على النحو التالى:

١- اختلاق الخلافات السياسية على الحدود أو الثورة الاقتصادية أو نظم الحكم. ولعل أبرز هذه الخلافات ما انتهى إلى غزو العراق للكويت، وما تبع ذلك من انقسام على مستوى الأمة العربية، وتبديد هائل غير مسبوق لطاقات هذه الأمة، ومواردها الاقتصادية، التى ظلت تبنيها خلال عشرات السنين وبالإضافة إلى الآثار المستمرة لهذا الخراب على مستقبل هذه الأمة، وما تركته من آثار متعددة على العلاقات العربية بين الأشقاء المسلمين، فقد عمقت حرب الخليج الوجود الصهيونى فى المنطقة العربية، وحطمت إلى فترة طويلة الآمال التى كانت معقودة على مواجهته والتصدى له من جانب بعض القوى العربية التى توافرت لها أسباب القوة للمواجهة والتحدى.

٢- فى إطار المخطط المعادى للإسلام والمسلمين فإن جملة الإنفاق على المخدرات والخمور فى العالم العربى حسب الإحصاءات الرسمية الدولية يصل إلى ٦٤ ألف مليون دولار سنويا، كما بلغ الإنفاق على المخدرات

فى إحدى الدول العربيـة الفقيرة ثلاثمائة مليون دولار سنويًا حسبما ورد فى نفس الإحصاءات[1].

٣- السلوك العربى فى بعض الدول الأوروبية وفى الولايات المتحدة الأمريكية يدعم بعض الصور النمطية التى تركز عليها وسائل الإعلام الغربية، والتى تتناقض مع روح الإسلام مما يؤدى إلى تـشويه صورة المسلمين، فـالإنفاق ببـذخ، والعلاقـات النسـائيـة، والتلويح بالشـراء، هى بعض أنماط السلوك الصادرة عن بعض الأفراد العرب الذين لا يشـعرون بمسئولية السلوك فى تكوين صـورة بلادهم. ولا شك أن أعداء المسلمـين يتصـيدون مـثل هذه الأخطاء ويضخونها رغم صـدور ما يماثلها من فئات أخـرى غير العرب تطبيقًا للمثل القائل: عدوك يتمنى لك الغلط وحبيبك يبلع لك الزلط.

٤- سوء الأوضاع الاقـتصادية لعدد كـبير من الشعـوب الإسلامية فى أفـريقيا وآسيا (باستثناء الدول البترولية)، وحاجة كثير من أفراد هذه الشعوب إلى العون المادى باعتبارهم واقعـين تحت خط الفقر. وللأسف فإن قيام الدول الإسلامـية الغنية بدور فـعال فى دعم الدول الفقـيرة ليس فعـالا إلى الحد الذى يحقق التـضامن والتكافل الأمثل بين الشـعوب الإسلامية بحـثا عن المعونات التى غالبا ما تكون مشروطة بما لا يتفق مع مصالحها.

٥- ارتفـاع نسبـة الأميـة وانتشـار الأمـراض دونما مواجـهة فـعالة من جـانب الحكومات للتصدى لهـذه المشكلات. ومن المؤسف أن الحكومات الغربية هى التى تحـاول باسم التحـضر والإنسانـية تبنى برامج تحـسين الخـدمات الصحية والعلاجية لتبدو أمام العالم فى وضع المنقذ للإنسانية المعذبة بتأثير الفقر والجهل والمرض.

٦- غلبة الأنظمـة السياسيـة المتسلطة التى تفتـقر إلى احترام الحـريات الفردية،

(١) محمد الحفناوي(دكتور): حديث إلى التليفزيون المصري مساء الجمعة ٢٨/ ٢/ ١٩٩٢.

والتى لا تعترف بنظم الشورى الإسلامية. كما أن سوء صورة بعض الزعامات والتى تتحدث عنها وسائل الإعلام المعادية تضفى على شعوب هؤلاء الزعماء والقادة خصالا تتنافى مع مبادئ الإسلام فى الحكم، والعدل، ورعاية المحكومين، والسهر على راحتهم، وتوفير الأمن لهم.

٧- التخلف الإدارى الذى يلقى بظلاله على معظم المؤسسات القائمة فى العالمين العربى والإسلامى وانتشار الرشوة والفساد والتواكل وعدم الرغبة فى العمل. كما يغلب على الأجهزة الإدارية تعقد الإجراءات وتناقضها مع أبسط مبادئ الإدارة الحديثة مما يؤدى إلى عرقلة العمل وصعوبة تحقيق التقدم واستثارة روح الابتكار والتصرف السليم بين الإداريين.

رابعًا: الحملات الإرسالية التبشيرية:

دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقيا من القرن الخامس عشر أى فى أعقاب الكشوف الجغرافية البرتغالية، وتلا ذلك إرساليات التبشير البروتستانتية. وقد اهتمت جمعية الكنيسة البروتستانتية بالتبشير فى أفريقيا الغربية، وكان التركيز على الكونغو، وفى عام ١٨١٩تم الاتفاق بين الأقباط وهذه الجمعية وتكونت إرسالية تعمل على نشر الإنجيل فى شرق إفريقيا(١).

وفى غرب إفريقيا توجه المبشرون الإنجليز والسويديون والألمان وظهرت بعض المنازعات بين الكاثوليك والبروتستانت. ومنذ عام ١٨٧٨ اتجهت الإرساليات التبشيرية إلى أفريقيا الوسطى وتنوعت هذه الإرساليات ما بين ألمانية وأستكتلندية، وإنجليزية، واتجهت نحو الخرطوم والحبشة. وانتشرت الإرساليات التبشيرية فى تونس والجزائر والمغرب ومعها البعثات الطبية، كما قام التبشير البروتستانتى بدور فى مدغشقر(٢).

وقام المبشر هنرى مارتن بتنظيم توجيه الإرساليات إلى غرب آسيا، إذ أقام

(١)، (٢) محمد علي العويني (دكتور): مرجع سابق ص ٤٧, ٤٨.

فى الهند وفـارس والبـلاد العـثمـانيـة، ثم اتجـهت الإرساليـات إلى الأناضـول وفلسطين وتأسست الكنيسة البروتستانتية فى الآستانة عام ١٩٤٦. أما فى الهند فقد بدأت الإرساليات بالتركيز على الفقـراء وإن كان التبشير قد ركز بعد ذلك على كل الفئات. ومنذ عـام ١٨١٣ توجهت الإرساليات التبشـيرية إلى الصين ومعها الأطباء والممرضون وهكذا يتبين لنا:

- التنوع الشديد فى الإرساليات التبشيرية.
- تعدد جنسيات هذه الإرساليات.
- تعدد مذاهبها.

وإذا حاولنا المقارنة بين الإرساليات التبشـيرية فى القرون الماضية وإرساليات هذا القرن نقول إن الأولى استمدت قوتها مـن القوى الاستعمارية الغازية لبلاد العالم المختلفة، أما الآن فهى تقوم بتطوير نفسها لتتمشى مع الظروف المعاصرة، ولعل أبرز مظاهر هذا التطوير هو تقديم الخدمات الصحية والتعليمية بالإضافة إلى المعونات الـغذائية والدعم الاقـتصـادى لبعض الجمـاعات والشـعوب التى تحـتاج إلى هذا الدعم لاسـتمـالتهـا والتأثيـر عليـها بشكل يحـقق أهداف هذه الإرساليات.

المبحث الثالث
استراتيجية الإعلام الإسلامى
فى القرن الحادى والعشرين

تؤكد التحديات التى يتعرض لها الإعلام الإسلامى فى هذا القرن على ضرورة اتباع أساليب للمواجهة على أسس علمية متطورة. فلم يعد من المقبول أن ينتظر الإعلام الإسلامى تلقى الضربات من أعداء الإسلام، ثم يقوم بالتصدى لها والرد عليها. لقد أصبح من الثابت علميًا أن التحرك المواكب للأحداث وتحقيق السبق عليها كلما كان ذلك ممكنا، أفضل بكثير من متابعة الأحداث أو محاولة اللحاق بها.

كما أنه من الضرورى أن ينطلق الإعلام الإسلامى من واقع مشرف يتفق مع ما أراده الله لهذه الأمة ﴿كنتم خير أمة أخرجت لناس﴾ صدق الله العظيم. وهذا يتطب أن تتجمع هذه الأمة بعد طول تناحر. لا بد أن نتصدى أولا لإصلاح البيت من الداخل ، وإعادة ترتيب أمورنا، والنهوض بأحوالنا المتردية، لكى تكون الصورة التى نسعى إلى تقديمها إلى العالم متفقة مع واقع ينتزع الاحترام والتقدير من العدو قبل الصديق.

لقد حان لنا أن نتفهم الاختلافات بين شعوبنا وأن لا نحولها إلى خلافات. وأن ننظر إلى أنفسنا نظرة صفاء وتسامح ، تحركها الكليات ولا تمزقها الجزئيات. ننحاز إلى الحق وإلى نصرة الإسلام، ولا ننحرف إلى التعصب الأعمى أيا كان نوعه، فى مذهب دينى أو مباراة للكرة. أليس من المؤسف ونحن نسعى إلى كسب احترام العالم أن يقتل بعضنا البعض بحجة أن هذا خارج عن الأصول، وهذا بعيد عن التراث، وأن ذاك مغتصب لزعامة، والآخر قد نال البطولة بغير أساس أو بركلة حظ. لا بد أن ننشر الإسلام بين صفوفنا أولا وأن ندعو إلى التمسك بجميع مبادئه فى سلوكنا بالحكمة والموعظة

الحسنة، لنقدم للعالم النموذج والقدوة التى نريده أن يقتدى بها وأن يهتدى بهديها، فالسلوك القويم هو خير تقديم للإسلام وأفضل تعريف بالمسلمين. وهذا هو المنطق الأساسى للإعلام اللإسلامى.

أهداف الإعلام الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين

فى ضوء التحديات التى تواجه الإعلام الإسلامى على المستوى الداخلى والخارجى نستطيع أن نبلور مجموعة من الأهداف التى يجب أن يركز عليها هذا الإعلام على النحو التالى:

١- التعريف الصحيح بالعقيدة الإسلامية كعبادة، ومنهاج حياة يحقق الخير للمؤمنين به، المتمسكين بمبادئه وتعاليمه.

٢- توضيح القيم الإيجابية البناءة التى يؤكد عليها الإسلام لإسعاد المجتمع والارتقاء بأفراده.

٣- تأكيد المبادئ النبيلة التى يحث عليها الإسلام لتحقيق العدل والتضامن والتكافل بين جميع المسلمين فى مواجهة الشدائد فى أسمى صور الإيثار وإنكار الذات.

٤- التعريف بأحوال المسلمين وإذاعة أخبارهم فى مختلف بقاع العالم، وتذكير المسلمين بمشاكل إخوانهم والتحديات التى تواجههم واقتراح الوسائل المناسبة لمسادتهم.

٥- إبراز الجوانب الإيجابية والتأكيد على الإنجازات التى تتحقق فى الدول الإسلامية وعدم الخضوع لسيطرة الإعلام الغربى لتصحيح الاختلال الكيم والكمى الذى يميز هذا الإعلام فى تقديمه للمجتمعات الإسلامية.

٦- التعريف بالشخصيات الإسلامية التى أسهمت فى صنع التقدم والتطور فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٧- تفنيد الدعايات الكاذبة والافتراءات المغرضة التى يشنها أعداء الإسلام وخصومه مستعينين فى ذلك بوسائل الإعلام واسعة الانتشار، وكذلك من خلال الأعمال الأدبية والفنية التى تصور المسلمين بشكل لا يتفق مع الواقع خدمة للمخططات الصهيونية والإلحادية.

٨- تصحيح الصورة الذهنية التى تكونت عند بعض الشعوب والجماعات عن الإسلام والمسلمين، عن طريق تقديم الواقع الحقيقى للسلوك الإسلامى القويم، وشرح أبعاد الفكر الإسلامى من خلال قضايا المجتمع الحقيقية والمعاصرة.

٩- توعية المسلمين فى بلاد العالم المختلفة بدورهم الحاسم فى تكوين صورة الإسلام عند غير المسلمين، والتصدى للدعايات المغرضة وتصحيح الصور الخاطئة والمفاهيم الباطلة التى يحاول أعداء الإسلام الترويج لها بين غير المسلمين.

١٠- التأيد على أهمية القيم الروحية فى استعادة التوازن المفقود لهذا العالم الذى طغت عليه المادة، ودور الأديان فى تعميق هذه القيم دون دخول فى تفاصيل الديانات الأخرى.

نحو إعلام إسلامى فعال

دعائم الإعلام الإسلامى الفعال

استناداً إلى الدراسات الإعلامية التى أجريب خلال هذا القرن، واسترشاداً بتجارب الماضى، وعلى ضوء التطورات الأخيرة فى الأوضاع الإعلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة سنتناول المبادئ العامة التى ينبغى الحرص عليها لتوفير أقصى درجة من الفعالية والتأثير للإعلام الإسلامى.

أولا المصداقية: Credibility

تتوقف درجة الثقة فى القائم بالاتصال أو ما يعرف بمصداقية رجل الإعلام

أو الداعية على مجموعة من العوامل التى تكون صورته فى أذهان الجماهير. ومن الطبيعى أن تختلف قوة هذه العوامل بالنسبة لجمهور المسلمين الذين يخاطبهم الداعية الإسلامى، فى مقابل جمهور آخر من غير المسلمين الذين لم تسبق لهم معرفة هذا الداعية أو حتى معرفة شيء عن الدعوة الإسلامية نفسها.

كما تختلف أهمية بعض عوامل المصداقية تبعًا لوسيلة الاتصال المستخدمة، فالاتصال المواجهى المباشر يؤثر فيه الجانب المرئى من شخصية الداعية، إضافة إلى قوة الحجة، وعذوبة الحديث، ومكانة الداعية فى المجتمع فى حين أن الاتصال الإذاعى المسموع أو الاتصال الكتابى المطبوع لا يرتكز على الجانب المرئى من شخصية الداعية بالنسبة لمن لا يعرفه شخصيًا بقدر ما يرتكز على الجوانب الأخرى المتعلقة بقوة الحجة وعذوبة الحديث والمكانة الاجتماعية والدينية للداعية. وتنطبق بعض صفات المصداقية المرتبطة بالجانب المرئى من شخصية الداعية على الاتصال التليفزيونى، وإن كانت تحتاج إلى قدرات ومهارات وصفات شخصية أكثر جذبًا للمشاهدين.

وبصفة عامة نستطيع القول إن الإعلامى أو الداعية الإسلامى لا بد أن يكون ذا سمعة طيبة، مستقيما فى سلوكه، تتفق أقواله مع أفعاله، متحمسًا لدعوته فالإيمان العميق بالدعوة، والإخلاص والتفانى فى تقديمها دون تعصب تقرب الجمهور إلى الداعية وتجعله أكثر قبولا وتأثيرا. كما أن الاتزان واللباقة والحصافة والكياسة «المؤمن كيِّسٌ فَطنٌ» من الصفات الهامة التى ينبغى أن تتوافر فى الداعية ورجل الإعلام الإسلامى.

ولا يمكن أن نغفل جانب المظهر الشخصى للداعية، فالإسلام يحث على النظافة والاهتمام بمقومات الشخصية الجسمية إلى جانب المقومات الروحية والعقلية مما يحقق للداعية مميزات الشخصية القوية الجذابة والمؤثرة على جمهوره. وتكتمل مقومات هذه الشخصية بمعرفة الجمهور وفهم خصائصه النفسية والاجتماعية، ودراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المحيطة لكى يتمكن الداعية من اختيار المداخل المناسبة للتأثير فى جماهيره.

ثانيًا: الواقعية:

الإعلام هو مرآة المجتمع وهو التعبير لموضوعى لروح الجماهير وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت. ولذلك يكون من الضرورى أن يرتبط الإعلام الإسلامى بواقع المجتمع الذى يعيش فيه، وأن يلم بمشاكله واحتياجاته، وأن يعبر عن آماله وتطلعاته. وهذا يتطلب أن يكون الإعلام الإسلامى- فى ظل أوضاع التخلف السائدة فى بعض المجالات - قوة دافعة للتنمية والحث على التغيير إلى الأفضل.

كما ينبغى على الداعية الإسلامى فى الخارج أن يتعرف على واقع المجتمع الذى يتوجه إليه بالدعوة ، وأن يفهم العوامل النفسية والأوضاع الاجتماعية والإعلامية المؤثرة لكى لا تصطدم دعوته بأوضاع معاكسة تؤدى إلى خدمة الدعايات المعادية للإسلام.

ثالثا: معلومات لها مغزى:

ينبغى أن يركز الإعلام الإسلامى على الأحداث الحقيقية ذات الأهمية بالنسبة للمجتمع الإسلامى، فالجمهور فى هذه الأيام يتعرض لسيل جارف من الرسائل والمضامين الاتصالية التى تحاول أن تشد انتباهه. ولذلك نمت عنده حاسة الانتقاء لما هو هادف ومحدد، وعدم الالتفات لما هو دون ذلك. ولكى يكون للإعلام مغزى فلا بد [1]:

١- أن يتضمن شيئًا يفيد الجمهور ويمس مصلحته مسا مباشرًا ومحددًا.

٢- أن يحوى الجديد المستساغ أو المميز عن غيره من المضامين التى يتعرض لها الجمهور بكثرة.

٣- أن يتناول كل الحقائق التى تؤيد دعوته، فلم يعد من المقبول أن تقدم النتائج إلى الجمهور دون المقدمات التى أدت إليها.

(١) على عجوة (دكتور) : الأسس العلمية للعلاقات العامة. مرجع سابق ص ١٤٧.

رابعًا: الوضوح:

يجب أن تصاغ الرسالة فى عبارات سهلة وأن تعنى للمستقبل نفس ما تعنيه للقائم بالاتصال، كما أنه ينبغى تبسيط الموضوعات المعقدة وعرضها فى أسلوب جذاب . ومن الضرورى أن يكون للمتحدث إطارًا فكريا واضحًا يعبر من خلاله عن المضمون الذى يريد أن ينقله للجمهور . ومن الطبيعى أن يتكون الاتصال من مجموعة من الرسائل المنظمة تنظيما منطقيا، تقدم من خلاله المعلومات فى تتابع يهدف إلى تحقيق غرض محدد . فتقديم معلومات كثيرة بدون ترتيب أو تنظيم يؤدى غالبًا إلى تقديم مواد مربكة – وغير ملائمة. أما إذا كان الهدف محددا تماما فى ذهن الداعية أو الإعلامى فإن الاتصال لن يتعرض لخطر الإرباك وعدم الوضوح.

ولكى يتحقق الوضوح الكامل للرسالة فلا بد أن تتوافر فيها الصفات التالية:

١ – استخدام الكلمات ذات المعنى الواضح المحدد وإن كان هناك مجال لاختلاف المعنى فيجب توضيح ما يقصده المتحدث أو الكاتب بهذه الكلمة أو تلك.

٢– تأكيد المعنى بكلمات أخرى، فالتكرار هنا يساعد على الوضوح بالإضافة إلى التأكيد.

٣– استخدام المقارنات التى تساعد على الوضوح فالأشياء تتميز بأضدادها.

٤ – تقديم الأمثلة التى توضح المعنى المقصود.

خامسًا: الاستمرارية والاتساق:

الإعلام الإسلامى يتوجه إلى الأجيال المختلفة فى كل زمان ومكان. ومن هنا فإن الاستمرارية لهذا الإعلام تحقق التواصل المستمر بين مؤسسات الإعلام الإسلامى والجماهير وهذا يضمن عدم فقدان الجمهور للقناة الاتصالية التى تخاطبهم وتزودهم بالمعلومات التى تتعلق بأوضاع المسلمين وبتعاليم الدعوة. وإذا كانت الدولة حريصة على دعم الإعلام الإسلامى من خلال الإذاعة

والتليفزيون والصحافة فينبغى أن نشير هنا إلى أهمية تحقيق الانسجام والاتساق بين مـا يقدم فى هذه الوسـائل المختلفـة داخل الدولة الواحدة، وأيضًـا فى إطار جهود الدول الإسلامية الموجهة إلى غير المسلمين.

سادسًا: إمكانات المستقبل:

ينبغى أن يضع القائم بالاتصال فى اعتباره قـدرات الجمهور المستهدف على استيعاب الرسالة أو ما يعرف بمهارات المستقبل فى إكمال العملية الاتصالية من حيث المعرفة، والقدرة على القراءة، وعادات الاتصال . فالمتلقى يبذل جهدًا فى تفسـير الرسـالة لا يقل فى بعض الأحـوال عن الجهد الـذى يبذله المتـحدث أو الكاتب فى صـياغـة الرسـالة. وكلما كـانت الرسـالة أقرب إلى الفـهم وألصق باهتـمامـات المتلقى كلما كـان الجـهد المبـذول أقل. وعلى العكس من ذلك إذا جاءت الرسـالة معـقدة ولم تنجح فى إثارة اهتـمام المسـتقـبل بمضمونـها أو لم تتوافق مع عـاداته الاتصالية، ضاع الجـهد المبذول من جـانب المرسل، وضاعت معـه الرسالة، وفى هـذه الحالة لا يتـحقق الاتصـال حتى ولو تعـرض المستـقبل للرسـالة لأن المرسل فى هذه الحالة لم يـخاطب الناس على قـدر عقـولهم ولم يتمكن من النفاذ إلى قلوبهم.

سابعًا: اختيار الوسيلة المناسبة:

يتوجـه الإعلام الإسـلامى إلى الجمـهور العـام داخل الدولة وإلى جمـاهير أخرى على المسـتوى العالمى. وقد تعـددت وسائل الإعلام فى العصـر الحديث وتعاظم دورها وأصبحت تشكل الشىء ونقـيضه فى نفس الوقت. فهى تنجح فى تقدم بعض الأبرياء كـمجرمين خـطرين، وعلى صعيد آخـر تضفى هالات الإكبار والإجـلال والتقوى على بعض الأفـاقين ومحتـرفى النصب والإجرام. وهى تسـاهم فى تحـقـيق التـقـدم والرخـاء ودعم القـيم الـفـاضلة إذا أحـسن استخدامها، وإذا أسىء هذا الاستخدام أصبحت معول هدم خطير لتدمير القيم والأخلاقيات.

ومن هنا جاءت المعادلة الصعبة لاستخدام هذه الوسائل بطريقة مفيدة تحقق ما نسعى إليه من أهداف لخدمة الإسلام والمسلمين وفى نفس الوقت نتجنب شرور هذه الوسائل وآثارها المدمرة على قيمنا وتراثنا الإسلامى.

وإذا كانت إحدى وسائل الاتصال الجماهيرية تمتاز عن غيرها بقدرتها على عرض فكرة معينة بشكل أكثر وضوحًا، أو فى زمن أسرع، أو على نطاق أوسع، أو غير ذلك من عوامل التفضيل فى اختيار وسيلة معينة، فالذى لا شك فيه أن أيا من هذه الوسائل لا تستطيع أن تحقق كل ما هو مطلوب من انتشار وتأثير. وإذا كنا نستطيع القول إن جمهوراً معينًا يمكن أن يتعرض لأكثر من وسيلة فهناك جماهير أخرى لا تتعرض بحكم ظروفها الخاصة إلا لوسيلة واحدة، ومن هنا كانت أهمية تحقيق التكامل بين جميع وسائل الاتصال للاستفادة من المزايا الخاصة التى تنفرد بها كل وسيلة فى مواجهة جمهور معين.

لكن تبقى قضية هامة لا تتعلق بالوسائل التى تتعامل معها الجماهير مباشرة، وإنما تتصل بتلك الإمكانات الهائلة التى تغذى هذه الوسائل. فوكالات الأنباء تلعب دورًا خطيرًا كما سبق أن أوضحنا فى إمداد هذه الوسائل بالأخبار. وكما هو معروف فإن وكالات الأنباء العالمية تركز على أخبار العالم الغربى أكثر مما تركز على أخبار الدول النامية. كما أن تناول هذه الوكالات لأخبار بعينها تسيء إلى هذه الدول يثير مشكلة الاختلال الكيفى للأنباء إضافة إلى الاختلال الكمى، وقد كان هذا سببا فى التفكير فى إنشاء وكالة الأنباء الإسلامية ، تلك الوكالة التى لم يشعر العالم الإسلامى حتى الآن بوجودها لم تعانيه من ضعف فى التمويل وسوء فى الإدارة، وهذا يجعلنا نطالب الدول الإسلامية بدعم هذه الوكالة ككيان إعلامى مستقل وتحقيق نوع من الارتباط بينها وبين الوكالات الوطنية فى الدول الإسلامية لكى تكون نفقاتها أقل ولتوفير الكفاءات الفنية لها فى الدول التى تمثلها دون أعباء كبيرة.

ثم يأتي دور الأقمار الصناعية باعتبارها قوة خطيرة لمضاعفة البث الإذاعي والتليفزيوني في العالم الإسلامي أولا، وكذلك للاتصال بالمسلمين وغير المسلمين في الدول غير الإسلامية. وفي مواجهة تحديات الإعلام الغربي والصهيوني يصبح القمر الصناعي الإسلامي مطلبًا ملحًا يستحق أن تتضافر من أجله جهود الدول الإسلامية[1].

ويمكن الاستفادة حاليا من القمر الصناعي العربي «عربسات» في توجيه برامج تخدم الإعلام الإسلامي. كما يمكن تأجير بعض القنوات في الأقمار الأجنبية إذا توافرت الإمكانات المالية لذلك، بالإضافة إلى البرامج الجيدة التي توضع في إطار خطة عامة مستمرة.

وسيظل الاتصال الشخصي المباشر من خلال الدعاة الرسميين والمتطوعين هو الوسيلة المثلى للتأثير مهما تقدمت الوسائل الجماهيرية، لما يتميز به من قدرة على تحقيق التفاعل والتجاوب والتكيف مع مقتضيات الموقف الاتصالي . كما أن الاحتكاك المباشر في الاتصال الشخصي يساعد عى معرفة العوائق والمشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية، ومن ثم يكون التخطيط الواقعي للتغلب على هذه الصعوبات.

ونظرًا لما يحققه الاتصال الجماهيري من سعة الانتشار، وإمكانية الاستفادة من أحاديث كبار رجال الدين على نطاق واسع، فقد كان من الضروري أن تعتمد الدعوة والإعلام الإسلامي على الاتصال الشخصي والجماهيري معا، وعلى نفس القدر من الاهتمام لما يحققه هذا التكامل من ذيوع أوسع وتأثير أعمق.

وإذا كان الاتصال الشخصي يتميز بسهولة معرفة رجع الصدى، ومعرفة ردود الأفعال والآراء والاتجاهات ، فإن الاتصال الجماهيري يفتقر إلى هذه

(١) للمزيد من التفاصيل ارجع إلى : ماجي(دكتورة) : القمر الصناعي الإسلامي، تحدي حضاري وضرورة عصرية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٧.

الميزة الضرورية لمعرفة سعة الانتشار، ودرجة التأثير ، والصعوبات التى تواجه كلا من الانتشار والتأثير. ومن هنا ظهرت أهمية إجراء بحوث دورية فى المجتمعات المختلفة لقياس درجة الانتشار الجماهيرى لكل وسيلة، وقوة التأثير الذى تحققه، واتجاهات التأييد والمعارضة لكى يكون التخطيط للإعلام الإسلامى على أسس علمية متكاملة.

خاتمة

أشارت هذه الدراسة إلى ضرورة تغيير الواقع العربى وتطويره كأساس ينطلق منه الإعلام الإسلامى إلى أرجاء المعمورة بقوة وفاعلية. لا بد من نبذ عوامل الفرقة والتشتت بين الشعوب العربية والاستفادة من عوامل الوحدة والتآلف لتقديم صورة جيدة لواقع مشرق يسوده الوئام والحب والإخاء العربى الحقيقى الذى يعبر عنه بالفعل وليس بالقول الزائف. لا بد من تخطيط إعلامى عربى إسلامى مشترك يستفيد من كافة الإمكانات المتاحة حاليًا، والمحتملة مستقبلا لتوجيه إعلام إسلامى فعال إلى المسلمين فى بقاع العالم المختلفة والتصدى للدعايات المعادية وتحسين صورة المسلمين أمام غير المسلمين.

من الضرورى أن يستفيد هذا التخطيط من التقنيات الحديثة فى وسائل الاتصال ، بالإضافة إلى كافة الوسائل المعروفة، على أن يدعم هذا بإعطاء دفعة قوية لوكالة الأنباء الإسلامية مع الاستفادة من القمر الصناعى العربى لخدمة الدعوة والإعلام الإسلامى. كما ينبغى أن يقوم التخطيط على دراسة الواقع فى البلاد التى توجه إليها الدعوة والإعلام حتى يمكن التغلب على الصعوبات والمعوقات، ومواجهة التحديات بأسلوب فعال.

لقد حان الوقت لصحوة عربية إسلامية تتصدى لمشكلات الأقليات، وحملات الظلم والاضطهاد التى يتعرض لها المسلمون فى بعض الدول الآسيوية والأوروبية. فلم يعد من المقبول فى عصر الحريات، والدفاع عن حقوق الإنسان، أن يعذب المسلمون أو يقتلون دون أن نتحرك لنجدتهم، أو

نستنكر بشكل عملى سلوك المعتدين الآثمين. إننى أطالب الأمة العربية جمعاء أن تعبر عصـور الخلافات والزعامات الزائفة، إلى عصر جـديد يتسم بالتقارب بين الأشقاء، والتماسك فى مواجهـة الأعداء، والتخلص من الأحقاد ، ونسيان الماضى البغيض بكل آلامه وأحزانه.

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

صدق الله العظيم

***

الإعلام وخطاب إسلامى معاصر

أ.د/ عبد الله هدية (*)

أهمية الإعلام:

إن أجهزة الإعلام تلعب دورًا حيويًا فى تكوين الوجدان والسيطرة على عقول الناس وتوجيههم ولذا فهى مهمة للحكومات- تمامًا- حيث تستخدمها لتدعيم وترسيخ أركان نظامها، ومهمة لكل من يريد أن يربى الشعوب تربية معينة ويوجهها نحو اعتناق مبادئ محددة خاصة مع تطور وسائل الإعلام- على الصعيد التقنى- تطورًا مذهلاً سواء المرئية أو المسموعة أو المقروءة.. ولا أبالغ إذا قلت: إن وسائل الإعلام تقع ضمن الوسائل الأخرى التى تكون وجدان المواطن وتربى عقله الذى ينعكس على سلوكه- موقع العمدة أو العقد الفريد، فإذا كانت فى هذا العصر تربى المواطن ووجدانه وسائل عدة فى المجتمع لعلها تتبلور فى : مناهج التربية والتعليم منذ الصغر، الثقافة وإصدارات وزارة الثقافة من كتب ونشرات، الأوقاف بمساجدها فى أركان العالم الإسلامى ومضامين الخطب التى يقول بها الأئمة والدعاة، المعسكرات المؤقتة التى تقيمها وزارات التعليم والشباب فى العالم الإسلامى وما يقال فيها من السادة المحاضرين وغيرهم.

إذا كانت كل هذه الوسائل تؤثر فى النشء وتوجه وجدانه وتطبعه بطابع معين، فإن وسائل الإعلام- سالفة البيان أخطرها على الإطلاق خاصة التلفاز والإذاعة التى تتسلل إلى المواطن فى منزله وفى غرفة نومه وفى وسط أسرته وفى راحته من عناء العمل.. والتلفاز الذى يعد مسرح الملايين- كما يطلقون عليه – ومع انتشار القنوات الفضائية والتقدم التقنى الحادث فى الصور والأقوال المبثوثة منه، يلعب دورًا مؤثرًا للغاية فى وجدان الناس وتشكيل عقولها.

(*) عميد كلية التجارة ببورسعيد.

وتبث وسائل الإعـلام شتى وسـائل المعرفـة من سياسـة واقتصـاد واجتـماع ورياضة وبرامج تعليمية: لغات وعلوم تطبيقية وكمية.. بيد أن المشكل قائم فى العلوم الإنسانية، حيث إن العلوم الكمـية والتطبيقية تتميز بـقوانين ثابتة لفترات طويلة ومـسـتـقرة... بينمـا العلوم الإنسـانية خـاصة السـياسـية والاجـتمـاعيـة والاقتـصادية يمكن أن تلون فـيها الحـقائق وفـقًا لرغبـة القائم بالاتصـال حيث تكون رسائله الاتصـالية عادة- مـوجهة لخـدمة فكرة معـينة، هذه الفكرة - ربما تكون بعـيدة عن الحـقيـقة والواقع - ولكن تخـدم مجـموعـة ضغط نافـذة فى المجتمع تتفق مع صوالحها أو أفراد معينين تدعم صوالحهم المادية والمعنوية.

ويهمنا فى هذه الجـزئية الخطاب الإسـلامى الذى تبثه وسـائل الإعلام، وهنا أركز علـى مضمـون هذا الخطاب الذى يبث من أجـهزة الإعلام وكـيف يكون أصـيلاً ومـعـاصـرا فى نفس الوقت، ولن أنحـو هنا منحى الكثيـر من دارسى الإعلام أو المشتغلين به الشغوفين بالـدراسات الكمية ويقضون أوقاتًا طويلة فى حساب الساعـات والدقائق والثوانى التى تبثهـا الإذاعات والتلفازات للخطاب الدينى، وينحون إلى إقامة رسوم بيانية متداخـلة ومتقاطعة ومستقلة وفى النهاية النتـائج جـد هزيلة ... سـأتوجـه مبـاشـرة إلى المضـمـون، مضـمـون الخطاب الإسلامى الذى يبث من أجهزة الإعلام وأعتبر هنا أن كل الأدوات سالفة البيان التى تكون الوجدان هى من قـبيل وسائل الإعلام وسأحـاول هنا أن أعرض هنا لقضيتين هامتين، وأتصور كيـفية تقديمها فى هذه الوسائل بقدر الإمكان وهما يتبلوران فى التالى:

أولا: الإسلام والمقاومة والإرهاب:

بعد مؤتمر «ديربان» فى جنوب أفريقيا فى العام الفائت، أصبحت الصهيونية فى مأزق كبير لدى القطاعات الأهلية والرأى العام العالمى، حيث باتت الأغلبية مقتنعة بأن الصهيونية مساوية للعنصرية وأن الأعمال التى يرتكبها «شارون» فى

فلسطين ضد الشعب الأعزل إنما هى أعمال بربرية وعنصرية لا يجوز أن ترتكب فى القرن الحادى والعشرين.. ولم يستمر ذلك طويلاً إذ إن الأيام القليلة التى تلت هذا المؤتمر، تبدل ذلك كله، وذلك بعد أن وقعت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١.. إذ ترتب على هذه الأحداث أن تبدلت الكثير من الوقائع الثابتة فى العالم - فعلى صعيد المفاهيم- ترتب أمران:

١- قرنت أجهزة الإعلام الصهيونية فى أوروبا وأمريكا الدين الإسلامى الحنيف بالإرهاب وأصبح الدين الحنيف الذى شرق شرقًا وغرب غربًا وملأ الصدور والعقول بالإيمان والاقتناع، أصبح هذا الدين مطالبًا بأن ينفى عن مبادئه وتعاليمه صفة الإرهاب، وأنه ليس هو الدين الذى يحض على قتل الأبرياء ويروع الآمنين فى سبيل تحقيق أغراض غير مشروعة.

٢- الخلط الكبير بين الدفاع عن النفس والمقاومة التحريرية المشروعة للدفاع عن الأرض والنفس والمال والعرض والدين وبين الإرهاب بحيث صارت مقاومة الاحتلال إرهابًا ، وأصبح القاتل مقتولاً والغادر مغدورًا به والقتيل يطلب شفاعة القاتل.

وراحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة الكبيرة فى العالم توجه ترسانتها المسلحة ذات اليمين وذات الشمال بدعوى محاربة الإرهاب وتوزع الاتهامات على كل تنظيمات المقاومة سواء المشروع أو غير المشروع منه، اتهامات بالإرهاب والتخلف والقتل.. ويبدو غريبًا أن كل هذه المنظمات تدين بالإسلام ومعظمها يقاوم الأعمال البربرية والاستئصالية التى توجهها «إسرائيل» إلى الشعب الفلسطينى على أرضه ووطنه.. ولهذا نقول بكل ثقة إن هذه السلوكيات لأكبر دولة فى العالم يصب فى النهاية لصالح «إسرائيل» وغلاة اليمين المتطرف فيها.

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد، حيث أوعزت الولايات المتحدة إلى هيئاتها التعليمية والثقافية أن تطلب من وزارات التعليم فى الدول الإسلامية أن

تنقى مفاهيم الدين الإسلامى التى تدرس للطلبة فى مناهج التعليم من مفاهيم القتل والإرهاب فى هذا الدين.. وتطلب الهيئات الأمريكية هذا الطلب ولا يهتز لها جفن مدعومة ببعض الأقوال التى تطلق عليها نظريات لأحد المنظرين الذى خرج على العالم من سنوات قليلة خلت بأن الصراع القائم الذى حل محل الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية بعد تفكك معقل الأخيرة «الاتحاد السوفيتى فى ١٩٩٠» .. أصبح الصراع الآن صراع حضارات وأبرزها صراع الحضارة الإسلامية والمسيحية الغربية.. وإذا كان الكثير من مراكز الفكر لم تهتم بأقوال «صموئيل هنتجتبون» وقتها عن صراع الحضارات، ووصفه أحد المفكرين العرب بأنه «غراب من غربان الثقافة».. إلا أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ قفزت بأقواله هذه إلى الصدارة بمقولة إن الحضارة الإسلامية التى يغذيها الدين الإسلامى ومستمدة أصولها منه هى حضارة إرهابية، والباحث فى هذه الورقة، إذا كان يعرض لبعض الخطاب الإسلامى- فى أجهزة الإعلام، ودور هذه الأجهزة فى نشر هذ الخطاب ، إلا أنه يؤكد - فى البداية- على التشدد فى إبراز كل مفاهيم الدين الحنيف التى تدعو المسلم إلى الدفاع عن حقه وعن عرضه وعن أرضه وعن نفسه وعن دينه وعن ماله، وأن هذا الدفاع يفترق تمامًا عن الإرهاب الذى يقرنه الإعلام الغربى والأمريكى بمفاهيم الدين الإسلامى، بمعنى أن لا يسقط ذلك مراكز الفكر الإسلامى فى شرك المجاملة أو شرك الفزع خوفًا على بعض مصالحنا فى هذه الدول بأن نبرز لهم كل مفاهيم الإسلام السمحاء خاصة فى المجادلة والحوار دون المفاهيم التى تحضنا على الدفاع عن النفس والأرض والعرض.. وأن نتشدد كثيرًا فى -البداية- حول توضيح الفارق بين الإرهاب وبين المقاومة أو الكفاح التحررى.. فما زالت بعض أراضى المسلمين مغتصبة ومحتلة بقوى أجنبية غريبة تمارس التعذيب على المسلمين من نساء وأطفال ورجال خاصة فى «فلسطين» وليس من الدين فى شىء والإيمان به، ولا من مصلحتنا أن نخفى

هذه المبادئ فى ديننـا الحنيف والذى يأمرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالدفاع عن أنفسنا ضد الغاصب المحتل.. فى نفس الوقت نبرز المفاهيم المغلوطة والمشوهة عن عمد أو بدون عمد لدى الغرب ، ونعمل على تصحيحها وتقديمها دون شوائب أو خزعبلات تلك التى راجت كثيرًا فى وسائل إعلامنا، وفيما يتعلق بالكفاح المسلح لا يتم نحو تحرير الأرض إلا به، ولدينا الجزائر وثورة الريف فى المغرب والمجاهدين فى جنوب لبنان الذين أجلوا إسرائيل عن الشريط اللبنانى المحتل، والذين يصنفون فى قائمة الإرهاب وفقًا للخطاب الأمريكى، ولدينا تلك العمليات الاستشهادية للشباب الفلسطينى والتى تجيء ردًا على المذابح وهدم المنازل وتشريد السكان، التى ترتكبها قوات «شارون» أن أخذ الحذر وإعداد القوة ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾.. يتعين أن نقدمه فى مناهجنا التعليمية وفى وسائل الإعلام لأولادنا ولخصوم هذه الأمة بشرط توضيح أن إعداد هذه القوة للدفاع عن النفس ورد العدوان، فالدين الإسلامى لا يرضى العبودية للمسلمين، ولا يرضى قهرهم والعيش فى خنوع، دين العزة لله والرسول والمؤمنين..، وإنما هو دين استعمال القوة لرد العدوان فقط ولا ترهبنا القوة المسلحة الباغية، فكما يقول الأفغانى: «لا يقال إن النمل لا يقدر على الفيل لأن العصفور ينقر عين الفيل فيسقط فى الهاوية»، فى نفس الوقت هو دين التعايش مع الشعوب الأخرى والمسالمة والسلام والموعظة الحسنة والحكمة فى الجدال والحوار ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ وليس دين الإرهاب والبطش واغتيال الأبرياء، وبالتالى يتعين فى وسائل الإعلام إبراز هذا الخلط الغربى والتعمية الصهيونية ودحضها، وإبراز الفارق جليًا بين الدين الحنيف فى الحض على استعداده للقوة للدفاع عن النفس وفى السلام والطمأنينة للتعايش مع شعوب الأرض.

ومن قبيل الأسف، أن الذى يفرض علينا على الدوام، المعركة أو التحدث فيما يجوز فيه التحدث أو لا يجوز فيه، ويفرض علينا الوقت والموضوع عادة-

الأجنبى، ففريق كبير من علماء هذه الأمة كانوا ينادون من وقت ليس بالقصير بتنقية الخطاب الإسلامى فى وسائل الإعلام مما يشوبه من سلبيات مثل التركيز على بعض الخزعبلات التى لا تمت إلى الغيبيات فى الدين بصلة والتركيز على بعض مسائل الجنس.. ولا أحد يهتم، ومنذ زمن بعيد وفريق كبير من العلماء يقول بتفاعل الحضارات ووحدتها وكل يدلى للآخر ببعض ما عنده من علم وعادات وتقاليد نافعة، بحيث يقال إن التراث الإنسانى وحدة واحدة وليس ملكًا لأحد، فالحضارة العربية والإسلامية ساهمت مساهمة كبيرة فى صنع الحضارة الغربية سواء على صعيد العلم أو الفكر.. ولم تكن الأديان تتصارع مع أحد خاصة الدين الإسلامى، حيث إن تعاليم الدين السمح تنشر فى بعض أصقاع العالم ومنها بعض الدول الأوروبية والأمريكية عن طريق فهم مبادئه وتوضيح تعاليمه الأصلية عن طريق الاحتكاك ببعض المسلمين الصالحين أو القراءة دون أية بعثات تبشيرية.. بل العكس أن المذابح الدموية التى سالت فيها الدماء أنهاراً عرفتها أوربا بين بعض المذاهب المسيحية: الكاثوليك والبروتستانت، وتشهد بذلك مذبحة «سانت بارتلمى» ١٦١٧ وما زال الصراع حاميًا بين المذهبين حتى اليوم فى أيرلندا الشمالية وبعض ولايات كندا والولايات المتحدة نفسها .. أن الدين الإسلامى لا يتصارع مع أحد ولكن يتعايش سواء مع غير المسلم فى ديار المسلمين أو معه فى دياره، فهو فى ديار المسلمين آمن على نفسه على ماله وعلى عرضه.. وفى ديارهم يأمر الدين الحنيف المسلم بأن يحترم الآخر ودينه وأن يمارس المسلم شعائره الدينية دون صخب أو ضجيج أو اعتداء على أحد أو المساس بشعائره.. وأعتقد أن الرغبة فى الهيمنة والسيطرة على مقدرات الآخرين وثرواتهم ومواقعهم الجغرافية الإستراتيجية، تغلف بصراع الأديان والحضارات حتى تتخذ متكأ، وتنهض مبرراً للاعتداء عليهم واحتلال أراضيهم وتوجيه القوة العسكرية لبلادهم.. لأنه من غير المقبول ولا المستطاع القبول بالمبررات الاستعمارية فى عالم اليوم التى تهدف إلى السيطرة على المادة الخام والثروة

وتقسيم العالم.. ولكن أن تغلف هذه الأهداف الخبيثة بدعاوى أن الدين الإسلامى دين إرهابى وأنه يستهدف الآمنين فى بلادنا ويروع المسالمين وبالتالى تجرد له الجيوش وتحشد للبلاد الإسلامية القوات وتعتدى عليها، وتوقف تطورها ونموها نحو النهوض بشعوبها وتحسين اقتصادها وتنوع هياكلها الإنتاجية ورفع مستوى شعوبها.. وتحتل أراضيها بدعوى وقف الإرهاب واجتثاثه من جذوره ، هذا هو التمويه والدجل السياسى وهذه هى الأبواب التى فى باطنها العذاب وفى ظاهرها الرحمة.

وبالتالى فى هذه الجزئية - اسمحوا لى - أن تركز وسائل الإعلام على نقطتين :

١ - الدين الإسلامى هو دين الإعداد للقوة للدفاع عن النفس ودين السلام، والمحبة والطمأنينة والتعايش مع الشعوب الأخرى.

٢- الفرق كبير وقائم بين الدفاع عن النفس ومقاومة المحتل وبين الإرهاب الذى يعتدى على المسالمين دون ذنب جنوه ويروع الآمنين.

ويتعين ألا نكف مطلقًا فى حوارنا مع الأجنبى : عن ضرورة مناقشة هذه الجزئية حتى نصل إلى الفرق بين الكفاح المسلح للدفاع عن النفس وتحرير الأرض وهو مشروع وبين الإرهاب وهو الاعتداء غير المشروع على الآمنين لتحقيق أهداف غير مشروعة.. ثم إبراز أن الإسلام بقيمه وتعاليمه عندما يأمر عباده بالدفاع عن أنفسهم وعن أرضهم ضد الغاصب فإن هذا ليس إرهابا وإنما الإرهاب هو من يحتل أراضى الغير ويقتل أهلها، وفيما يخص هذه النقطة فإن كل تعاليم الإسلام تحض على الخير والسماح والحب.

ثانيًا: الدين والعلم:

من خلال الرصد والتجربة مع الأئمة والوعاظ فى صلاة الجمعة حيث تكون هذه الأخيرة خطبة رسمية - عادة - تميل إلى الدعاء لولى الأمر وللمسلمين

بالفلاح والتوفيق والنصر.. أما الخطب الأخرى والدروس التي يلقونها- عادة- تحمل الكثير من الخزعبلات والقصص الخرافية، التي يعجب بها العامة والبسطاء ولكنها لا تمت إلى الدين بصلة، ولن يقبلها منا المتلقى لهذه الرسالة من الغير مثل إسقاط طائرات «الميج» السوفيتية فى أفغانستان حيث كان المؤمن يقرأ الفاتحة على حفنة من تراب، ثم يقذفها فى وجه الطائرات فتسقط، وسبق وأن حارب «محمد بن عبد الوهاب ورشيد رضا» وكلاهما من السلفية هذه البدع والخرافات فى التفكير الدينى المعاصر وفى أساليب الممارسة الدينية، وعلى هدى تعاليمهما أقيمت مدرسة النقد الاجتماعى الدينى الموجه مثل تفسير «المنار»، بحيث أقيمت مبادئ الدين الحنيف لتلبى صوالح المسلمين وتشبع مطالبهم الدنيوية والمادية».. ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ حيث كان مقياس صحة العقائد ليس كذبها أو صدقها من الناحية النظرية بل مقدار فاعليتها من الناحية العملية والدين الإسلامى الحنيف صالح لكل زمان ومكان، يلبى مطالب المؤمنين على جميع الأصعدة، دون الخوض فى الجزئيات وتنقيته من البدع والشوائب التى أدخلها عليه بعض الموالى وبعض المتآمرين واجبًا شرعيًا.

كما أنني أعجب لهؤلاء الذين يحاولون الزج بالدين الإسلامى إلى إثبات نظريات علمية حديثة، بينما فروض العلم لتفسير الطبيعة وفروض الدين لتفسير الحياة العامة، ولكن محاولات البعض إظهار براعة فى التوفيق بين عقائد الدين وبين ما ظهر حتى الآن من قوانين علمية حتى يقفز إلى الصدارة فى مجتمع من أنصاف المتعلمين بغية الشهرة والتجديد المصطنع بتملق العواطف الدينية، وإذا كان الدين يحث على استعمال العقل والتدبر والتفكير وإعطاء وصف للظواهر الطبيعية من إنسان وحيوان ونبات فهو يهدف إلى إعطاء بعض المعانى الإنسانى العامة وليس إقامة للعلم الطبيعى وفى الإسلام لم يكن هناك تعارض بين العلم والدين .. كان هناك تعارض من نوع آخر بين

«الفقهاء والصوفية بين المتكلمين والفلاسفة، حول تفسير القرآن والمنهج المتبع: المنهج العقلي عند الفلاسفة أو المنهج الذوقي عند الصوفية والمنهج الاستقرائي عند الأصوليين.. وإذا رفض الفكر الديني المعاصر نظرية «فرويد» فإنه يرفضها لأسباب في علم النفس كما رفضها بعض الفلاسفة وبعض علماء النفس... أما محاولة التوفيق القسري بين العلم والدين واستخدام نظريات علمانية في الضوء والذرة لتبرير عقائد الدين وصحتها.. تدل عند الباحث على عدم فهم للدين ومراميه ومقاصده، المعاني الدينية في العقل والقلب، ووصف الدين للظواهر الطبيعية من إنسان وحيوان ونبات لا يهدف إلى إعطاء حقائق علمية عنها بل إعطاء بعض المعاني الإنسانية العامة وتحديد موقف الإنسان بالنسبة لها.. أما نظريات العلم فليست حقائق أزلية، فتصور «نيوتن» للطبيعة ليس حقيقة مطلقة والتصور المادي للكون ليس بديلاً عن التصور الديني له، فالنص الديني يحتوي على حقائق يمكن اعتبارها توجيهات عامة أو فروض عامة... وتكون مهمة المعرفة الإنسانية التحقيق وتوجيه الفكر الإنساني نحو التوصل إلى كيفية التطبيق حيث إن الوحي كفاه البحث في المسلمات أو خف عنه البحث النظري.

أما ما يذكر في الكتب المقدسة من قصص عن الملائكة والشيطان وآدم وحواء وإبليس.. إن هذه القصص البالغة الروعة في التصوير الفني الغرض منها التأثير على النفوس وليس تقرير وقائع تاريخية وقال بذلك سلفًا الكثير من فلاسفة الإسلام.. فالغرض ليس الرمز في ذاته بل هو المنفعة الحاصلة منه في الحياة العملية وإظهار ذلك بأسلوب التخيل، والدين الإسلامي- طبقًا لما يقرره علماء تاريخ الأديان- أقل الأديان ذكرًا للقصص والمعجزات، فالإسلام يمثل آخر مرحلة من مراحل التطور، حيث بلغ العقل كماله ويستطيع الإنسان بعقله الإدراك المباشر ويستطيع بفعله وإرادة الله تغيير واقعه.

وليس الإسلام وحيًا أعطى مرة واحدة كما نزل غيره من الرسالات بل أعطى خلال ثلاثة وعشرين عاماً ونزل الوحى حسب متطلبات الواقع أو طبقًا لأسباب النزول وتبعًا لإمكانيات تقبله، إنه يتبع فلسفة ارتقائية للتاريخ.

غير أنه ما زال يروج فى أجهزة الإعلام قصص كثيرة عن الشياطين والجنس وأعتقد أنه يتعين التخفيف منها فى حوارنا مع الغير.

التعارض ليس بين الدين والعلم بقدر ما هو تعارض بين الجديد والقديم أو بين الجمود والتحرر وهو التعارض المعروف داخل كل علم إنسانى سوا ء كان فى الفلسفة أو العلم أو الدين فتاريخ العلم مملوء بالتعارض بين النظريات القديمة والجديدة وتاريخ الفلسفة صراع مستمر بين القديم والجديد.. واعتبار الأرض المركز ودوران الشمس حولها لم يكن خطأ فى تفسير الكتاب المقدس بقدر ما كان خطأ أولاً فى علم الفلك لبطليموس.. إذ كان التعارض هنا بين العلم والدين يدور حول أن كلاهما يدعى تصوير الواقع ، ويكون مقياس الصدق هو التطابق مع الواقع سواء صدق ذلك على التفسير المعين للدين أو على النظرية العلمية.. هذا التعارض نشأ فى بيئة معينة هى البيئة الأوربية ابتداء من معطيات الديانة المسيحية والعلم الغربى ولكن فى الحضارات الشرقية القديمة الهندية والمصرية أو الصينية، لم يكن هناك تعارض بين العلم والدين بل كان الدين أساس العلم وباعثًا على البحث العلمى، فالعلم كان هو المحقق لغايات الدين كما يدل على ذلك فن التحنيط عن قدماء المصريين.

ولكن فى المسيحية استمر الصراع بين الدين والعلم، وأقدمت الكنيسة على حرق «برنو» وحاكمت «جاليليو» واضطهدت العلماء والمفكرين.. وحاولت التوفيق بين الدين والعلم، وكان الخطأ يكمن فى ربط حقيقة عامة وهو الدين بما هو أقل منها عمومية وهو العلم الطبيعى، فالقانون العلمى يختص بفرع معين من العلوم يتصل بفرع من فروع الحياة العامة للإنسان، أما الدين فهو الحقيقة العامة والعلم جزء من هذه الحقيقة العامة.

فى التراث القديم للعالم الإسلامى لا يوجد تعارض بين الدين والعلم نظراً لأنه ليس لدينا تراث علمى معارض للدين، فقد كان علماء المسلمين فقهاء، وهكذا يتعين أن يظهر الإسلام فى وسائل الإعلام كمبادئ تحض المسلم على الدفاع عن نفسه أمام المعتدى، ويتعايش فى أمان وسلام مع أديان الغير وثقافته، وأنه دين خالى من الخرافات والبدع والخزعبلات ولغيبيات فيه للإيمان بقدرة الخالق ـ تعالى شأنه وجلاله ـ.

ويتعين أن ندرك أن الكثير من مفكرى اليمين فى الغرب ينظر إلى الإسلام باعتباره «دينا همجيًا» أما الفكر اليسارى فيرى قيمة الإسلامي. كما يرى أخرون كانت تكمن فى عدائه للشيوعية وهكذا فقد قيمته بنهاية الشيوعية.

وهكذا فدور وسائل الإعلام فى مواجهة الهجمة الشرسة الحاقدة على الدين الإسلامى عصمة أمرنا، عنيفة هذه المرة ولكن عن طريق كل وسائل الإعلام وعن طريق الحوارات والندوات والمنتديات والمقالات والكتب سواء فى التلفاز والإذاعة والمسجد.. المهم تركز على قضايا أساسية وأصيلة لشرح الإسلام للغير وتجديد الخطاب الدينى المعاصر بحيث يحافظ على الأصالة الحقيقية البسيطة وتنقيته من الشوائب التى علقت به بحيث نحافظ على الأصالة والمعاصرة ..

وبالتركيز على هذه القضايا الأولية تكون أجهزة الإعلام قد أسهمت فى تقديم مبادئ الإسلام الصحيح وأبعاد صفة «الإرهاب» عن ديننا الحنيف، عصمة أمرنا وهادينا إلى الرشاد والرشد فى هذه الدنيا.

وهكذا تكون القضايا الأساسية فى هذه الورقة هى :

لا يعرف الإسلام الإرهاب وإنما يعرف النضال المشروع للدفاع عن النفس وعن الأرض والوطن والمال.

الإسلام الأصلى صافيًا رائقًا يبعد بعد السماء عن الأرض من الخزعبلات والبدع التى تتناقض مع الغيبيات التى يؤمن بها المسلم.

فى اعتقـادى هذا هو المطلوب من أجهزة الإعـلام فى تقديم الخطاب الدينى المعاصـر للمسلم وللغير فى هـذه الفترة الحامسة فى تاريخ مسيـرة ديننا الجامع والشامل والخالد.

***

المراجع

١- انظر: مجلة كلية أصول الدين والدعوة - أسيوط- العدد الثانى عشر ١٩٩٤.

٢- حسن حنفى- قضايا معاصرة فى فكرنا المعاصر- دار التنوير- بيروت.

٣- رجب البنا - الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧.

٤- أحمد عرفات القاضى- الفكر التربوى عن المتكلمين المسلمين - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٦.

***

أزمة الخطاب الإسلامي في علاقة الشرق بالغرب

أ.د. محمد عبد الصمد مهنا(*)

الواقع أن روح الهزيمة الحضارية التي منيت بها كثير من شعوب وبلاد العالم الإسلامي في العصور الحديثة قد أسلمتها إلى حالة من غيبة الوعي بحقيقة تراثها وجعلها تتشبث بالحضارة الغربية في يأس ومذلة، محاولة اللحاق بها في عشوائية وتخبط، إلى الحد الذي حدا ببعض من آلت إليهم الكلمة سواء في الحكم أو في الفكر الإسلامي إسباغ شرعية على الأنماط المستوردة بصورة ممجوجة وعلى كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

ومما زاد الأمر تفاقماً أن البريق اللامع للمدنية الأوروبية ، قد أدى ليس فقط إلى تعميق الشعور بالهزيمة لدى هذه القوى الإسلامية فحسب، بل أغرى صانعيها أنفسهم - أي الأوروبيون- بالتمادي فيما انتهجوه قبلاً من سبيل إلى الحد الذي رسخ لديهم الاعتقاد بأن ليس هناك إلا نمط واحد من الإنسانية هو الإنسان الأوروبي، ونمط واحد من الحضارة؛ وهو الحضارة الأوروبية الحديثة بوصفه النمط الوحيد الجدير بالاتباع من قبل العالم أجمع، الأمر الذي أغوى وأخفى عنهم حقيقة الدرك الذي ينحدرون فيه، ومن ورائهم بقية الأمم.

وفي ظل هذا المناخ وتحت وطأة الضغوط الأوروأمريكية وجد المسلمون أنفسهم في موقف الدفاع بترديد مفاهيم واستخدام مفردات، وتبني مواقف لا تؤدي في النهاية إلا إلى عكس الهدف منها.

تلك هي أزمة الخطاب الإسلامي في حقيقة الأمر، فرفض رؤية الأمور على حقيقتها واصطناع تقارب مزيف بين الشرق والغرب وعدم الاعتراف بالاختلاف الجذري بين الحضارة الغربية ذات النزعة المادية المعادية لكل ما هو غيبي أو إيماني والحضارة الإسلامية ذات النزعة المؤمنة بما وراء المادة وحجب الغيب الحديثة يؤدي في الحقيقة إلى تفاقم العلاقات وتعقدها ويسرع بالغرب والشرق معاً إلى كارثة محتومة.

(*) استاذ مساعد القانون الدولي بجامعة الأزهر- فرع طنطا.

فطالما أن الغرب لا يرى إلا نمطاً واحداً من الإنسانية، ونوعاً واحداً من الحضارة فلا أمل في إمكان تحقق تفاهم أبداً أياً كان نوعه.

ولطالما أن الغرب لا يرى معياراً للحقوق سوى قوانينه ، وأسسا للعدالة سوى الوضعية، والعدالة النفقية فلا أمل في إقرار السلم والأمن في العالم.

ولطالما أن الغرب لا يعترف بمنهج للعلوم سوى المنهج التجريبي، ولا نوع للتقدم سوى التقدم المادي ولا لمعرفة من المعارف سوى المعارف التكنولوجية، فكيف السبيل إلى التلاقي.

كيف يمكن مواجهة الغرب بأن هناك حضارات أخرى متعددة سوى الحضارة الغربية الرأسمالية، وأن هذه الحضارات تتطور في اتجاهات شتى وإن حضارته تمثل شذوذاً في سلم الحضارات، لأنها الحضارة الوحيدة من بين كل الحضارات التي كان تطورها في اتجاه مادي بحت. وأن هذا التطور الهائل الذي شهد بدايته ما اصطلح على تسميته عصر النهضة في أوروبا قد صحبه انحطاط فكري مواز تمثل في انحسار الفكر والمعارف في دائرة المادة أو المحسوس ورفض ما عدّاها من علوم ومعارف يعجز المنهج العقلي عن إدراكها وحدة.

كيف يمكن إقناع أناس يعتبر الفكر أو العلم بالنسبة لهم وسيلة فقط للتصرف في المادة وتطويعها لأغراض علمية أو تصنيعية.

كيف يمكن إقناع فلاسفة أوروبا منذ بيكون وديكارت وكانت وهيجل إلى يومنا هذا ان وراء الطبيعة عالم ما وراء الطبيعة، وإن قوانين عالم الشهادة تدور في فلك عالم الغيب ومحكومة بقوانينه، وأن ليس من شئ في عالم الملك إلا وهو ظلال لحقائق عليا فوق عقول الغفاه في عالم الكون

كيف يمكن إقناع الغرب بأن أحكام هيمنت ما تبقى من على العالم والتي وصلت الى مداها من خلال العولمة إجراء أمر المثال.

يكفي للعصف به حادث غير متوقع قبيل ذلك الذي حدث في الحادي عشر من سبتمبر الماضي.

كيف يمكن مصارحة الأوروبيون أن الإرهاب الذي يهددهم يمكن سببه

الرئيسي في طبيعة الحضارة الأوروبية الحديثة ذاتها. وأنه مجرد دعوى ككثير من لدى التي يجيد الغرب استثمارها لمزيد من محاصرة الأمة الإسلامية سياسياً كدعاوى حقوق الإنسان أو الحرية أو الديمقراطية أو الشرعية الدولية، أو غير ذلك من الإيحاءات والشعارات التي يؤكد الواقع والتاريخ أنها عكس ما توحي به تماماً، لأنها قيم أنتجتها الآلة البرجوازية فلأول مرة في تاريخ البشرية تصنع القيم والمبادئ والأخلاق ويتم تغليفها وتسويقها على هذا الأساس.

كيف يمكن مصارحة الغرب أن الجات ليست إلا أداة النظام الرأسمالي للقضاء على الهوية الاقتصاد للأمم الأخرى تحت مسمى الخصخصة أو إعادة التكيف أو التحديث أو المساعدات الاقتصادية أو حرية التجارة بما يقتضيه ذلك من تضحيات وتنازلات خصماً من حساب الرصيد الديني والخلقي للأمة.

كيف يمكن إقناع بالكف عن محاصرة الأمة اجتماعياً فكرياً بالإمعان في تصدير الأنماط الغربية في هذه المجالات من خلال مؤسسات الإعلام والتعليم والثقافة ونوادي الماسونية والروتاري واللونير وفضائح الإعلام المرئي والمسموع والمقروء وموبقات علب الليل؟؟ ومخازي السينمات والمسارح والملاهي وتدعيم النفوذ العلماني على كافة المستويات.

إفشال المشروع الإسلامي الحضاري، الذي أصبح مرشحاً بالفعل بعد انهيار الشيوعية بانتهاء الحرب الباردة ليكون الطرف الثاني في معادلة توازن القوى الذي كان سائداً من قبل بين الأيديولوجية الرأسمالية والشيوعية خلال نصف القرن الماضي فليست القضية قضية محاربة الإرهاب، وإنما محاربة الإسلام بذلك.

أن الصراع الحضاري عموماً وعلى مر التاريخ البشري كان ولا يزال حقيقة واقعة، وليس وليد اليوم أو نظرية مستحثة ((ل هانتجتون)) أو ((فوكاياما)) أو غيرهما، وإنما ظهرت هذه النظريات على السطح في الآونة الأخيرة عندما بدأت أشرطها تتحقق في ارض الواقع بصورة أكثر وضوحاً للعيان.

والحضارة الإسلامية بأبعادها الدينية والروحية تقف على النقيض من

الحضـارة الغربيـة بأبعادها الدنـيوية المادية البـحتة ، وقلـما يحدث لـقاء بين الحضـارتين في الجوهر ، فضـلاً عن النظر إلى الكون والحيـاة والإنسان، ناهيك عن موقف الحضارتين من الدين، إذ هو موقف جد خطير، فبينما تعتبر الحضارة الإسلامية الدين منهج الحياة وحافز الحضارة، تقف الحضارة الغربية من الدين موقف العداء وتعزوا إليه صنع أسباب التخلف والتراجع الحضاري.

ومن هنا فعلق للمتخوفين والمترددين ن الصراع ليس بين الشرق الإسلامي والغـرب المسيـحي، بل بين كل الأديان من وجـهـة والغرب العـلماني المعـادي للدين أي دين ولروح التراث أي تراث من جهة أخرى.

والثورة على الكنيسـة في أوروبا مهما كانت تجـاوزت هذه الكنيسة لم تكن إلا بداية انحطاط في مـسيرة الغـرب الحضـارية والتي جرفت مـعها العـالم كله وتنحدر به نحو هاوية أو كارثة لم تحدث للبشرية من قبل ما لم تسارع الحضارة الإسلامية بما تبقى لديها من أنفاس في تعديل المسار وإنقاذ البشرية.؟

وليس هذا بالأمر السهل أو المهمة الهينة خاصة في هذا العصر،

الحضارة الغربية الحديثة تقوم بكامل بنيانها على عنصر سببي بحت، ألا وهو غيـاب المبدأ ومعـاداة حقـائق الدين وروح التراث ، ومن ثم لا يمكن أن يتـوافر لديها أي وسـيلة للتفاهم مع سواها من الحـضارات فأقرب الحلول لديهـا دائما هو الانتقـام والغزو والتدميـر ولم يكن للغرب أن ينجح في غزو العقـول وقتل الروحانية في شتى بقـاع الأرض والظهور بمظهر المتفوق حضـارياً لمجرد التقدم المادي التكنولوجي بوصـفه الجـانب الوحـيد الذي يمكن فـيه التـفوق الغـربي ، وغنما لغـيبـه الوعي لدى شعـوب وحكام الأمة الإسلامـية عن إدراك أصـولها الحضارية والإلمام بحقائقها الجوهرية، وفـيما عدا ذلك من الأزمات اللاأخلاقية والشعارات ذات النزعـة الإنسانية الرنانة التي دأب الغرب على رفعـها فليست إلا أساليب للدعاية والخداع والنفاق تسـتخدم في الوقت المناسب للوصول إلى هدفهـا التخريبي، فـفي الوقت الذي تقصف فيـه الطائرات الأمريكية المسـاجد والمنازل بأفغانستان فتهتز لها بشدة نوافذ إسلام آباد على بعد ٦٠ كيلو متر،

تقذف المروحيات الأخرى المساعدات والمعونات والأغذية للأفغان، تلك هي الحقيقة التي لا يماري فيها إلا أناس سذج أو لهم مصلحة حقيقية في هذا العمل الشيطاني حقاً بأدق معاني الكلمة.

فليست اذن الحروب ضد الإرهاب وإنما هي حرب ضد الإسلام يستخدم فيها الإرهاب ضمن أسلحة أخرى كثيرة، فليحذر المسلمين حكاماً ومحكومين من الانخداع بذلك، وليجمعوا أمرهم على أمر واحد، فالإسلام في خطر ودول الإسلام على شفا جرف هار، وأمة الإسلام تختنق، والأمم تتداعى عليها كما تتداعى الأكلة على قصعتها أو كما جاء في حديث النبي (ﷺ).

لم تعد لها هيبة في قلوب أي من أعدائها، أصاب الوهن على العكس قلوبها وأصبحت كالفأر في المصيدة، تندفع في اتجاهات شتى لا تعرف مخرجاً وقد أصابها الدوار، تجتمع قياداتها وتنفض على لا شئ اللهم إلا الخزي والمهانة والذل، ليس ذلك لقلة في العدد والعتاد فليس هناك أمة تربوا وحدها على مليار ونصف كأمة الإسلام، وليس هناك أمة تتمتع به هذه الأمة من ثروات وخيرات، وليس هناك أمة لها مقع وتراث كأمة الإسلام وليس هناك أمة وعدها الله بحفظ ذكرها مثل أمة الإسلام ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾، وليس هناك أمة جعلها الله ﴿أمة وسطاً لتكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾مثل أمة الإسلام، وليس هناك ﴿خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾مثل أمة الإسلام، ولكننا ضيعنا الأمانة وتخلينا عن الرسالة وأحببنا الدنيا وكرهنا الآخرة ولهثنا وراء الغرب في كل شئ فأورثنا الوهن الذي أشار إليه النبي (ﷺ) في الحديث، فانحطت الأمة وأصبح بأسها بينها شديد وانتكست بفعل المادية المستوردة إلى بهيمية فاجرة مدمرة لا تتقيد بدين ولا خلق ولا نظام ولا ضمير ولا قانون.

واندفعت فيها عوامل الإلحاد القادمة مع رياح العلمانية وما نتج عنها من أمراض اجتماعية وفردية على كافة المستويات وغفلت عن رب الدين والدنيا فاختلت مع الغفلة الموازين الاجتماعية والقيم الأخلاقية، وزاغت الكفايات ال

الروحية، فلم يعد للضمير الفردي أو الجماعي أدنى اعتبار، ولم يعد للحريات العامة أي ميزان ولم يعد للمثل العليا من آثار، ولم يبق للحقوق والأمانات والحرمات من حفاظ.

وفشى فيها الكبر والرياء والتجسس والغل والخيلاء والتفاهة والأمعية والمكر والحسد والتخابث والكيد والإباحية والزندقة والغيبة والنفاق والخيانة والنم والأنانية والغدر والبخل والمراوغة والجبرية والتمرد والتملق والمداهنة وسوء الأدب وقلة الحياء وإنكار الفضل وتشويه الجميل ونزوات الشهوات والتخنث والتديث والتوقح والنذالة والعيش على كسب الغير والتوفر على أذى الخلق وتتبع العورات وغيرها مما ينحط بالبشر إلى أقل من مرتبة الأفاعي والحشرات وأصاب أفرادها الضعف والقلق والخوف والانفعال والفزع والانزعاج والغضب والاضطراب والتشكيك والوسوسة والتخيل والوهم والكسل والجبن والسأم والضجر والملالة والعجز والضيق.

إن الأمة الإسلامية اليوم أمام لحظة تاريخية حكام ومحكومين، فعليها أن تتخذ قراراً تاريخياً إما أيضاء شعلة الحضارة الإسلامية التي خبا نورها لأكثر من ثلاثة قرون لتستأنف مسيرتها على أنوار الهدى الرباني ولتنير لغيرها الطريق ولتنقذ البشرية من كارثة محققه، وأما أن تستمر في سيرها وراء الغرب في موكب جنائزي عالمي نحو الهاوية.

وإضاءة شعلة الحضارة الإسلامية ليس مقصوداً به ذلك الخطاب المنهزم الذي ينعق بما يمليه عليه الغرب ولا تلك القشريات والسطحيات الفجة، والشعارات الرنانة والصراعات الحزبية الكاذبة والمتاجرة بالأديان والتطرف والعنف والإرهاب كما هو أيضاً ليس بالانهزامية والجهل والاغترار بالآخرين، وإنما بالعودة إلى الروحانية والى الربانية والى العلاقة بالله والإيمان بما رواء الغيب، وما يستتبع ذلك من المعارف العليا واستقرار أنظمة الحياة على كافة مستوياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية، وسمو الإنسانية وتقدم البشرية نحو النور والخير والجمال والحب والعطاء في كلمة مختصرة.

بأن يتحول الدين بكل أبعـاده الروحية والتشريعيـة الدنيوية والأخروية، الظاهرة والباطنة الثابتة والمتغيرة المكانية والزمانية إلى معاملة على أرض الواقع.
ذلك هو الخطاب الإسلامي الحقيقي، فكيف السبيل إلى ذلك ؟؟

***

الخطاب الإسلامى المعاصر ودوره
فى تأكيد براءة الإسلام من الإرهاب

أ.د/مصطفى محمد عرجاوى(*)

تمهيد:

يقولون: إن الحكم على الشىء فرع عن تصوره، ولا يمكن لأى فرد من غير المسلمين الحكم على الإسلام إلا بعد التعرف على منهجيته، وأحكامه، معرفة تسمح له بالحكم له أو عليه أو الفصل فى موضوع الإرهاب، لأن بعض المسلمين- من أسف- لا يجهدون أنفسهم للتعرف على أحكام الإسلام أو حتى مجرد الاطلاع على مبادئه وتشريعاته الرشيدة؛ لأن الإسلام هو الدين الخاتم الذى جاء بأمثل النظم للمحافظة على كرامة الإنسان، وحفظ حياته، فدمه مصان، وكما جاء فى الحديث النبوى الشريف: «لا يطل دم فى الإسلام، إما القصاص ، وإما الدية» أى لا يهدر أى دم لآدمى فى الإسلام، مهما كانت ديانته، فمن يعرف قدر ومقدار حرص الإسلام على حفظ الحياة الإنسانية، وما وضعه من نظم وتشريعات فى هذا الصدد، لقال بلسان مبين: إن الإسلام برئ من كل التهم التى تُلصق به- بغير حق- وبراءته من الإرهاب فى غاية الوضوح لكل باحث منصف، أو قارئ محايد، أو مطلع حصيف.. فالإسلام حجة على المسلمين بأحكامه وتشريعاته، فمن عرفه عرف الحق، لأن من يعرف الحق يعرف رجاله، أما الأدعياء من المغرضين أو المنحرفين، فلا علاقة للإسلام بهم أو بفعلهم سوى من حيث رفضه وإدانته، بل والمعاقبة عليه عند الاقتضاء.

تهمة الإرهاب والتطرف:

ترتبط تهمة الإرهاب بكل شخص يوسم بالتطرف فى سلوكه أو معتقداته،

(*) عميد كلية الشريعة والقانون فرع دمنهور سابقًا.

بغض النظر عن عقيدته، أو مذهبه، أو جنسه، أو جنسيته.. لكن للأسف الشديد، أصبح الإرهاب بسبب السيطرة العلمانية والصهيونية على أغلب وسائل الإعلام، ومعظم مصادره، يلتصق بالمسلمين دون سواهم من أصحاب الديانات الأخرى - بغير سند- لمجرد الكيد للإسلام، ومحاربته بكافة الوسائل للحيلولة دون انتشاره، ولترهيب المجتمعات منه، بمجرد التعرف المغلوط عليه، من خلال هذه الأبواق العملية أو المضللة، وذلك بادعاء أن الإسلام قد أعلن الحرب على العالم، وأن المتطرفين يتهمون غير المسلمين بالكفر، ولا علاج للكفر سوى الجهاد، أو دفع الجزية، والجهاد يعنى الحرب بكل وسيلة عند غلاة المتطرفين، فكأن الإرهاب هو وسيلة المتطرفين فى نشر الإسلام، وتتم عملية الربط هذه بصورة مريبة، ومن خلال صورة شاذة أو منحرفة تقع أحيانا، أو ربما نادراً، فى بعض المجتمعات المسلمة اسمًا لا حقيقة ورسمًا، وهى قد تكون مجتمعات بدائية جاهلة بأحكام الإسلام، بل تصرفاتها قد تكون مرفوضة تماما، وتتعارض بالكلية مع المبادئ والقيم الأصلية للإسلام، ومع هذا تؤخذ هذه الصورة المنفرة أو المنحرفة، وينفخ فيها، وتبرز على أنها تعبر عن حقيقة الإسلام، وهو منها براء براءة تامة، بل يدينها ويرفضها، ويعاقب عليها أحيانا، لكن هى الدعاية المغرضة، من خلال (إمبرَاطورية) الإعلام الصهيونى الذى جعل التطرف قرين الإرهاب، وهما وجهان لعملة واحدة - فى نظرهم- ولديانة وحيدة هى الإسلام، وحقداً عليه، وظلمًا له ، بلا أى سند أو شبهة مقبولة.

جريمة بعض المسلمين فى حق الإسلام:

إذا كان الإسلام هو دين الرحمة، ودين السلام، ودين يحمى الحياة والكرامة الإنسانية، ويعلى من شأن هذه الإنسانية، لدرجة أنه جعل من قَتَل أى نفس بغير وجه حق، هو بمثابة قتل الناس جميعًا، قال ـ تعالى ـ : ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ

نَفس أَوْ فَسَاد في الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٧٩]، وقال ـ عز وجلَّ ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:٧٠] فالكرامة مصانة في الإسلام ومعها الحياة الآمنة المستقرة، لكل من يخضع للرعوية الإسلامية بصرف النظر عن جنسه أو نوعه أو جنسيته أو ديانته، فلا تفرقة عنصرية بين البشر بسبب العقيدة- الفاسدة- بل معاملة كريمة للجميع، لكن بعض المنحرفين من المسلمين- كشأن غيرهم- لهم هنات أو شطحات، أو مسالك لا علاقة لها بالإسلام، لا من قريب ولا من بعيد، ومع هذا يحسبون عليه، وتنسب الجرائم البشعة التي تقع منهم إليه، ظلمًا وبهتانًا، ويتلقفها بعض المغرضين، وينفثوا بها ومن خلال سمومهم حول الإسلام كعقيدة أو شريعة، بهدف تنفير الناس منه، أو إثارة القلاقل في وجه معتنقيه، وهذا بسبب تقصير أو جرم بعض المحسوبين على الإسلام من أبناء جلدتنا أو غيرهم، والإسلام منهم براء.

ترويج فكرة الإرهاب:

إن ربط فكرة الإرهاب بالمسلمين، نشأت للأسف في بعض البلاد الإسلامية التي نسيت في غمرة محاربتها لبعض الغلاة أو المتطرفين أن تطلق عليهم مسماهم الحقيقي كمجرمين أو معتدين أو منحرفين.. وإنما أطلقت عليهم لفظ الإرهابيين، ولم تطلقه سوى على الجماعات التي تحارب باسم الدين، أو باسم فكرة معينة، ظاهرها الزود عن الإسلام، وباطنها الوصول إلى سدة السلطة، أو تحقيق بعض المآرب الشخصية، أو الطائفية أو غيرها من الأغراض غير المشروعة- أحيانا- وبوسائل لا يقبلها الإسلام، لأنها تسيء إليه، وأطلقت العنان للأقلام المأجورة (والأفلام السينمائية) المشبوهة، والمسرحيات والمسلسلات العلمانية الموجهة.. لتصب كلها في اتجاه ربط التطرف، والعنف،

والإرهاب بما عرف فى السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم بالجماعات الإسلامية، بكافة توجهاتها وأشكالها، بغض النظر عن صدق أو كذب ما يوجه إليها من اتهامات أو عمليات مسلحة ضد السلطة وبدون أدنى تمحيص للوقائع فى أغلب الأحيان، لذلك نقل الغرب والشرق، بل كافة دول العالم مصطلح الإرهاب عن هذه الحكومات، وقام بإلصاقه بالملتزمين من المسلمين، بصرف النظر عن سلوكياتهم، وتلك جريمة اصطنعتها بعض الحكومات العملية، أو المتسلطة، لحماية نظامها المرفوض حتى من ادول التى تحميها، لافتقاده لأبسط عناصر (الديمقراطية) الحقيقة، ولتوفير الحد الأدنى من الحق أو الكرامة للمواطن أو المقيم على ثراها؛ لأنها قفزت إلى الحكم على أسنة الرماح، فى انقلاب عسكرى، أو تزوير لإرادة الجماهير، وهى تعلم بهذا علم اليقين، ولذلك تحارب بشراسة من يقف فى طريقها، أو يجرأ على أن ينبت بكلمة حق فى مواجتها، ولا تعرف فى تعاملها سوى لغة الحديد والنار والإرهاب الحقيقى، وعندما يقوم بمقاومتها بعض المخلصين أو الشرفاء، يتم تصفيتهم جسديًا أو اتهمامهم بالتهمة الجاهزة دائمًا، ألا وهى الإرهاب.

من هنا تعوّد العالم على هذه التسمية المنتشرة فى بعض بقاع عالمنا الإسلامى، وهى فى الواقع كلمة يمكن أن توصف بها تصرفات من قام بتصديرها، أو إلصاقها ظلمًا وبهتانًا ببعض المخلصين من المسلمين، أو المناضلين للدفاع عن الحق مع استعداد للتضحية بالنفس والمال، بلا رغبة فى سلطة أو تسلط، وإنما رغبة فى إزاحة الظلم ورفعه عن كاهل إخوانهم فى بعض هذه البلاد الإسلامية الموبوءة ببعض النظم العلمانية المنحرفة، ومن كان من هؤلاء يبتغى مجرد مناوءة السلطة، أو يطمح لمصلحة شخصية أو عصبية معينة.. فلا علاقة له بالدين الحنيف، دين الإيثار، والتضحية، والفداء، فكان من الواجب أن يطلق على هؤلاء الخوارج أو المتآمرين الصفة الحقيقية الجديرة بهم.. لكن معظم الحكومات تصم آذانها عن دعوة الحق، وتتهم الجميع

بالإرهاب، بحق حينًا أو بغير حق فى معظم الأحيان، ولذلك راجت هذه الفكرة المنحرفة وتم ا. قها بالزور والبهتان ببعض المسلمين، والسبب بعض حكام المسلمين المتسلطين أو المنحرفين.

الإسلام عدو الإرهاب:

كل إنسان عاقل لا يتسرع فى إصدار حكمه بدون دراسة سابقة، أو تمعن فى فحوى القضية التى يعرض لها، لأن من أسباب الوقوع فى الخطأ التسرع فى الحكم، ومن يتمعن فى المبادئ العامة للشريعة الإسلامية، يمكنه أن يقرر – وبوضوح– وبلا أدنى تردد، أن الإسلام هو العدو الأول للإرهاب، لأن المسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده، كما علمنا المصطفى ﷺ، وليس المسلم بالطعّان أو اللعّان أو الخائن أو الغدّار... لأن الإسلام يبغض كل هذه المسالك الخسيسة، بل يحاربها بضراوة، لأنه دين الرحمة فالراحمون يرحمهم الرحمن، ورسول الله ﷺ يدعو إلى الرحمة : «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»، ورحمته ﷺ امتدت لتشمل الحيوان والنبات، بل كافة شئون الحياة، ألم يشر صلوات الله وسلامه عليه إلى أن رجلاً دخل الجنة فى كلب سقاه، وامرأة دخلت النار فى هرة حبستها، لا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش –حشرات– الأرض؟

ألم يدعو صلوات الله وسلامه عليه إلى عمارة الكون، وإحياء الموات من الأرض، فقال ﷺ : «من أحيا أرضًا ميتة فهى له»[1]، وروى عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ : «من عمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق بها»،[2] وروى عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «من أحيا أرضًا ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العوافى[3] منها فهو له صدقة»[4].

هذه الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد على حرص الإسلام على عمارة

الكون، ودعوته المتجددة إلى بعث الحياة، ونشر العمران فى كافة بقاع الأرض، وعدم ترك الأراضى الخربة بلا عمران، وإن كانت بعيدة عنه، تشجيعًا لكل من يرغب فى الكسب الحلال أن يجاهد فى تعمير الأرض، وعندما يقوم بتعميرها وإحيائها يتملكها، مكافأة له على هذا الجهد الخير، وحثًا لغيره على محاكاته لتزداد رقعة التعمير وينتشر الخير فى ربوع الأرض.

هذا هو نهج الإسلام، دين التعمير والبناء، والعدو الأول للتدمير والإفساد، لأنه يعاقب كل من يسعى لإفساد الأرض، ويحارب كل من ينشر الرعب أو يخرج على المجتمع بأقسى وأقصى العقوبات البدنية والمالية، لردع الفساد وبتره- أحيانًا - عند الاقتضاء، حرصًا على استقرار الأمن والأمان فى المجتمعات الإسلامية وغيرها بلا أدنى تمييز بين البشر.

الإسلام دين السلام:

من أسماء المولى ـ جلَّ فى علاه ـ السلام، وتحية المسلمين السلام، والجنة تسمى دار السلام، والمسلم- بحق - هو من سلم كل الناس من لسانه ويده، سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم فلا عدوان إلى على الظالمين، ولا محاربة إلا للمجرمين والمنحرفين، بل حتى من يحارب الإسلام صراحة، ويطلق نار العداوة من حوله، إن جنح إلى السلم والسلام، فعلى المسلم أن يستجيب إلى هذه الدعوة، بلا أدنى تردد، وذلك هو توجيه رب العالمين، قال ـ تعالى ـ : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

لقد جاءت هذه الآية بعد دعوته ـ سبحانه وتعالى ـ إلى الأخذ بأسباب القوة، لإرهاب أعداء الله ـ تعالى ـ ، هؤلاء الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر، أو يحرصون على إيذائهم أو النيل منهم، فقال ـ تعالى ـ : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ

دُونهمْ لا تَعْلَمُونَـهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فـمع توافر القـوة المسلحة، والإمكانات العسكرية الصاعقة، يدعـونا الإسلام إلى السير فى ركاب السلام، والاستجـابة إلى دعوته وتقديمـها على غيرها، من منطلق القـوة والتمكن؛ لأن هذا التوجـيه النبيل يتمـاشى مع رسالته السـامية، فهـو بحق دين السلام، وليس علينا سوى ترجمة النصوص الكريمة المتـضمنة لهذا التشريع الحكيم والدستور الكريم، ليـتعـرف العـالم أجمع علـى النهج القويم للإسـلام فى حـالتى السلم والحـرب، وليـتأكـد من خـلال النصـوص البينـات ويقف على مـدى حرصـه وحمـايته للحياة، ومـعاداته ومحاربـته للإرهاب بكافة صوره وألوانه، ورفـضه لكل وسيلة غـير مشـروعة، يتوصل بـها إلى هدف مشـروع، لأن الغاية عنده لا تبرر الوسيلة، فلا بد من مشروعية الغاية وما يتوصل به إليها، وعندئذ يعلم غير المسلميـن حقيـقة الإسلام، ويتـأكدون تمامًـا من براءته من كل مظاهر الإرهاب الذى يقـوم به بعض المنحـرفين، لأنه دين يـحمى الحـياة الإنسـانيـة، ويعلى من كرامة الإنسـان فى كل زمان ومكان، بغض النظر عن جنسه أو جنسيتـه أو لغته أو ديانتـه، ولأنه أيضًـا خـاتم الأديان، ولذلك يحـمل لواء السـلام، ويتـسـمى بالإسـلام، ليـحـقق الأمن والأمـان والاسـتـقـرار لكل الناس، فى كـافـة ربوع الأرض، والله من وراء القصد.

***

الهوامش:

(١) صحيح البخارى مع فتح البارى (٥/ ٢٣).

(٢) صحيح البخارى مع فتح البارى(٥/ ٢٣).

(٣) العوافى : جمع عافى، وهو كل طالب فضل أو رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر.

قال أبو عبيد : العافية من السباع والطير والناس، وكل شىء يعافه. القاموس المحيط (٤/ ٣٦٦)، والأموال لأبى عبيد - بتحقيق محمد خليل الهراس (ص/ ٣٦٣).

(٤) المسند للإمام أحمد (٣/ ٣٤٠).

***

الخطاب الإسلامي التربوي

أ.د/ سعيد إسماعيل علي[*]

لماذا إسلامية الخطاب التربوى؟

على الرغم من أن الدعوة للمشاركة تنطلق من إسلامية الخطاب على وجه العموم. مما يقتضى أن تكون «الإسلامية» هى المنطلق، والمسلَّمة التى تقوم عليها المشاركة، إلا أن الخطاب التربوى على وجه الخصوص يعانى من إنكار وجود بين كثرة لا ينبغى أن تنكر من العاملين فى المجال التربوى، وبالتالى، فكيف يمكن لنا أن نضمن هذه الورقة جزءاً خاصًا بكيفية التعامل مع الآخر، خاصة وأن القطاع الإسلامى فى هذا الآخر لا يعترف أصلا بوجود خطاب تربوى إسلامى؟

إن نقطة البدء هنا هو الانطلاق من مسلَّمة يسلم بها العاملون فى العلوم التربوية، ألا وهى أن العملية التربوية هى مجموعة من الإجراءات التنفيذية التى تستهدف بناء إنسان بمواصفات معينة، وهى بهذا المعنى لا بد أن ترتكز إلى تصور كلى يحدد هذه المواصفات، وقبل ذلك يحدد الهدف من بناء هذا الإنسان. ثم يوجه النظر إلى كيفية نقل هذه المواصفات من مستوى التصور والأمل الكلى العام، منذ أن بدأ فيلسوف الإغريق الشهير أفلاطون ذلك فى كتابه (الجمهورية)، كى يتوالى بعده المفكرون والفلاسفة، مثل أرسطو فى (السياسة) وجان جاك روسو فى (إميل)، وغير هذا وذاك مما يصعب حصره فى هذه الورقة المحدودة.

وعندما نجد فى الكتابات التى ترصد اتجاهات الفكر التربوى، منذ القدم، حتى الآن وصفًا لاتجاه بأنه مثالى أو اقعى، أو طبيعى، أو تجريبى، أو مسيحى، أو

(*) أستاذ أصول التربية بجامعة عين شمس.

يهودى، أو برجماتى، أو ماركسى، أو وجودى ، أو تحليلى، أو نفسى.. الخ. فإنما يعنى هذا استناد التربية إلى إطار فكرى عام.. ولنسمه ما شئنا : فلسفة، مذهب ، عقيدة، أيديولوجيا، فالفكرة واحدة، ألا وهى الانطلاق من تصور فكرى كلى شامل يرسم الخطوط العريضة لبناء شخصية الإنسان كما ينبغى أن يكون.

فما الغريب، اتساقا مع هذا ، أن ينطلق البعض منا من عقيدته الإسلامية ليستنبط تربية إسلامية تسعى إلى صياغة الشخصية الإنسانية بما يتفق والتصور الإسلامى، على أساس الإيمان بأن خالق الإنسان هو الأدرى والأعلم بكيفية بناء شخصيته؟

هناك الدعوة الشهيرة، بأن وصف هذه التربية بأنها (إسلامية) يحمل اتهاما للتصورات التربوية الأخرى بأنها غير إسلامية، وهذا مردود عليه، فوصف حزب مثلا بأنه (وطنى) لا يعنى اتهام الأحزاب الأخرى بأنها غير وطنية، ووصف حزب آخر بأنه (تقدمى) لا يعنى اتهام الأحزاب الأخرى بأنها متخلفة بل إن وصفنا لشخص بأنه على خلق كريم، لا ينبغى أن يحمل على أنه اتهام لغيره بأنه على خلق غير كريم ... وهكذا.

وهناك من يرددون القول بأن الاستناد إلى منطلق دينى يجعل النقد والمناقشة محفوفة بالمخاطر، إذ قد يتعرض الناقد إلى الاتهام بالكفر، وخاصة إذا اتصلت التربية بمصدرى الإسلام الأساسيين: القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا أيضًا مردود عليه بالإشارة إلى الاختلافات الشهيرة بين المذاهب الفقهية الكبرى، إذ انطلق كل فقيه، بخالص عقله، وإخلاص قلبه، يقرأ النص الدينى، يفهمه بما قدره الله له من الاستعدادات الإدراكية. وظهر كثيرون يعارضوه، دون أن يتهم أحد الآخر بالكفر.

وإذا كان هذا فى مجال القضايا الفقهية والتى يتصل معظمها بالحلال والحرام، فما بالنا بالقضايا التربوية، وكثرتها من الشئون المعاشية التى تخضع كثيرًا لتغيرات الزمان والمكان. بحيث لا تقع هذه الكثرة تحت طائلة التحريم أو التحليل؟!

نقد الخطاب الإسلامى التربوى المعاصر:

قبل أن نبحث عن الدور الذى ينبغى أن يقوم به الخطاب الإسلامى التربوى، من الضرورى أن نقوم بعملية فحص واختبار لهذا الخطاب لنكشف عن مدى قدرته على الفعل وأهليته للقيام بما هو مأمول منه، وهنا يمكن أن نجد عددًا من السلبيات التى لا ينبغى أن نغض الطرف عنها، من خلال عملية نقد للذات التربوية، فالتشخيص هو الخطوة الأساسية لسلامة العلاج:

- فمنذ السبعينيات بدأنا نرى نهضة ملموسة فى البحث التربوى الإسلامى، وبعد أن كانت الأعمال التربوية الإسلامية تعد على أصابع اليدين طوال الحقب السابقة، إذا بنا نراها تتنامى عاما بعد عام، بل وشهرًا بعد شهر، لكن هذا النهوض التربوى بدأنا نلمس تراجعًا واضحا له منذ أواسط الثمانينيات على وجه التقريب، مما يشير بإصبع اتهام إلى جهود عدد غير قليل بأنها ارتبطت بالحقبة النفطية أكثر من ارتباطها بحماس قبي واقتناع عقلى بالخطاب الإسلامى التربوى، خاصة وأن كثرة من الأعمال التربوية الإسلامية قام بها باحثون كانوا يعملون فى دول نفطية عربية.

- وكشف استقراء الكثير من الأعمال العلمية فى هذا المال عن نقص واضح فى الأهلية العلمية للمجاهدة البحثية، لم يكن بالجمهرة الكبرى من كليات التربية فى العالم الإسلامى أى برنامج لإعداد الباحث العلمى فى التربية الإسلامية، ومن ثم فقد امتلأ سوق الكتابة بإنتاج فئتين: فئة تملك الكثير من العلم التربوى والنفسى، لكنها تفتقد الكثير من العلم الشرعى، مما جعل خطابها وكأنه يقف عند حد إنزال القبعة من على رأس «خواجة» ليضع عليها عمامة إسلامية. والفئة الأخرى، امتلكت الكثير من العلم الشرعى، لكنها افتقدت الكثير أيضًا من العلم التربوى والنفسى، مما جعل خطابها يميل إلى الصيغة الوعظية الخطابية، مختلطًا بمهمة الدعاة الدينيين.

- وافتقدت نماذج متعددة للخطاب التربوى المنهجية البحثية العلمية التى

تمكنها من الإضافة الفكرية والعلمية وتكشف عن المجهول، وتحيى الموروث التربوى، وتخضعه لمحك النقد، وتسلط الأضواء على العلل المفسرة والقوى المحركة، وتقتحم المشكلات، وتتطلع إلى المستقبل، وعزز من هذا المقولة المسيطرة بأن المنهجية البحثية أداة محايدة . فالمنهج التجريبى، مثلا ، والمنهج التاريخى، هما فى مختلف الحضارات لهما نفس المدلول، ويقومان بنفس الوظيفة المنوطة بهما، دون أن ينتبه كثير من التربويين إلى المنهج الأصولى الذى مكن علماء الفقه والشريعة من أن ينتجا بناء فكريًا علميا هو الذى يعد بالفعل أروع ما أنتجه العقل الإسلامى فى عصور الازدهار الحضارى، والذى يشكل الإبداع الحقيقى للعقل الإسلامى، وقد استخدمه بالفعل مربون مسلمون، مثل (القابسى) و(ابن سحنون) وغيرهما وأتاح لهما إنتاجا فكريا تربويا إسلاميا أصيلا.

– وانطلق كثيرون إلى «الماضى الإسلامى » متصورين أن جهدهم العلمى يكون بالكشف عن إنجازاته الحضارية، مؤكدين أن صلاح التربية والتعليم إنما يكون بالعودة إلى مثل هذا الماضى. والحق أن الاهتمام بالموروث الحضارى على وجه العموم فريضة أساسية، لكن هناك ضوابط متعددة سوف نأتى لذكرها فى جزء تال، لكن ما نود أن نشير إليه هنا هو ما شاب كثيراً من هذه الجهود من ميل واضح للانسحاب إلى الماضى، لا الاستدعاء له، والفرق بين الحالتين، أن الباحث فى الحالة الأولى يجعل من الماضى حكما على الحاضر، وفى الحالة الثانية يجعل الحاضر حكما على الماضى، مع الأخذ بعين الاعتبار ما سوف نوضحه فيما بعد من التفرقة بين ثوابت الخطاب الإسلامى التربوى ومتغيراته.

– واتسمت المعالجات التاريخية الماضوية للموروث التربوى الإسلامى بانطلاقها من عين الرضا التى هى عين كليلة. عاكسة بذلك تصوراً يصعب تقبله، وهو أن هذا الموروث كان مبرأ تماما من أية سلبيات، فإذا بالأعمال العلمية تبرز الصفحات البيضاء، متغافلة عن أن القمر إذا كان له وجهه المنير، فله أيضًا وجه مظلم، والاعتراف الذاتى بالعيوب وصور الخلل والسلبيات هو

صورة من صور الثقة بالنفس، والصدق مع الذات ومع الآخرين، وخطوة مهمة على طريق التصويب والإصلاح، وأن يأتى النقد وكشف السلبيات على أيدينا أفضل مائة مرة عن أن يأتينا على يد الغير.

- وأعجب ما رأيناه حقًا هذا الغرام الواضح لدى البعض فى تضمين خطاباتهم مقارنات لا تتفق ومنطق الخطاب العلمى فى عمومه، مثل مقارنة ما قال به هذا الفيلسوف أو ذاك من فلاسفة التربية الغربيين بآخر من مفكرى التربية الإسلامية، ووجه الخلل هنا أن المنطلق مختلف تماما بين الاثنين، فواحد ينطلق من عقيدة دينية وآخر من منطلق وضعى خاص به هو، والبيئة متبانية تباينا تاما، بل وهناك أيضًا تباين واضح فى الأزمنة ، ونجد أنسنا على علم مسبقًا بالنتيجة، وليس هذا مما ينفق مع المنهجية العلمية التى تكشف عما لم نكن نعرفه.

- وحرص كثيرون فيما يسوقونه من أفكار تربوية على المقارنة بين ما جاء فى المصادر الإسلامية وما جاء فى المصادر الغربية، مؤكدين بطبيعة الحال على تفوق الأولى على الثانية وأسبقيتها، ووجه الخطأ هنا، أن القائلين بهذا، وبحسن نية، يجعلون من العمل التربوى الغربى جواز المرور للعمل التبوى الإسلامى، فإذا وجدوا، على سبيل المثال أن إخوان الصفا قد قالوا بأن الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء سارعوا إلى القول بأنهم بهذا قد سبقوا الفيلسوف الإنجليزى جون لوك. ودون أن ندخل فى النوايا، فهم قد عرفوا ما كتبه لوك أولا، ثم راحوا يبحثون فى التراث التربوى الإسلامى، حتى إذا وجدوا له مثيلا سارعوا بقول ما يقولون!

- ومن سلبيات الاقتصار ، فى الغالب والأعم، على الاهتمام بالموروث التربوى، الانسحاب من الاشتباك مع هموم المسلم المعاصر، فكأن الجسم موجود فى القرن الحادى والعشرين، أو القرن الخامس عشر للهجرة، والعقل سابح فى قرون سابقة خلت، لكن: ماذا يفعل الشباب إزاء ما يصيب بنية القيم

من خلل نتيجة هذا الاكتساح المحيط بنا من كل جانب من مؤثرات الثقافة الغربية؟ وما الواجب عمله إزاء ما فرضته ظروف كثيرين من غياب للأب والأم عن المنزل، وما تركه هذا من آثار على بنية الشخصية للأبناء؟ وما العمل فى ارتفاع كلفة التعليم على الفرد وعلى الدولة؟.. إلى غير هذا وذاك من قضايا ومشكلات تؤرق مضاجع المسلمين فى كل مكان فى عصرنا الحاضر، وللأسف الشديد، قلما يتصدى الخطاب التربوى الإسلامى لها.

– ويرتبط بهذا، الغياب الواضح للأفق المستقبلى عن الخطاب التربوى وكأن هناك خصومة بين التفكير من منطلق إسلامى وبين الاستشراق المستقبلى، ولقد عزز من هذا بعض المقولات الخاطئة التى فسرت ضرورة التوكل على الله، وعلى مبدأ الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره. بأنه من العبث التفكير فى المستقبل على أساس أن «المستقبل بيد الله»، وتلك حقيقة، لكن المقولة الشعبية تنطق بقدر غير قليل من الوعى عندما تقول «الرب فى التدبير والعبد فى التفكير»، فمسئولية العباد فى التحسب والتفكير لا تناقض أبدًا الإيمان بالقضاء والقدر، ودعوة الرسول ﷺ للمسلم بأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدًا، هو تأكيد على التحسب فى العمل المستقبلى.

– والخطاب التربوى الإسلامى أحيانا ما يقع فى جب النبرة الانفعالية والأساليب اللغوية التى تميل إلى المحسنات البديعية والتراكيب اللفظية ذات الرنين العالى، وكثرة استخدام أفعل التفضيل والتعميمات الكاسحة، فهذا رأى – مثلا– أعظم ما كتب فى الموضوع، وتلك الفكرة لم يسبق لأحد أن قال بمثلها أبدًا، وذلك عمل هو أروع من أن يتصوره أحد..وما سار على هذا المنوال، أما تلك الكلمات والعبارات التى تميل إلى استخدام : «ومن المرجح أن ..» ، و«ربما يكون هذا..»، و«هناك احتمال بأن...»، وندرة استخدام كلمة «قد» التى تقطع تماما، كل هذا قلما يرد على ألسنة من يصدرون الخطاب التربوى الإسلامى.

– والآخر التربوى غير مقروء كما تشير بعض الخطابات، فهذا يتحدث عن

نقد لمقولة ماركسية، فلا يرجع إلى مصادرها على أساس أنها تنطق بكفر، ويعتمد على مصدر إسلامى، وعندما أسأله، أن هذا المصدر غير محايد فى معرفة ما قاله الماركسيون، يصر على ما يفعل، فكأنه يخشى الاطلاع على الآخر حتى لا ينبهر به ويتأثر، وهذه صورة من صور ضعف الثقة بالذات، وهذا لا يرى فيما يقوله الآخر. أيا كان، أى خير ، ما دام غير مسلم، أو ما دام مسلما علمانيا!!

- وهناك من يشعرك خطابه بأنه يكاد يلوى ذراع النصوص حتى تتفق ما يريد أن يؤكده من العصرية والمناسبة فى النص الإسلامى للعمل به فى حاضرنا، وكذلك هناك من يضع عبارات حديثة لم تظهر إلا منذ سنوات قليلة ليوحى أن الوعى بها كان متوافرًا، فهذا يكتب عن «التخطيط التربوى فى عهد الرسول ﷺ علمًا بأن التخطيط التربوى له مفاهيمه وقواعده وأساليبه المتفق عليها بين العلماء المتخصصين، ولا يشين عصر الرسول ﷺ بأى حال من الأحوال ألا يكون فيه تخطيط تربوى بهذا المعنى، لكن هذا النفر «يقول» الأحداث بغير ما قالت. وآخر ينبهر بالمنجزات التكنولوجية المعاصرة، ويتصور أن عظمة الحضارة الإسلامية تربويًا لا بد بناء على ذلك أن يكون لها باع فى مجاله فيجهد نفسه فى تحميل الوقائع أيضًا ما لا تحتمل ليؤكد أن قد هناك فى هذا الفترة أو تلك تكنولوجيا تعليمية، أو أن هذا النص يشير إليها، وهو إنما يريد الإشارة إلى «وسائل تعليمية» وفرق كبير بين الأمرين، فالوسائل موجودة منذ أن وجد الإنسان على سطح هذه الأرض.

كيف نتعامل مع الموروث التربوى؟

من المهم حقًا التعامل المنهجى مع الموروث التربوى، بحيث تتحول عملية استقرائه ومحاولة الإفادة منه إلى قوة تطوير وطاقة تجديد، لا إلى قيود تعوق حركة الفكر التربوى عن أن يقوم بدوره المأمول من حيث المساهمة فى بناء

شخصية المواطن بالصورة والدرجة التي تُفعل قدراته في عمليات البناء المجتمعي، ونسوق فيما يلي بعض المؤشرات التي يمكن اقتراحها لتحقيق هذا المطلب:

١- لعل الخطوة الأولى التي تفرض نفسها هنا هي اصطناع المنهجية العلمية في التعامل البحثي مع التراث، ولسنا هنا في مجال يسمح لنا بتفصيل مثل هذه المنهجية، فأصولها، وقواعدها وأسسها مبثوية في العديد من المراجع المتخصصة، وغاية ما نود أن نؤكد عليه في النقطة الحالية هو أن الأمر لم يعد يحتمل السير العشوائي، وإلا ظللنا ندور في طريق دائري لا يخطو بنا إلى أمام، وهو الأمر الذي غلب على الكثير من خطواتنا السابقة، وأساء إلى الموروث التربوي نفسه، إذ ترك الأمر للنزعات الشخصية، والخطوات غير المحسوبة، فغلبت اللفظية، وتحكم أسلوب الوعظ والإرشاد الذي يصبح عديم الجدوى ما دام في غير موضعه، وترسخت نزعات غرور كاذب اعتماداً على ماضي مجيد، بينما نعيش ومعطيات انهزام محيط في واقع أليم!

٢- الوعي بأن الخطاب يخضع في ظهوره وفي تطوره إلى السنة الإلهية نفسها التي تحكم ظهور ونمو مختلف الكائنات الحية، لأنه هو نفسه (أي الخطاب) نتاج أشرف وأعقد وأعظم الكائنات الحية: الإنسان. ولو نظرنا إلى أبسط الكائنات الحية، إلى النبات مثلا، فسوف نجد أنه لا يظهر إلا في ضوء معطيات البذور التي أنبتته بخصائصها المعروفة، ويتحدد بنوع التربية التي ينبت فيها، ولا يستمر إلا في مناخ بعينه، فضلا عن نوعية الغذاء الذي يتغذى به.

كذلك الخطاب، هو نبت بيئة ثقافية لها خصائصها ومحدداتها وعوامل انحدارها، حتى وهو ينسب عادة إلى هذا الفرد وذاك من المفكرين والباحثين، يحمل خصائصه التي ينفرد بها عن غيره، إلا أنه يظل منتميا

إلى سياق حضارى يمده بمقومات الوجود، ويغذيه بعوامل النمو، قوة أو ضعفًا، وهو ما نعبر عنه بأن لكل خطاب أبعاده الزمانية والمكانية، ومن ثم فإننا عندما نتوقف أمام فكرة تربوية مما هو موروث ، يجب أن نضعها فى سياقها المجتمعى الحضارى، ذلك أن مثل هذا فضلا عن أنه يتيح فرصة أكبر للفهم والتفسير، فهو يعتبر أمرًا ذا قوة حاسمة فيما نأخذ وفيما نترك من الموروث، فقد يكون الخطاب نتاج فترة ضعف وتخلف، ما انعكس على نوعيته وتوجهاته، فيصبح من المؤكد أنه غير مرغوب فيه فى حاضرنا، فضلا عن مستقبلنا.

٣- ولعل من أبرز الأخطاء التى تشيع فى التعامل مع الموروث هو اعتباره من الناحية الزمنية كتلة واحدة، وهو خطأ يترتب على ما يكون من قصور فى النظر إلى السياق المجتمعى لحركة الخطاب التربوى فما توافر لدينا من موروث تربوى هو نتاج قرون عدة قد لا تقل عن سبعة قرون، وعلى مساحة تمتد من بلاد المغرب والأندلس على شاطئ الأطلنطى إلى تخوم الهند والصين، وشمالا من وسط أوربا وجمهوريات آسيا الوسطى، إلى وسط أفريقية، ووفقًا لسنن التطور، يستحيل افتراض التماثل التام بين مكونات هذا الكم الكبير من الإنتاج الفكرى التربوى.

إن التعامل مع الموروث التربوى فى جملة قرون الحضارة الإسلامية، وجملة البلدان الإسلامية يبعدنا عن النهج العلمى، إذ يوقع الباحث فى تعميمات خاطئة، فقد تكون العينة التى يفحصها لمفكر أو عالم من منطقة تزدهر بأسباب الحضارة والنمو. فيؤكد على ما يترتب على هذا من أحكام، مستنتجًا بأن الحضارة الإسلامية قد وعت كذا وكذا من الاتجاهات التربوية الجيدة، بينما تكون هناك مناطق أخرى، وربما تكون هى الأكثر مساحة جغرافية، والأطول مساحة زمنية، على غير ذلك. وقد يحدث العكس، أى أن تكون العينة من مناطق متخلفة، جامدة، فيكون

الحكم على الموروث التربوى ظالما.

٤- كذلك من أهم القواعد التى ينبغى الالتزام بها فى التعامل مع الموروث، أن يتحلى الباحث بروح النقد، فلا تقديس إلا لكلام الله المتضمن فى القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة نفسها كثيرًا ما خضعت للنقد من حيث التأكد من صدق صدورها عن الرسول ﷺ، ومن هنا كان قيام علوم الحديث، والتى عرف منها علم الجرح والتعديل الذى قوامه النزعة النقدية.

إن عمل الباحث فى الموروث التربوى يجب أن يكون أشبه بعمل المستنطق فى الدوائر القضائية الذى يأتى بالشهود الرواة فيستنطقهم ويدقق فى شهاداتهم، ويحقق فى إفاداتهم، ويقدم نتيجة تدقيقاته وتحقيقاته ليستند إليها فى الحكم فى ما جرى، ولكن الباحث التربوى لا يقف عند عمل المستنطق، بل يتجاوزه إلى عمل المدعَى العام، وإلى عمل المحامى- متخذًا وجهة الادعاء تارة ووجهة الدفاع أخرى- ثم يصل أخيرًا إلى عمل القاضى الذى يثبت واقع الحادث قبل أن يقدم على الحكم فيه.

٥- ولقد سبق للفيلسوف الإنجليزى الشهير فرنسيس بيكون أن حذر الباحثين من الوقوع فى براثن مصدرين من مصادر الأوهام التى تميل بالباحث بعيدًا عن جادة الحقيقة والحق، أحدهما ما سماه بأوهام الكهف، والثانى أوهام القبيلة، ذلك أن فى الإنسان ميلا فطريا لأن يتأثر لا إراديًا بما يكون عليه من تربية وشخصية وميول واتجاهات، وكذلك أن يتحيز إلى الجماعة أو المذهب الذى ينتمى إليه، فكأنه يضع على عينيه نظارة ملونة ترى الأمور بلونها.

إن هذا هو ما يسمى «بالتعصب» و«التحيز» ، وهو أخطر ما يكون على عملية البحث العلمى، وخاصة بالنسبة للموروث، وذلك لارتباط الموروث بالتاريخ القومى والوطنى، وبالعقيدة الدينية والنزعة المذهبية،

سواء بالسلب أو الإيجاب. ونحن هنا لا نتصور إمكان أن ينخلع الباحث من مثل هذه المؤثرات، ولكننا ننشد الوعى بتأثيرها، سواء من الباحث نفسه، أو من السامع، أو من القارئ، ومن المؤثرات، ولكننا ننشد الوعى بتأثيرها، سواء من الباحث نفسه، أو من السامع، أو من القارئ، ومن هنا فإن البعض يرى أن الموضوعية هنا إذا كانت مستحيلة، لكن أضعف الإيمان أن يعلن الكاتب أو المتحدث عن هويته الفكرية حتى يكون القارئ على بينة من توجهات ما يقرأ.

٦- وإذا كان التجرد من النزعات التعصبية يصور الجانب السلبى، فإن هناك جانبًا إيجابيًا نتطلبه من الباحث فى الموروث التربوى، ويتمثل ذلك فى محاولة النفاذ إلى أعماق الأفراد والجماعات فى الماضى فيحس أحاسيسهم، ويتلمس أهواءهم، ويختبر ميولهم ورغباتهم وآمالهم وأمانيهم، والظروف التى كانت تحيط بهم، وتأثرهم بهذه الظروف وتأثيرهم فيها، وبذلك يصبح وكأنه واحدًا منهم، ينطق بلغتهم، بل بلغاتهم جميعا. لا يلتزم أى فرد منهم أو أية شيعة أو أمة دون سواها، فالماضى حصيلة ميول وإرادات، ومطامع ومعتقدات وتفاعلات حية دائما بين الفرد والجماعة وبين المجتمعات المختلفة.

وإذا كان الباحث فى الموروث سوف يجد غالبًا ما يحب وما يكره، ما قر وما ينكر، فإن من المهم للغاية أن يثبت هذا وذاك كما تجليا له بالضبط دون أن يجعل لحبه أو كرهه أثرًا فى هذا الإثبات، أى أن يعيش الماضى ويختبره بنفسه وينطق بروحه دون أن يذوب فيه!

كيفية التعامل مع الآخر التربوى:

الحق أننا لا نستطيع أن نزعم انفرادا للخطاب التربوى بكيفية بعينها فى التعامل مع الآخر الحضارى، فهى قضية عامة، ما يصدق فيها على الخطاب

التربوى يصدق على غيره، لكن ربما تكمن الخصوصية هنا فى أننا إزاء بنية بشرية والعناصر التى تُكونها والأسلوب الذى تتكون به، والمقاصد التى تسعى عملية البناء البشرى إلى الوصول إليها.

١- لعل أول قاعدة ينبغى إبرازها هنا هى ضرورة الانطلاق من مسلَّمة «حق الاختلاف»، واستقراء بعض آيات القرآن الكريم، يؤكد لنا هذا ويعززه، فمن ذلك الآية ٤٨ من سورة المائدة ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾، والآية ١٩ من سورة يونس : ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾، والآية ١١٨ من سورة هود : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾، فكون الناس لم يعودوا أمة واحدة، فهذا يعنى التباين والاختلاف والتعدد، الذى يؤدى إلى التعدد فى تبادل المنافع وإلى الإثراء، ومن هنا يجئ الاختلاف والتباين والتعدد فى مظاهر الكون المختلفة، الحى منها وغير الحى، آية كبرى لعظمة الخالق- يقول عزَّ من قائل فى الآية ٢٢ من سورة الروم : ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم.. ﴾ ويقول فى الآية السادسة من سورة يونس: ﴿إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾. ومما يشير إلى مغزى التباين والاختلاف قوله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الآية ١٣ من سورة الحجرات: ﴿وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾، فالاختلاف فى صورة شعوب متعددة وقبائل متنوعة لا ينبغى أن يؤدى بالضرورة إلى صراع وتقاتل، وإنما إلى تبادل المنافع والخيرات، والرأى والفكر فى قلب هذه الخيرات.

لقد اقتضت حكمة المولى ـ عزَّ وجلَّ ـ أن تكون لكل إنسان بصمة فى أصابعه هى فيصل بين حق وباطل، ولقد أكدت الدراسات العلمية الأخيرة أن البصمة الخاصة بالإنسان ليست فقط فى أصابعه وإنما هى أيضًا فى صوته، وفى دمه، بل وفى خطوه، أفليس أقرب إلى الصواب أن

نعترف أيضًا بأن لكل إنسان بصمة عقلية تجعل من التعدد والتباين بين نتاجها الفكرى ما يُقعد لمشروعيتها وجودًا وفعلا؟ ومن هنا يجىء صوت الحق - تبارك وتعالى - : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يونس / ٩٩، ويحدد مهمة النبى الأمين: «إنما أنت منذر» الرعد/ ٧، وأنه «ما على الرسول إلا البلاغ» المائدة/ ٩٩، و«فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا، إن عليك إلا البلاغ »الشورى/ ٤٨.

٢- ويرتبط بهذا أيضًا ضرورة الوعى بالتباين المعروف فى الأبعاد الزمانية والمكانية، وما يؤدى إليه هذا من اختلاف وتباين فى المشارب والأهواء والميول والنزعات، والأفكار. إننا نعلم من غير شك أن هناك بيئة بعينها تصلح، بحكم ما فيها من عناصر ومكونات لزراعة سكانها للقطن، لاستحق منا سخرية أكثر، بل وإحساسا بأنه غير مستقيم التفكير؛ لأن مثل هذه المناطق لا تحمل من الظروف ما يمكنها من زرع القطن، فما بالنا بالنسبة للمنتج البشرى من قيم ومشاعر وأفكار واتجاهات وخطاب؟

إن الإنسان من خلال تلك العملية المستمرة فى نمو الشخصية، منذ الميلاد، بل وأثناء تكونه فى رحم الأم، وأكثر من هذا ، بل وعند اختيار الزوجين، أحدهما للآخر، إلى ما شاء الله، إنما هو حصيلة عمليات تراكم وتفاعل فى كل ما يمر به من متغيرات، مما تكون نتيجته الاختلاف والتباين مع الآخر، حتى بالنسبة - كما نرى فى تجربتنا اليومية- لأخوين، من أب واحد وأم واحدة، تحت سقف واحد، فكيف أتصور أن يفكر جون ديوى -مثلا- بالطريقة نفسها التى فكر بها الشيخ مصطفى عبد الرازق؟ وكيف ألوم جان جاك روسو على ما فكر فيه ، بينما لم يفكر الجبرتى بالطريقة نفسها؟

إن هذا لا يعنى أننا نبرر ونسوغ ، وإنما كى «يفهم» القائمون بالخطاب التربوى الإسلامى الآخر حق الفهم، ومن ثم يستطيعون التحاور معه حق

التحاور.

٣- ويؤدى بنا هذا إلى التأكيد على ضرورة دراسة الآخر التربوى قبل التعامل معه، إن أسوأ ما نراه شائعًا مع الأسف الشديد بين من ينتجون الخطاب التربوى وغيره، هو أن كلا منهم حريص على أن يقرأ لمن يتفق معه فى الرأى، ويتغذى بصفة مستمرة على عيون ومصادر الفكر الإسلامى، وهذا ضرورى لا جدال فيه لكن مما لا ينبغى المجادلة فيه أيضًا، ضرورة أن يستقرئ المربون ما أنتجه العقل الغربى من أفكار وآراء وفلسفات تربوية.

وإذا كان هذا الأمر متوافر فى كليات التربية إلى الدرجة التى تجعلنا نشكو من أن الدارسين لا يكادون يدرسون إلا هذا النتاج الفكرى التربوى الغربى، بحيث يتحولون فى النهاية إلى نسخ متكررة منه، إلا أننا نشير هنا إلى هؤلاء النفر المعنيين بالتربية الإسلامية، فى بعض البلدان الإسلامية.

٤- وإذا كانت دراسة الآخر وفهمه خطوة أساسية، فقبل ذلك لا بد أن نكون دارسين لأنفسنا حق الدراسة، وذلك من خلال ما قدمناه عن كيفية التعامل مع الموروث الثقافى، إذ لا يستقيم مع المنطق بأى حال من الأحوال أن يقف الإنسان فى حالة حوار وجدال مع الآخر، وهو على غير بينة بما يريد أن يدافع عنه ويوضحه وينشره، ويقنع به الآخر، وفقًا للقاعدة الشهيرة: فاقد الشيء لا يعطيه!

ومع الأسف الشديد فإن برامج إعداد الباحثين التربويين فى كثير من الدول الإسلامية يكاد يهمل هذا البعد إهمالا مخجلا، ونشير هنا بصفة خاصة، ومن باب الصدق مع الذات، إلى برامج كليات التربية فى مصر! ودراسة الذات، لا تتم فقط بدراسة الموروث التربوى، فقبل ذلك لا بد من الدراسة الجيدة لثوابت الإسلام المتمثلة فى كل من القرآن الكريم والسنة النبوية.

لقد حدث مرة أن قدمت مقترحا بإنشاء برنامج للدراسات العليا بدراسة التربية الإسلامية ، فإذا بوجهة نظر تقليدية تقف عقبة أمام تنفيذ هذا ، بأننا

لو نفذنا هذا لتقدم آخرون باقتراح أن يكون هناك برنامج آخر للتربية القبطية! وعلى الرغم من أننا بصفة شخصية لا نرى مانعًا ولا خطورة من ذلك، لكننا نلفت الانتباه إلى كلية الحقوق- مثلا- توجب على من يتخرج منها دراسة الشريعة الإسلامية لأن الكثير من القوانين فى مصر مستنبطة منها، وكذلك يدرس طلاب الفلسفة فى كليات الآداب الفلسفة الإسلامية، لم لا يدرس طلاب التربية تلك التربية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، ونحن نعد المعلم ليعلم أبناءنا الذين يعيشون ثقافة، الكثير من عناصرها يستند إلى الحضارة الإسلامية بثوابتها ومتغيراتها؟

٥- والتعامل مع الآخر يقتضى الاستناد إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية، وما نص عليه القرآن الكريم من «الجدال بالتى هى أحسن»، فالجدال الحسن هو ذلك الجدال الذى لا ينتج انفعالا وعصبية، وهو الذى يعف فى استخدام ألفاظ التخاطب، وهو الذى يعى بأن استخدام الأدلة النقلية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، إن كان ضروريا فى مخاطبة من يقفون معنا على الأرضية العقيدية نفسها، إلا أنها قد لا تكون مناسبة ونحن نخاطب من لا يتفقون معنا على هذه الأرضية، إلا إذاكان هذا من أجل بيان ما تتضمنه من اتساق وعقلانية ومنطقية.

ومما يدخل فى الجدال بالتى هى أحسن أيضًا الوعى بالحدود الواجبة بين (الذات) و(الموضوع)، فهناك عدد غير قليل يترك الجوانب الأساسية فى القضية موضوع الخطاب أو الحوار والنقاش، لينحرف إلى التجريح الشخصى، بذكر بعض الأحداث الشخصية للآخر أو العيوب.

٦- كذلك، فإننا إذا كنا قد ألححنا على ضرورة النظر النقدى فى التعامل مع الموروث التربوى، فنحن هنا نلح على هذا النظر النقدى أكثر، ذلك أننا من غير شك نقر بأن المنجزات الحضارية للعقل الغربى مذهلة، وبعضها تجاوز الأحلام والتوقعات، وهذا فى حد ذاته من شأنه أن يملأ الكثيرين

بمشاعر انبهـار وإعجاب بفقدها الثقـة بالنفس وضعف الإيمان بإمكان أن يتمكن العقل المسلم من المشاركة فى الإنتاج الحضارى المعاصر، وربما يقع عدد غير قليل فى حـالة من الانهزام النفسى، والذى يؤدى بالضرورة إلى حالة اتباع وانسياق وراء كل ما هو غربى من غير إخضاعه لمحك الفحص والاختيار.

والنظر النقدى هنـا لا يلزم فقط هؤلاء المنبهـرين بما ينتجه العـقل الغربى، بل هو يلزم كذلك هؤلاء الرافضين له، وهم كثر بين ظهرانينا، ويخلطون بين حالة الاستيـاء والكراهية التى تبذرها بعض سياسات الـقوى المهيمنة، وخـاصة الولايات المتحـدة، فى حربهـا وإضرارها بـالمصالح الإسـلاميـة بحجج وذرائع متـهافتة، إن الرفض لا ينبغى أن يتأتى إلا ببـعض عمليات دراسة وتأمل وفحص واختبار ونقد.

٧- ومخـاطبة الآخر تقتـضى أن يكون المرء على قدر من المرونة بحـيث يصبح مسـتعدًا للاعـتراف بأن رأيًا له كان قـد اعتقـد فى صحتـه، خطأ بناء على الأدلة والبراهين التى سـمعها فـى حواره مع الآخر فيـتنازل عنه، أو يعدل فيـه، أو يضيف إليه. وأمـر مثل هذا له محاذيره بطـبيعة الحـال، فالمرونة لا تعنى بأى حـال من الأحوال عـدم التحدد وسـرعة الميل والاتجـاه عند أول معارضة، وإنما تعنى دقة الحساب، وشدة اليقظة، وقدرًا غير قليل من سعة الصدر والتفتح العقلى، والقدرة النَافذَة إلى ما وراء الخطاب.

والوجـه الآخر لما قـد يكون من «ميـوعة» وعـدم تحدد، وسـرعة الانقـياد والاعتراف بالهزيمة، هو مـا يكون عليه البعض من «تصلب» يختلط عند أصحابه بما يسمى الثبات على المبدأ، والثقة بالذات.

ويحضرنا بهـذه المناسبة ما نقل عن أبى حنيفـة من قوله : علمنا هذا رأى، وهو أحسن مـا قدرنا عليـه فمن جاءنا بأحـسن منه فهـو أولى بالصواب، ويرد عندما يسأله أحـد تلاميذه: أهذا الذى تعنى به هو الحق الذى لا شك

فيه؟ بقوله: الله أدرى، فقد يكون الباطل الذى لا شك فيه!

ويرتفع صوت علم آخر من علماء الأمة الفقهاء ليقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

٨- ويترتب على هذا ألا نغلق أعيننا ونصم آذاننا عن كل ما ينتجه الآخر التربوى، من منطلق اعتقاد بأنه ما دام غير مسلم، فما رآه ووصل إليه لا بد وأن يكون مغايرًا ومناقضًا لما جاء به الإسلام ومفكرو التربية المسلمون، ومن يفعل هذا ينسى كيف أن رسول الله ﷺ فى خطوات الدعوة الإسلامية الأولى، وفى غزوة بدر قد أتاح الفرصة لأن يتعلم بعض المسلمين القراءة والكتابة على أيدى أسرى من كفار قريش ! والحكمة الإسلامية التى عبر عنها رسول الله ﷺ أصبحت مشهورة وتجرى مجرى المثل العام، حيث تقتضى بأن الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها، فهو أولى بها، لا يبالى من أى وعاء خرجت!

ومن هنا فلا جناح على أحد أن يقرأ ويفيد مما كتبه فلاسفة تربية غربيون، أثروا الفكر التربوى بالفعل بالكثير من الثمرات المتميزة، على مر التطور الحضارى عبر العصور.

٩- وهناك مقولة مشهورة تجرى على ألسنة كثير من الناس لا بد أن تكون جوهر قاعدة مهمة فى التعامل مع الآخر ألا وهى : «الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية»، والامتثال لهذه المقولة لا يتأتى إلا بالقدر الذى يملك فيه الإيمان بكثير من النقاط السابقة قلب المحاور أو صاحب الخطاب، وعقله ووجدانه، فإذا سلمنا بأن الاختلاف فى الرأى سنة إلهية فى طبيعة الإنسان، وأن اختلاف أبعاد الزمان والمكان من شأنها أن تنعكس فى اختلاف فى المواقف والاتجاهات، وما دام المرء على وعى كاف بذاته، وبما عليه الآخر من مقومات وعناصر وتكوين، تكون النتيجة الطبيعية عند انتهاء المواقف الحوارية والخطابية باستمرار مساحة غير قليلة من

الاختلاف، ألا يؤدى هذا إلى المخاصمة والمقاطعة، والتى قد تدفع إلى استخدام العنف، الذى هو إشهار إفلاس فكرى فى مثل هذه المواقف، وصدق ـ سبحانه وتعالى ـ فى قوله مخاطبا رسول الله ﷺ : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾ آل عمران/ ١٥٩.

موقع هموم الواقع التربوى فى الخطاب التربوى:

وإذا كنا قد أشرنا فى جزء سابق إلى أن من أهم سلبيات الخطاب التربوى الإسلامى، ندرة الاهتمام بقضايا ومشكلات الواقع التربوى، فإن هذا يستدعى بالضرورة الإلحاح على التخلص من هذه السلبية، فبقدر حرص الخطاب التربوى على الاهتمام بالهموم التربوية المعاصرة والمستقبلة، بالقدر الذى يقدم فيه أوراق اعتماده لدى الجمهور إذا صح هذا التعبير الدبلوماسى المعروف كى يكون مقبولا معترفا به، فالحديث عن الماضى وحده لا يكفى ، ذلك أن الناس تكاد تغرق فى كم من المشكلات التى تحاصرهم ليل نهار، يتوقون إلى من يقدم لها حلولا شافية.

ولو شئنا أن نسوق مثالا لذلك، فهناك فى الوقت الحالى مشكلة معقدة تتعلق بتمويل التعليم، فقد عاشت بلد مثل مصر، وبلدان إسلامية أخرى، تحت مظلة توجه سياسى وفكرى يرى أن تقوم الدولة عن الأفراد بعبء تكلفة التعليم، فلما هبت أعاصير أخرى مغايرة، إذا بتوجه مختلف ينادى بضرورة أن يتحمل الأفراد هذه التكلفة، خاصة وأن الدولة قد ناءت بأعباء كثيرة أصبحت معها قدرتها على استمرار التمويل الكامل مستحيلة. وتم بالفعل فتح الباب لمشاركة الجهود الخاصة فى هذا الشأن، لكن النتيجة الحاصلة حتى الآن قد لا تبشر بخير، ذلك أن رأس المال الخاص قد توحش ، فإذا به يسعى إلى افتراس الناس امتصاصا لما فى جيوبهم!

فما الحل؟

هنا يحتاج الأمر من نفر من علماء التربية ورجال الجهاز التنفيذى للتعليم، وعلماء شريعة، وقانون، واقتصاد كى يتدارسوا ، كيفية الاستفادة من خبرة الحضارة الإسلامية بالنسبة للوقت الخيرى، الذى كان يقوم بتمويل مؤسسات التعليم طوال العصور الإسلامية إلى الدرجة التى كفل عندها رفع عبء المصروفات عن كاهل الطلاب، بل والقيام بكفالة ملبسهم وإقامتهم وتغذيتهم، والقيام على كافة الخدمات المطلوبة للمؤسسة التعليمية، فضلا بطبيعة الحال عن دفع رواتب المعلمين، والإداريين، والعمال اللازمين لمؤسسة.

كذلك شهدنا، منذ أواسط السبعينيات، فى مصر، اندفاعا كبيرًا إلى افتتاح مدارس تعلم باللغة الأجنبية، وخاصة الإنجليزية، استنادًا إلى دعوى بأن الإنتاج الحضارى كله على وجه التقريب، هو باللغات الأجنبية عامة والإنجليزية خاصة، ولا بد من إتقانها حتى يمكن استيعاب مثل هذا الإنتاج الحضارى، ونسى هؤلاء أن اليابانيين. والصينيين، مثلا ، هم ممن أصبحوا فى مقدمة ركب التقدم الحضارى، ولا يعلمون إلا بلغتهم القومية.

وترتب على هذا انحسار تدريجب للغة العربية، الذى لا بد أن يترتب عليه، انقطاع تدريجى بين ملايين من أبنائنا من الأجيال القادمة وبين الأداة الرئيسية للتواصل مع منابع الثقافة الإسلامية، حتى المدارس التى رفعت شعار الإسلامية فى اسمها، وجدت نفسها وقد انجرفت كارهة، إلى المنزلق نفسه.

مثل هذه القضية الخطيرة، تحتاج من علماء التربية والدين واللغة - عربية ، وأجنبية - إلى تدارسها، بحيث يظل أبناؤنا متواصلين مع عيون ذاتهم الحضارية الإسلامية. قادرين على التواصل كذلك مع الإنتاج الحضارى الغربى.. وهكذا.

ولا بد أن نعترف أن هناك عددا من المشكلات التعليمية تتصل اتصالا وثيقا

بصور خلل هيكلى فى البنية المجتمعية، ولا يعنى هذا أنها تصبح خارج مسئولية الخطاب التربوى الإسلامى، كلا ، فدوره هنا أن يقتحمها تحليلا وشرحا وتفسيرا وتصورا لما يمكن أن يقدم حلا لها.

وعلى سبيل المثال، فإن مشكلتى (الدروس الخصوصية)، و(الغش الدراسى)، إذا كانت لهما أسبابهما القائمة فى جسم التعليم، فإن الجزء الأكبر من هذه الأسباب إنما يكمن فى مستوى الأداء الاقتصادى القائم، وشروخ واضحة فى بنية النظام الاقتصادى. كذلك فإن (الغش) ليس غشًا فقط فى الامتحان، وإنما تفسره نظرية الأوانى المستطرقة المعروفة، فهناك غش تجارى، والصحف لا تكاد تخلو فى الفترة الأخيرة من أخبار صور تزوير، أو غش من أجل الحصول على قروض ضخمة من البنوك بغير وجه حق، وغش إدارى، وغش سياسى، وغش إعلامى.. وهكذا، ومن الظلم حقًا للخطاب التربوى أن نطلب منه أن يواجه مثل هذه القضايا بمعزل عن بقية القطاعات الأخرى.

ولعلنا هنا ننتهى بما بدأنا به..

فإذا كان الجزء الأخير يؤكد لنا ضرورة التكامل والتنسيق، فإن الخطوة الأساسية للنظر الشامل المتكامل، هو الاستناد إلى عقيدة لها رؤاها المجتمعية الشاملة المتكاملة، ألا وهى العقيدة الإسلامية.

تلك هى سبيلنا: ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة﴾، وهى سبيل نفر: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾.

***

رؤية جامعة قناة السويس
فى الخطاب الإسلامى التربوى المعاصر(*)
المحتويات

(*) إعداد كل من :

١ - أ.د إبراهيم عاشور. نائب رئيس الجامعة لشئون التعليم والطلاب.

٢ - أ.د. مجدى غانم. مستشار رئيس الجامعة لقطاع العريش.

٣- أ.د. محمود عابدين. عميد كلية التربية بالإسماعيلية.

٤ - أ.د. محمد شعير. وكيل كلية الطب البشرى.

٥ - أ.د. رضا أبو حطب. وكيل كلية العلوم الزراعية بالعريش.

٦ - أ.د. حسين هلالي. وكيل كلية التجارة ببور سعيد.

٧- أ.د. صلاح عبد الله. وكيل كلية الصيدلة لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة.

مقدمة:

يُسْعِد جامعة قناة السويس أن تسهم برؤيتها حول بعض القضايا المعاصرة التى تواجه الجامعات الإسلامية وهى فى سبيل القيام برسالتها الثقافية والتربوية والتعليمية لتأهيل دولها وشعوبها للتعامل مع عالم اليوم. ومن منطلق الركائز الحاكمة لفاعليات ندوة الخطاب الإسلامى المعاصر التى شرفت الجامعة بتنظيمها بالتعاون والتنسيق مع رابطة الجامعات الإسلامية على أرض الجامعة بمدينة الإسماعيلية خلال الفترة من ٣٠/ ١ إلى ٢/ ٢/ ٢٠٠٢م والتى تتبلور أهدافها فى مناقشة أساليب الانفتاح على العالم بمنجزاته العلمية وتصوراته الفكرية من منظور الناقد الذى يضيف، لا الناقل الذى يقف مبهوراً أمام منهج الإبداع وكذلك كيفية التواصل مع التراث من الكتاب والسنة باعتبارهما مرجعية الأمة الأصلية وليست جزءاً من تراثها أو عصراً من عصور خبرتها التاريخية. وهى ركيزة تنطوى على دعوة إلى التجديد تجمع بين الأصالة والمعاصرة، بمعنى معرفة ثوابت الأمة التى تفتح أمامها آفاق الحياة المعاصرة بسياج يحميها من الذوبان والتبعية، ويدعم العقل المستنير الذى يرفض إرهاب الفكر.

وبداية علينا أن نتفق على أن هزيمة التحديات تبدأ بالرؤية الشاملة ولهذا فإن الجامعات بالدول الإسلامية عليها عبء مهم ودور أساسى فى تشكيل الوعى الإيجابى الفعال لخوض معركة التقدم وسط التحديات العالمية. فهى منوط بها حشد القوى الفكرية والعلمية وفق رؤية إستراتيجية واضحة، والنزول إلى ميدان الممارسة فى ضوء برامج وخطط ومشروعات فعالة قادرة على تحقيق الأهداف المشروعة للدول الإسلامية. وانطلاقا من هذه الخلفية تتناول ورقة العمل المطروحة رؤية الجامعة حول بعض القضايا التربوية المعاصرة.

القضية الأولى تنمية القدرة الإبداعية والابتكارية بالمجتمعات الإسلامية

يعتمد العالم فى تقدمه على العلم والعلماء، وإتاحة آفاق غير محددة للمبدعين والمبتكرين وإذا كانت الدول الإسلامية تستهدف نهضة تكنولوجية حقيقية تتمثل فى زيادة الصادرات والارتفاع بالقيمة الصافية للمنتجات والنهوض بقطاع الخدمات وتحقيق جودة عالية، فليس أمامها إلا تحقيق نهضة علمية تكنولوجية حقيقية تهدف إلى بحث علمي وطنى قوى، وصناعات حديثة كثيفة المعرفة، والعمل على تدعيم القاعدة العلمية المتطورة القائمة أساسًا على استثمار الذكاء الفطرى للعقول فى الإبداع والابتكار خاصة بعد تطبيق اتفاقية منظمة التجارة العالمية فى السلع والخدمات وحقوق الملكية الفكرية من اختراعات وابتكارات ومؤلفات وبرمجيات، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن العالم اليوم يمر بمرحلة تختلف جذريًا عن كل ما سبقها من مراحل، وأن حركة العلم وتنمية التكنولوجيا قد أصبحت فى عصرنا الحاضر قوة جبارة وتشتد المنافسة العالمية اعتمادًا على العلم والتكنولوجيا لخلق الميزات والقدرات التنافسية بين السلع وتقديم الخدمات فى إطار تحرير التجارة العالمية مما أدى إلى انحسار المميزات النسبية للمواد الخام ومصادر الثورة الطبيعية المتوفرة.

والتحدى الحقيقى الذى يواجه الدول الإسلامية هو الدخول إلى حضارة التكنولوجيا المتقدمة، التى أصبحت العامل الحاسم فى تقدم الأمم والشعوب وتتمثل تلك التكنولوجيا المتقدمة فى الجمع فى آن واحد بين العلم والتطبيق، وتوظيف الإبداع المعرفى فى جميع مجلات التكنولوجيا، فلقد أصبح العالم قرية واحدة البقاء فيها للأكثر تطورًا والأكثر إنتاجية.

ويمثل التطور التكنولوجى الركيزة الأساسية فى مواجهة التحديات الذى يستند أساسًا على إبداعات وابتكارات الأفراد لبناء تكنولوجيا متولدة من

القدرات الوطنية. ومن هذا المنطلق تتضح أهمية رعاية وحماية الحقوق الخاصة لكل صاحب ابتكار وأداء اختراع، حيث يمثل ذلك الركيزة الأساسية لتفجير الطاقات الابتكارية وهى تطبيق عملى للاختراع، وناتجها هو توفير الموارد والأدوات والوسائل التى نستخدمها فى حياتنا اليومية. والجامعات الإسلامية مطالبة بإيجاد الآليات الكفيلة بتنمية القدرات الإبداعية والابتكارية لدى خريجيها.

وفى هذا الشأن تجدر الإشارة إلى بعض المعالم الاسترشادية لتنمية القدرة الإبداعية والابتكارية بالجامعات الإسلامية:

١- زيادة الاستثمار فى تفعيل منظومة العلم والتكنولوجيا لتحفيزها على الإبداع الذاتى وتوليد تكنولوجيات وطنية وفقًا للمعايير الملائمة للمجتمع.

٢- ضرورة تطوير النسق التعليمى الحالى الذى يعتمد على التلقين والحفظ إلى نسق تعليمى يعتمد على الاستكشاف والتحليل وتنمية القدرات الابتكارية والأصالة والانطلاق والمرونة وحرية الفكر والإبداع.

٣- ضرورة إيجاد الآليات الفعالة لاستيعاب التكنولوجيا المتقدمة وتوظيفها على المدى القصير، ثم تطويرها حتى تصل إلى مرحلة الإبداع الذاتى على المدى الطويل.

٤- أهمية اتخاذ الإجراءات والتدابير، ووضع القوانين والتشريعات اللازمة لحماية الملكية الفكرية، وكذلك مواجهة التحديات التى تم الاتفاق عليها حماية لحق المخترع والمبتكر والسعى لجذب الاستثمارات الخاصة بتصنيع وتوطين المبتكرات الوطنية.

٥- نظرًا لأن القدرة الابتكارية بالدول الإسلامية مرتبطة بمحصلة القدرات الابتكارية داخل مؤسساتها الإنتاجية والعلمية لهذا يلزم توافر رأس المال المخاطر اللازم لتمويل حلقات ومراحل البحوث نصف الصناعية

ومراحل الطرح التجارى للوصول للأفكار والمبتكرات إلى منتج قادر على المنافسة فى الأسواق. ويستلزم ذلك تخصيص نسبة معقولة من أرباح المؤسسات الإنتاجية للبحوث والتطوير. ومقابل ذلك فإن الدول الإسلامية مطالبة بتوفير العديد من الحوافز والضمانات للاستثمارات فى هذا المجال.

٦- الحاجة الماسة إلى وضع وتفصيل سياسة مشتركة لبناء ودعم وتنمية القدرات الابتكارية الوطنية فى إطار برامج بحثية مشتركة للنهضة التكنولوجية بالدول الإسلامية تتبناها وتقوم عليها رابطة الجامعات الإسلامية.

ونسأل الله المولى - عزّ وجلّ - أن يوفق حكام الدول الإسلامية إلى كل ما فيه خير ونهضة الشعوب وإعلاء شأن الإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

القضية الثانية تحقيق الجودة الشاملة في التعليم الجامعى فى الجامعات الإسلامية

يمثل تحقيق مستوى عال من الجودة الشاملة فى الجامعات الإسلامية النمو الحقيقى لها للحفاظ على دورها الريادى فى قيادة عمليات التحديث والمعاصرة بمجتمعاتها الإسلامية لمواجهة تحديات الألفية الثالثة. ولا شك أن تحقيق الجودة الشاملة للمنتج الجامعى تعتمد على جودة عديد من المتغيرات حيث تلعب الإدارة دورًا فاعلاً فى رفع كفاءة العملية التعليمية فى الجامعات، نظرًا لتأثيرها على المتغيرات التنظيمية ومنها التكنولوجيا وكذلك متغير أعضاء هيئة التدريس كمصدر أساسى لتحقيق الميزة التنافسية وتفاعل عضو هيئة التدريس مع البيئة المحيطة حيث يعد ذلك بمنزلة الجسر الذى يمكن أن تعبر من خلاله كليات الجامعة إلى الواقع العملى والذى يمكن أن يسهم بشكل كبير فى زيادة الخبرة العملية لأعضاء هيئة التدريس، وكذلك تنمية مؤسسات المجتمع فى آن واحد. كما يجب تحديث المناهج وتدعيم النشاط البحثى وإحداث التكامل بين القرارات الدراسية لمواجهة الطبيعة المتغيرة للظروف التى تعيشها أجهزة ومنظمات المجتمع فى ظل المتغيرات المحلية والعالمية الجديدة. وقد أكدت الدراسات أهمية الدور الإستراتيجى للتعليم الجامعى فى تحسين المركز التنافسى للدول وتحسين قاعدة الإنتاج والتصدير.

ويذهب بعض الباحثين إلى الربط بين أزمة التعليم الجامعى وأزمات الإنتاج والإنتاجية مما يدعو إلى ضرورة البحث عن مفاتيح جديدة لتطوير التعليم الجامعى باستخدام آليات إدارة الجودة الشاملة والتطوير المستمر. ولقد خلق ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان للإنتاج وللعمل الشريف الحلال. والعلم والتعليم أساس الإنتاج لأنه يستهدف البناء المتوازن للإنسان عقليًا وسلوكيًا ونفسيًا ومعنويًا واجتماعيًا. فالتعليم الجيد يمكن عقل الإنسان وقلبه وجسده وروحه

وينمى ويطور المعلومات والمهارات والقدرات والاتجاهات والإدراك. بهذا فإن الخلل فى التعليم يعنى الخلل فى الإنتاج وتدهور الإنتاجية كما تتأثر قضايا تطوير الإنسان والمنظمات والمجتمع بقضايا التعليم وخاصة التعليم الجامعى. وتبدو قضية تحقيق الجودة الشاملة فى التعليم الجامعى أكثر إلحاقا اليوم بسبب تدهور إنتاجية الفرد والبطالة بأنواعها وخسائر بعض المنظمات وضياع قيم الحياة والسلوكيات أحيانًا . وأصبح التساؤل الحائر الآن فى علاقة السببية عما إذا كانت مشكلة الإنتاج والدخل القومى سببًا فى تدهور التعليم بسبب نقص الموارد أم أن العكس هو صحيح وأن أزمة التعليم والتربية وراء مجموعة مشكلات المجتمع فى الصناعة والصحة والخدمات المدنية والقطاعات الإنتاجية. والخلاصة الآن هى أن خريطة الإنتاج أصبحت متشابكة مع خريطة التعليم بشكل معقد جدًا يساعد على تقييده بصفة مستمرة وتدهور الظروف البيئية المختلفة من تضخم اقتصادى ، وركود تسويقى وتدهور فى الإنتاج وهجرة العمالة الجيدة وانتشار العمالة الرديئة. لذلك فإن الأمر يحتاج من الجامعات الإسلامية إلى وقفة تشخيصية تحليلية لقضية التعليم الجامعى مع الوعى بخطورة القضية وأهمية التعجيل بالتنفيذ الجاد للمشرع القومى لتطوير التعليم الجامعى على مستوى كافة الدول الإسلامية.

ولا شك أن حرص العديد من البلدان المتقدمة مثل أمريكا واليابان وألمانيا وبريطانيا على تخصيص جزء ملموس من ميزانياتها لتطوير وتحديث العملية التعليمية يمثل دليلاً عمليًا على حتمة تطوير التعليم لمواجهة التغيرات البيئية المستمرة.

من كل ما تقدم يتضح أهمية إعادة بناء منظومة التعليم لاستيعاب التطورات التكنولوجية المعاصرة لدعم القدرة التنافسية للبلدان الإسلامية فى ظل التحديات العالمية. ويجب أن يكون جليًا أن العملية التعليمية بصدد أن تتحرر

من قيودها الزمنية والمكانية حيث أصبحت مصاحبة لعمليات الإنتاج والترفيه فى حياة كل فرد ومدى الحياة. الأمر الذى يضع حدًا نهائيًا لأساليب التعليم التقليدية التى يحل فيها الفهم والاستيعاب محل التلقين والحفظ، والتى يندمج فيها التعلم مع الأداء فى عملية واحدة ذات طابع مجتمعى فعال.

ونظرًا لأن المناهج تعد أهم أدوات الجامعات فى تحقيق أهدافها فإن الجودة الشاملة فى مجال المناهج الجامعية تعرف بأنها تحقق المنهج لأعلى مستوى ممكن من القبول لدى جهات العمل والمنظمات المهنية والطلاب عن طريق تحقيقها لأعلى مستوى ممكن من المعرفة المعاصرة والمهارة لدى الخريج.

ويتطلب توفير الجودة فى المناهج مجموعة من العوامل أهمها:

١ - التعرف على حاجة المجتمع وأصحاب الأعمال من القدرات المعرفية والمهارية الواجب توافرها فى الخريج.

٢ - لهذا فإننا نرى ضرورة قيام الجامعات الإسلامية بإنشاء مراكز لإدارة الجودة الشاملة بها حتى تحقق لنفسها القدرة على الصمود والبقاء لخريجيها على فرص متزايدة فى أسواق العمل. وذلك وفقًا للمواصفات الدولية النمطية للأيزو والسعى لتطبيقها فى الجامعات الإسلامية كمدخل إستراتيجى للتطوير والتحديث.

ويجب أن تركز محاور التطوير على المبادئ الآتية:

١ - التعليم ليس شهادات ولكن بناء فعاليات إنسانية متكاملة.

٢ - التعليم يجب أن يركز على المهارات السلوكية وأنماط التفكير.

يجب أن يكون المنتج (الخريج) من البرامج التعليمية ونظم التعليم المعاصرة هو موارد بشرية فعالة ذات مهارات وجودة مرتفعة يحتاجها سوق العمل ومزودة بمهارات الإبداع والتطوير.

القضية الثالثة تفعيل دور المرأة فى جهود التنمية الشاملة بالمجتمعات الإسلامية

تحتل الموارد البشرية المرتبة الأساسية فى الاهتمام على مستوى العالم المعاصر باعتبارها العنصر الحاسم فى قضية التنمية، وأنه مهما توافرت إمكانيات العمل والإنتاج المادية، فإن الأفراد هم القادرون على إنجاحها وحسن استغلالها أو إهدارها وعدم الاستفادة منها، وعلى ذلك فالموارد البشرية من أهم الثروات والموارد البيئية فالإنسان هو المسيطر والمنظم لتفاعلات المنظومة الحيوية بما يمثله من عقل للنظام البيئى.

ومن هنا نجد أن بناء الأمم الحديثة وتنميتها يتوقف على نوعية مواردها البشرية، فمن المعروف أن رأس المال والموارد الطبيعية ما هى إلا عوامل كاملة للإنتاج والتنمية، وما من عنصر من هذه العناصر يفوق فى الأهمية العنصر البشرى، وتمثل المرأة قوى إنتاجية وتربوية قادرة على القيام بدور رئيسى فى النهوض بالمجتمعات الإسلامية.

ولا شك أن قدرة المرأة على القيام بدور رئيسى تتوقف على ما يتاح لها من فرص التعليم والتثقيف والتأهيل، لتوسيع مداركها وتنمية شخصيتها وتأهيلها لقيام بمسئوليتها تجاه الأسرة والمجتمع الذى تعيش فيه ولا شك أن التميز ضد المرأة بكافة أشكاله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إنما هو ناتج موروثات اجتماعية وثقافية وليس ناتج شرعية، فالشرعية الإسلامية أعطت للمرأة من الحقوق ما لم يقدم لأى امرأة فى دول العالم المتقدم إنما القصور فى تنفيذ ما تنص عليه الشريعة وكفله لها القانون.

وفى هذا الصدد يمكن للجامعات الإسلامية أن تسعى إلى غرس القيم التربوية لتخرج أجيال تتمتع بآفاق رحبة ورؤية مستنيرة للمرأة أكثر من كونها كيانا بيولوجيًا حيث تبين من الناحية القيمية أن المشكلة الأساسية وراء تخلف الدور النسائى المجتمعى هى ضعف أو عدم وضوح التوجهات القيمية

ومصدرها ومدى الإيمان بها، والتباين الكبير حوله، وما يترتب على ذلك من تخلخل فى البناء المؤسسى لدور المرأة، ومن ثم ضعف وعدم تكامل المنظمات التى تجمع العمل النسائى تحقيقًا لأهداف معنية فى خدمات تلك التوجهات القيمية الأساسية وأن تنمية القيم والعلاقات الأسرية وروح المودة والرحمة الأسرية بما فى ذلك الفهم الصحيح للقيم الروحية وكذلك يمكن تقليل الصراع النفسى والاجتماعى والمادى بين الرجل والمرأة ولذلك فمن الأفضل تغير شعار تنمية المرأة عن اقتناع وفهم إلى شعار «تنمية الأسرة».

وهنا يمكن التساول كيف يمكن للجامعات بالدول الإسلامية أن تلعب دوراً تربويًا مؤثراً فى تنمية قدرات المرأة والنهوض بأوضاعها بما يسمح لها بالقيام بالأدوار الاقتصادية الاجتماعية والسياسية المتوقعة منها وللمرأة أن تلعب دور إيجابيًا فعال سواء من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الاقتصادية وفى هذا الخصوص يمكن للجامعات أن تساهم فى غرس قيم تربوية داعمة لمكانة المرأة فى المجتمع على النحو التالى:

* الاعتراف بدور المرأة الإنتاجى، وبخاصة فى إنتاج الغذاء لمساعداتها على رفع كفاءتها فى ذلك المجال.
* توفير فرص أفضل للمرأة فى الحصول على الموارد الاقتصادية، وأيضًا على القروض.
* إعطاء المرأة فرصًا مساوية على قدم المساواة مع الرجل فى سياسات وبرامج الإصلاح المختلفة.
* إعطاء المرأة فرصًا مساوية للرجل فى التعليم والتدريب، وتوفير التكنولوجيا المبسطة.
* توفير فرص عمل للمرأة فى الإدارة والتنظيم واكتساب المهارات والحصول على أجور مجزية.
* تخصيص استثمارات أكثر فى مجال الخدمات الصحية تصل لأكثر الفئات احتياجًا إليها (بصفة خاصة الحوامل والأطفال والصغار).
* توفير مزيد من المشروعات الموجهة مباشرة نحو تحسين ظروف عمل المرأة.

القضية الرابعة إحياء التعليم الذاتى كأسلوب تعليمى يجمع بين الأصالة والمعاصرة

التعلم الذاتى أسلوب للتعليم والتعلم تتاح فيه الفرصة للمتعلم للمشاركة فى جوانب العملية التعليمية كلها أو بعضها وفقًا للإمكانات المتاحة وللتقدم فى عملية التعلم معتمدًا أساسًا على ذاته ومستفيدًا من البدائل التربوية وتكنولوجيا التعليم المتاحة طبقًا لإمكاناته المتعددة وبإشراف وتوجيه من المعلم على أن يتحمل المتعلم نتائج اختياراته ويقوم نفسه بنفسه وصولاً إلى الأهداف السلوكية المحددة.

ويلاحظ على هذا التعريف الآتى:

١- تأكيده على الربط بين عمليتى التعليم والتعلم أى الربط بين مسئوليتى المعلم والمتعلم فى مسيرة عملية التعلم.

٢- اعترافه بالنسبية والتدرج فى تطبيق التعلم الذاتى وفقًا للإمكانات المتيسرة له ولفلسفة المجتمع وأهدافه.

٣- الإعلاء من شأن المعلم والمتعلم.

٤- حرصه على الحفاظ على مستوى الإنجاز التعليمى.

وتستهدف هذه المقالة تتبع جذور التعليم الذاتى فى الفكر الإسلامى على الرغم من الحداثة النسبية لهذا المصطلح.

ويتطلب التمهيد لتحقيق هذا الهدف إشارة مختصرة عن موقف الإسلام من التعليم والتعلم بصفة عامة وذلك قبل الخوض فى صلب الموضوع.

موقف الإسلام من التعليم والتعلم:

جاء الإسلام مؤكدًا منذ البداية أهمية التعليم والتعلم للمسلمين ذكورًا وإناثًا ورافعًا شأن العلم والعلماء إلى أبعد الحدود ولا يتسع المقام للإشارة إلى

الآيات والأحاديث وسير الصحابة التى تدل على ذلك، بل يصعب حصرها فى أغلب الأحيان ونكتفى هنا بذكر أمثلة قليلة لهذه التوجهات الإسلامية.

ولعل من أعظم الأدلة على اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء فى أول آيات القرآن الكريم جاءت الدعوة إلى العلم والتعلم باعتبار العلم وسيلة إلى السعادة فى الدارين حيث يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق: ١/ ٥].

ولقد حرص الإسلام على تشجيع المتعلم فى طريق التعلم وأوجد عنده الدافع إلى التعلم من خلال توضيح مكانة العلم والعلماء، والجزاء المنوقع لأهله فى الدارين ، وفى ذلك يروى أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم...» وإن العالم ليستغفر له

الزرنوجى ومحاولته الرائدة فى التعلم الذاتى:

رغم إشارات الغزالى وابن خلدون وابن سينا الصريحة والضمنية للتعلم الذاتى أو بعض جوانبه إلا أننا نقتطف هنا إحدى المحاولات الرائدة فى التعلم الذاتى وهى كتاب برهان الإسلام الزرنوجى أو برهان الدين الزرنوجى بعنوان (تعليم المتعلم طريق التعلم) أو (تعليم المتعلم فى طريق التعلم).

وبرهان الإسلام الزرنوجى عاش فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) وأوائل القرن السابع الهجرى وقد عاش فى خراسان وتوفى على الأرجح فيما بين عامى ٥٩٣ , ٦٢٠ هـ (٥).

ولقد حظى هذا الكتاب القيم رغم قدمه وصغر حجمه باهتمام بالغ وانتشار واسع عربيًا وإسلاميًا وعالميًا ولعل النقاط التالية تؤكد ذلك:

١ - ترجم الكتاب إلى العديد من اللغات منها اللاتينية والتركية والإنجليزية

وربما الفارسية فضلاً عن ترجمة عناوين فصوله مع عرض لبعض آراء الزرنوجى فى إيجاز باللغة الفرنسية.

٢- توجد العديد من المخطوطات لهذا الكتاب فى العديد من البلاد وبخاصة مصر وتونس ولبنان والعراق وإنجلترا وفرنسا.

٣- توجد ثلاثة شروح لهذا الكتاب وضعت فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ويرى أستاذنا الدكتور/ سيد عثمان أن وضع هذه الشروح الثلاث للكتاب بعد مرور قرابة ثلاثة قرون على تأليفه دلالة على الوجود الحى للكتاب وعلى الحاجة العملية إليه بين المتعلمين طوال تلك القرون وبعدها بطبيعة الحال لأن الشروح إنما تكتب لزيادة الطلب على الفهم والإفادة منه.

٤- طبع الكتاب عدة مرات أولها على الأرجح عام ١٧٠٩م فى ألمانيا برعاية مسيو ريلندوس ثم طبع مرة أخرى عام ١٨٣٨م برعاية مسيو كاسبارى وله مقدمة للمسيو فليشر ثم توالت طبعاته بعد ذلك فى أزمنة متتالية وفى أماكن متعددة منها مرشد آباد وقازان وتونس والأستانة ومصر ورغم أن محمد عبد القادر أحمد قد أحصى تسع عشرة طبعة إلا أنه يقرر باحتمال وجود طبعات أخرى لهذا الكتاب لم يتوصل إليها.

٥- ولقد حقق الكتاب أكثر من مرة مع كتابة فصول تمهيدية وتعليقات ولقد توصل الباحث حتى كتابة هذه السطور إلى ثلاثة تحقيقات لهذا الكتاب الأول لمروان قبانى (١٩٨١) والثانى لصلاح الخيمى ونذير حمدان (١٩٨٥) والثالث لمحمد عبد القادر أحمد ولقد أسهم ذلك فى نشر الكتاب واهتمام الباحثين به.

٦- قيام دراسات علمية جادة حول هذا الكتاب ولعل من هذه الدراسات ما كتبه د. سيد أحمد عثمان فى هذا المجال بل إن هذه الدرسات بدورها قد دفعت الباحثين لربط هذا الكتاب وما كتب عنه بالتعلم الذاتى.

٧- كان الكتاب يدرس وما زال يدرس فى العديد من المجتمعات وذلك بعد

مـرور ثمانيـة قـرون على تأليـفه وذلـك فى حدود علم الـباحث نادراً مـا يحدث لغيره من الكتب ولقـد ذكر محمد عبد القادر أحـمد أنه حتى قبل تحـقيـقه لـهذا الكتـاب فى ١٩٨٦م رأى الكتـاب يدرس لطلاب المدارس القـرآنية والمجـالس العلمـيـة فى غينيـا وفى دول غـرب إفريـقيـا ويحظى الكتاب فى الوقت نفسه باهتمام الدارسين والمعلمين وتقديرهم.؟

القضية الخامسة تأصيل الأدوار الجديدة للمعلم لأداء التعلم الذاتى

مرت التربية بفترات طويلة زادت فيها سلطة المعلم إلى حد كبير وانكمش فيها دور المتعلم ليصبح مجرد حفظ ما يلقى عليه من جانب المعلم استعداداً للامتحان دون أن يكون له أى دور فى تحديد الأهداف أو المحتوى أو الطرائق أو الأنشطة ودون مراعاة لميول المتعلم وقدراته والفروق الفردية بينه وبين زملائه الأمر الذى يتنافى مع حقائق النمو وشروط التعلم وإنسانية المتعلم.

وبمرور الوقت ظهرت فكرة التعلم الذاتى (Self - learning) كأحد الأساليب العلمية لإعادة التوازن المنشود بين المعلم والمتعلم والذى يستجيب فى الوقت نفسه لعوامل أخرى متعددة زادت من ضرورة استخدام هذا الأسلوب الجديد وسوف يأتى شرح هذه العوامل فيما بعد.

خصائص التعلم الذاتى:

ليس من السهل فى الواقع تعريف التعلم الذاتى لا سيما من الناحية الإجرائية وذلك للعديد من الأسباب ربما يأتى فى مقدمتها ما ذكره كرستوف وولف من عدم وجود نظرية ثابتة للذات أو لتعليم الذات وتربيتها يضاف إلى ذلك أيضاً الحداثة النسبية الكبيرة لأسلوب التعلم الذاتى الذى بدأ بشكل علمى واضح فى الخمسينيات من القرن العشرين وذلك على الرغم من المحاولات الفردية المتفرقة التى يرجع البعض بدايتها إلى سقراط.

ولقد أدت هذه الصعوبة المتزايدة ببعض الباحثين إلى تحديد خصائص للتعلم الذاتى بدلاً من محاولة تعريفه أو بالإضافة إلى محاولة تعريفه ومن هذه المحاولات وغيرها يمكن تحديد أبرز خصائص التعلم الذاتى فى النقاط التالية:

١- تهيئة المواقف التعليمية بشكل يستثير دوافع الفرد للتعلم ويكفل له حرية الاختيار بين البدائل ويزيد من قدرته فى الاعتماد على نفسه للوصول إلى الأهداف المنشودة.

٢- يراعى هذا الأسلوب الفروق الفردية بين المتعلمين حيث يسمح بإمكان تعلم كل فرد تبعًا لميوله واستعداداته وقدراته وبالتالى وفقًا لسرعته الذاتية.

٣- عدم السماح للطالب بالانتقال من وحدة إلى أخرى قبل التأكد من إتقانه للوحدة الأولى ووصوله مستوى الأداء المحدد سلفًا فى الأهداف السلوكية.

٤- تفاعل المتعلم مع كل موقف تعليمى بصورة إيجابية فالمتعلم فى ظل أسلوب التعلم الذاتى بأشكاله المختلفة ليس مستقبلاً للمعلومات وإنما مشاركًا نشطًا فى جمعها من مصادرها الأصلية واشتقاق المزيد منها.

٥- يسمح هذا النظام لكل متعلم بتوجيه ذاته نحو تحقيق أهداف محددة بدقة تحدد له ألوان الأداء المتوقعة منه تحديدًا دقيقًا ولا مانع من مساعدة المعلم له فى هذا المجال.

أدوار المعلم فى التعلم الذاتى:

ارتبطت تعريفات التعلم الذاتى كما سبقت الإشارة بتغير النظرة إلى أدوار المعلم ولقد أجاد (عبد الغنى النورى) عندما ربط بين هذا التغيير وإعادة تعريف المعلم نفسه وفى ذلك دلالة على أن التغيير سيكون شاملاً وفى ذلك يشير إلى أننا لكى نفهم هذا الدور الجديد للمعلم ربما كنا فى حاجة إلى إعادة تعريفنا للمعلم على أنه الشخص الذى يساعد الآخرين على التعلم وليس الشخص الذى يقوم بتعليمهم.

ومن خلال استعراض بعض الدراسات فى التعلم الذاتى ومن خلال التحليل السابق لتعريفات التعلم الذاتى وخصائصه والعوامل التى أدت إلى الاهتمام به يمكن تحديد أبرز هذه الأدوار فى الآتى:

١ - تشخيص قدرات المتعلمين وميولهم واتجاهاتهم بغية توجيههم:

وتستلزم هذه المهمة المعلم بشكل أعمق بوسائل القياس والتقويم المختلفة حتى يستطيع تشخيص نواحى القوة والضعف عند المتعلمين فى الجوانب المختلفة والتى منها الجانب التحصيلى وإذا كانت وسائل القياس والتقويم قد تنوعت الآن إلى حد كبير وأصبحت متوفرة نسبيًا فيجب على المعلم انتقاء المناسب منها حسب أعمار المتعلمين وأغراض التشخيص وغير ذلك من المعايير وعلى المعلم أيضًا أن يتدرب على استخدام هذه الأدوات بشكل جيد فى العملية التشخيصية وبالإضافة إلى أدوات القياس والتقويم الجاهزة هناك الاختبارات الصفية التى تعد من أهم الأدوات التى يجب أن يتدرب المعلم على بنائها وكيفية استخدامها فى عملية التشخيص داخل حجرة الدراسة.

ويجب أن يحاول المعلم الإجابة عن ثلاثة أسئلة مهمة عند تشخيصه لكل متعلم:

أ- أين هو الآن ؟

ب- كيف وصل إلى ما وصل إليه الآن؟

جـ- ماذا يمكن أن يصل إليه من هنا؟

وفى توجيه المعلم للمتعلم يجب أن يهتم بالعديد من الأمور منها:

أ- التخطيط لمساعدة كل طالب يحتاج إلى التوجيه فيما يتعلق بالإفادة من برامج التعلم المتاحة.

ب- تنمية الثقة بالنفس لدى الطلاب أثناء عملهم الفردى أو الجماعى.

جـ- مساعدة الطلاب على الاعتماد على أنفسهم فى التعلم وإعطاؤهم صورة عن مدى تحسينهم فى التعلم.

تشخيص بيئة التعلم وأوضاع جماعة التعلم:

وفى تشخيص المعلم لبيئة التعلم يجب عليه محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية:

أ- هل البيئة تمكن الطلاب من الإفادة الكاملة من قدراتهم واهتماماتهم؟

ب- هل تزودهم بالإمكانات الكافية لتحسين أدائهم المستقبلى؟

جـ- هل تساعدهم على تحقيق الأهداف الموضوعية؟

د- هل توجد فيها خيارات متعددة تساعدهم على الاطمئنان على مستقبلهم؟

ويعد تشخيص المعلم لأوضاع جماعة التعلم على نفس أهمية تشخيصية لبيئة التعلم على أساس أن التعلم الذاتى رغم أنه يغلب عليه الطابع الفردى إلا أنه يتم عادة فى إطار جماعة تعلمية معينة وفى هذا المجال يحاول المعلم الإجابة عن عدد من الأسئلة منها:

أ- هل يشترك أعضاء الجماعة التعليمية بفعالية جيدة فى الموقف التعليمى؟

ب- هل طبيعة الاشتراك فى الموقف التعليمى يتناسب والأهداف الموضوعة؟

جـ- ما طبيعة الاتصال بين أعضاء الجماعة الواحدة؟

د- هل توجد فرص لتحليل ومناقشة القرارات المختلفة بعد مرحلة من التطبيق العملى لها؟

هـ- هل تخضع هذه القرارات للتحليل الكافى؟

٢- مساعدة المتعلمين على اكتساب بعض المهارات الأساسية اللازمة لحل المشكلات ومواجهة المواقف الجديدة:

سبقت الإشارة إلى تزايد وقع التغيير من حولنا بشكل كبير وشموله كافة مناحى الحياة حتى أضحى التغيير هو الحقيقة التى لا تتغير ومن هنا أصبح شكل المستقبل أكثر غموضًا وبات إعداد المتعلم لمواجهة هذا العالم المتغير بمشكلاته المتعددة أمرًا على قدر كبير من الأهمية وعليه فيجب أن يتدرب المعلم هوأولاً تدريبًا متميزًا ليستطيع القيام بهذا الدور بكفاءة.

ويتحقق هذا الدور فى المتعلم عن طريق مساعدته على اكتساب المهارات الأساسية للتفكير العلمى بخطواته المتعددة وصولاً إلى حلول تزيل غموض المواقف المشكلة وتقود إلى استنتاجات وتعميمات ويجب على المتعلم القيام بنفسه بهذه الخطوات العملية ولا مانع من استشارة المعلم كلما تطلب الأمر ذلك.

٣- تخطيط المواقف التعليمية بما يتناسب وإمكانات المتعلمين:

ويمثل هذا الدور منعطفًا هاما فى أدوار المعلم من ناقل للمعرفة إلى عضو فعال فى تصميم وبناء المنهج المدرسى والأنشطة المصاحبة له وفق حاجات المتعلمين وقدراتهم.

والمعلم فى إنجازه لهذا الدور عليه أن يتعاون مع زملائه المعلمين الآخرين وغيرهم من المتخصصين وفى الوقت نفسه يجب أن تكون الخطط مرنة تسمح بالتغيير والتعديل حسب ظروف المتعلمين وبيئاتهم.

٤- إنتاج تكنولوجيا التعليم واستخدامها:

سبقت الإشارة إلى الارتباط الواضح بين تعريفات التعلم الذاتى وتكنولوجيا التعليم والتعلم ومن هنا انعكاس هذا الأمر على أدوار المعلم الجديدة فيجب أن يتدرب المعلم فى مؤسسات الإعداد على إنتاج بعض أنواع هذه التكنولوجيا ولا سيما مع استخدام إمكانات البيئة المحلية ومن ثم مساعدة المتعلم على إنتاجها واستخدامها فى عملية التعلم.

وبالطبع هناك تقنيات ليس فى مقدرة المعلم إنتاجها مثل التليفزيون والراديو والكمبيوتر وينحصر دوره فى حسن الاستخدام الأمثل لها تربويًا وهناك تقنيات يمكن للمعلم إنتاجها بالتعاون مع زملائه أو بعض المتخصصين ومن هذه التقنيات الحقائب التعليمية والوحدات التعليمية النسقية (الموديلات).

٥- استمرار المعلم فى مسيرة التعلم والتدرب:

رغم أن هذا الدور يعد من أدوار المعلم الحيوية سواء فى التعلم الذاتى أو غيره إلا أنه فى ظل التعلم الذاتى يكتب أهمية متزايدة على أسس أن التربية المستمرة أحد العوامل التى أكسبت التعليم الذاتى أهميته كما سبقت الإشارة ومن ناحية أخرى يرتبط التعلم الذاتى عادة بالتربية المستمرة أو التعلم مدى الحياة على أساس أن التعلم الذاتى وسيلة التعلم مدى الحياة ومن هنا وجوب انعكاس ذلك على أدوار المعلم والذى يمكنه فى هذا المجال القيام بالآتى:

* المشاركة فى برامج التدريب والتعلم أثناء العمل.
* محاولة تجريب بعض الأفكار الجديدة والعمل على بلورتها بالشكل المناسب للموقف التعليمى ويرتبط ذلك بضرورة القيام بالبحوث والدراسات الميدانية.
* الاهتمام بانطباعات وآراء الطلاب والزملاء والآباء حول موضوعات التعلم وارتباطها بحياة المجتمع بعامة.
* الاطلاع على الدراسات والمراجع الحديثة فى مجال تخصصه.

٦- مساعدة المتعلمين على اكتساب مهارات استخدام المكتبة:

تعد المكتبة بإمكاناتها المتعددة من أبرز عوامل نجاح التعلم الذاتى حيث يقع على المتعلم ذاتيا مسئولية تحصيل المعلومات بنفسه والتحقق منها ومقارنتها عبر المصادر المختلفة ومن هنا تبدو أهمية توافر خدمات المكتبات لا سيما المدرسية منها.

وترتبط الاستفادة من هذه الخدمات بضرورة مساعدة المعلم للمتعلم على اكتساب بعض المهارات المتعلقة بالمكتبة منها:

أ- مهارة الوصول إلى المعلومات عن طريق الاستخدام الجيد لمصادر المعرفة من كتب ودوريات وغيرها وترتبط هذه الناحية بالإلمام بنظم التصنيف والفهرسة وطرق البحث فى الفهارس الخاصة بالمؤلف أو بالموضوع.

ب- مهارة القراءة الواعية واستخلاص الأفكار الأساسية للمادة المقررة.
جـ- مهارة الاستخدام العلمى للمصادر عند الاقتباس منها فضلاً عن طرق التوثيق السليمة.
د- مهارة البحث فى الكتب المرجعية الخاصة مثل القواميس والأطالس ودوائر المعارف والموسوعات المتخصصة.
هـ- مهارة قراءة الرسوم البيانية والمصورات والخرائط والجداول الإحصائية.
و- مهارة الاستخدام الجيد للمعينات التربوية المتوافرة فى المكتبة المدرسية أو فى مراكز مصادر التعلم الأخرى.

ويعد قيام المتعلم بالزيارات الميدانية للمكتبة المدرسية بتوجيه من المعلم خير معين للمتعلم على اكتساب المهارات السابقة فضلاً عن بعض الفوائد الأخرى مثل تنمية الصبر والتحمل والثقة بالنفس وتنمية الوعى وإشباع الرغبة فى الاطلاع المستمر وتنمية القدرة على التفكير الناقد والقدرة على اتخاذ القرار المناسب وتحمل المسئولية وغير ذلك.

٧- استخدام أشكال التعلم الذاتى المختلفة فى إطار منظومة متكاملة للعملية التربوية:

لقد تعددت الأشكال المستخدمة والتقليدية للتعلم الذاتى فى الآونة الأخيرة بشكل كبير منها التعليم البرنامجى أو المبرمج programmed Instruction حقائب التعلم Learning Packages التعلم بالحاسب الآلى خطة كيلرKeller plan وغيرها كثير جداً حتى إن البعض يعتبر الواجب المنزلى شكلاً من أشكال التعلم الذاتى يمكن أن يأتى ثماره إن أحسن استغلاله.

ويلقى هذا التعدد مسئولية جديدة على المعلم تتعلق بأهمية انتقاء الشكل أو مجموعة الأشكال الأكثر مناسبة ولكن فى ضوء نظرة نظامية للعملية التربوية

بما تحويه من مدخلات وعمليات ومخرجات وتغذية راجعة. وعليه فعلى المعلم أن يلم بهذه الأشكال ويختار الأكثر مناسبة وفقًا لإمكانات المتعلمين والمجتمع (مدخلات) وفقًا للأهداف المنشودة وغير ذلك من المعايير ومن ناحية أخرى فإن تعدد الأشكال تكفل نسبية التطبيق بمعنى أنه إن لم يطبق التعلم الذاتى تطبيقًا كاملاً فيجب ألا يترك كله.

٨- دور المعلم كقدوة:

يكتسب هذا الدور فى التعلم الذاتى طبيعة خاصة وذلك لأنه بوصفه أسلوبًا جديدًا يتطلب إيمان المعلم به وقدرته على إقناع المتعلمين بأهميته وحيويته لهم فضلاً عن تفانى المعلم فى خدمة المتعلمين وإصراره هو ذاته على البحث المستمر وتعليم ذاته وحياده بين المتعلمين وغير ذلك من الأمور التى تعد إن حرص عليها المعلم من أهم عوامل إنجاح التعلم الذاتى فكرًا وتطبيقًا.

القضية السادسة غرس قيم التربية الموضوعية لدى شباب المسلمين كركيزة لتفادى التطرف والإرهاب الفكرى

المقصود بالتربية الموضوعية:

بغض النظر عن التباين بين الباحثين بخصوص معنى التربية الموضوعية بحكم أنها أحد المفاهيم المستخدمة فى العلوم الاجتماعية التى تتسم بالنسبية والتغيير الكبيرين بالقياس إلى العلوم الطبيعية فربما يكون من المفيد بداية أن نبسط معنى التربية الموضوعية بأنها التربية غير المتحيزة والتى لا يحتل فيها هوى النفس أو المآرب الشخصية موقعًا بالمرة.

ولا ندعى أن هذا التعريف جامع مانع ولكننا نراه مفيدًا وكافيًا لأغراض هذه الدراسة.

منبع الفكرة:

وقد استقينا فكرة هذا الموضوع أساسًا من القرآن والسنة ونحن الآن بصدد تطويرها فى عدد من العلوم والتخصصات المدنية.

التربية الموضوعية عبر المواد الدراسية:

نعتقد أنه يمكن أن تصاغ المواد الدراسية بطريقة تؤكد الموضوعية وبشكل غير مباشر فى أغلب الأحيان وفى هذا الصدد يمكن أن نقترح نماذج للتربية الموضوعية يمكن أن تتخلل عبر كل المواد الدراسية ولا يتسع الوقت لذكرها هنا بالتفصيل وإنما نقتصر هنا على الأمثلة الأربعة التالية:

مثال (١):

ففى الوقت الذى يجب أن نعتز فيه على سبيل المثال بعلماء الجبر العرب الذين أخذ عنهم الغرب حتى الاسم ذاته Algebra إلا أننا يجب أيضًا أن نعتز

بعلماء الجبر غير العرب الذين أضافوا الكثير إلى هذا العلم الهام ومن هنا يجد الدارس العربى نفسه أمام عرض موضعى لعلماء هذا العلم حسب إبداعهم وإنتاجهم وعرقهم لا حسب جنسية معينة أو انتماء ثقافى محدد.

ونشيد هنا على وجه الخصوص بالمعالجة الموضوعية التى سلكها جون ماكليش (١٩٩٢) John Mcleish فى كتابه «المتميز العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر» والذى أبرز فيه جهد كل مجتهد بغض النظر عن دينه ووطنه وعرقه وانتمائه الثقافى ومن هنا برزت جهود الهنود الأمريكيين وقبائل الأنكا والسومريين والبابليين والمصريين وغيرهم من العرب والصينيين واليونانيين فى تطوير فكرة العدد والأنظمة العددية وأفرد الكتاب فصلا خاصا لمنجزات العرب والمسلمين فى هذا الموضوع ذلك أن الفضل يعود إليهم فى جعل المعارف العددية التى توصلوا إليها فى متناول الغرب الذى كان قابعًا فى تخلفه فى هذا المجال كما أنه أفرد أيضًا فصولا عن الإسهامات الحديثة للغرب وبخاصة فى مجال الكمبيوتر.

وأفرد جون ماكليش أجزاء مطولة عن إسهامات كل من الخوارزمى (٦٨٠-٧٥٠) وعمر الخيام (١٠٤٨- ١١٣٢) فى الرياضيات وبخاصة الجبر وأكد بالأدلة القاطعة على أن أعمال الخوارزمى قدمت إضافات جوهرية جدًا أدت إلى تطوير الرياضيات العالمية وقد تمخض عن ترجمة كتابه فى الحساب على سبيل المثال إدخال الأعداد العربية التسعة مع الصفر باعتبار ذلك أهم الأدوات الرئيسية فى العلوم ويؤكد ماكليش بموضوعية أن رسالة الخوارزمى فى الحساب تعد أول كتاب فى العالم يوضح عمليات الأعداد العشرية، وعلى الرغم من ضياع الأصل العربى لهذه الرسالة إلا أن الرسالة قد بقيت على قيد الحياة من خلال ترجمتها وفى عام ١٨٥٧ اكتشفت نسخة لاتينية من ترجمة القرن الثالث عشر فى مكتبة جامعة كامب ريدج ولقد أدت رسالة الخوارزمى فى الحساب إلى استحداث كلمة جديدة هى (الخوارزمية) Algorism التى استخدمت فى

البداية لذلك النوع من المعرفة الذى يعرف الآن بعلم الحساب. ولكلمة الخوارزمية فى الوقت الحاضر معنى أكثر تحديدًا وهو أنها خطة محددة لحل مسألة معينة فنحن نتعلم مثلاً خوارزميات عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة المطلوبة وإيجاد الجذر التربيعى وغيرها من العمليات التى نجد حلها فى كتاب الخوارزمى ويمضى المؤلف لإبراز تأثيرات فكر الخوارزمى وغيره من العلماء على اختلاف جنسياتهم وبخاصة فى علم الجبر الذى نقل حرفيًا إلى اللغة الإنجليزية ولا يتسع المجال للحديث الموضوعى الذى ذكره ماكليش فى كتابه عن إسهامات عمر الخيام المتفردة والذى بدأ عمله وكتاب الخوارزمى فى الجبر كان قد بلغ من العمر حوالى أربعمائة عام.

مثال (٢):

إن العالم اليوم يتحدث عن التعلم الذاتى Self- Learning Approach والذى يعد من أنجح الوسائل للتعامل مع الانفجار العلمى والتكنولوجى وفيه يتحول دور المعلم من ملقن إلى مرشد وموجه ويتحول دور المتعلم من متلق إلى رائد نشط فعال ويتحول التعليم إلى تعلم.

مثال (٣):

إن الدروس التربوية المستفادة من أديسون صاحب الألف اختراع لا يمكن أن تكون حكرًا على وطنه فقط وهو يؤكد فى تواضع جم أن الاختراع يعتمد على العرق والجهد أكثر بكثير جدًا من الذكاء وحده لا يجدى ويا أيها الذين صنفكم العلماء على أنكم من متوسطى الذكاء أو من ضعيفى الذكاء هيا ضاعفوا العمل والعرق فربما تتفوقون على فائقى الذكاء فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولا تنتهى الدروس التربوية من حياة أديسون ولا غيره من المبدعين.

مثال (٤):

إن ابن الهيثم والبيرونى والرازى وجابر بن حيان وغيرهم كثير من المبدعين

قد نالوا حظًا من الشهرة عند الغرب والشرق على حد سواء حتى إن برتيلو قد قرر أن لجابر بن حيان فى الكيمياء ما لأرسطو فى المنطق.

وجاء كارل سينجر بنظرته الموضوعية الأكثر شمولاً وعمقًا ولا سيما فى مقولته:

كانت بغداد وقرطبة الخلافتان العربيتان المشرقية والمغربية موضوعين طرفيين لنظام عملاق يمتد إلى عدة قارات ومنهما تدفق التيار الحضارى بلغة عربية واحدة وكان اتجاه التيار من الشرق إلى الغرب، فالشرق إذا تابعنا بأسلوب المجاز هو المرسل والغرب هو المستقبل.

القضية السابعة الحفاظ على البيئة والتنمية المستدامة بالمجتمعات الإسلامية

فى ظل تحديات النظام العالمى الجديد وما يفرض من شروط حاكمة للتجارة الدولية ومواصفات معيارية للمنتجات والخدمات القادرة على المنافسة العالمية فقد أصبح الربط بين البيئة والتنمية قضية حتمية علاوة على أن هذا الربط بين البيئة والتنمية يمثل الركيزة الأساسية ويمثل الربط بين البيئة والتنمية الركيزة الأساسية فى الوفاء باحتياجات الجيل الحاضر ومتطلباته الأساسية والمشروعة دون الإخلال بحق الأجيال القادمة ومتطلباتها، لهذا فإن برامج تطوير التعليم الجامعى فى البلاد الإسلامية يجب أن تؤكد على أهمية التوازن بين البيئة والمجتمع والإنسان والربط بينهما ودمجهما فى قالب جديد لتأمين الوفاء بحاجات البشر على المدى الطويل وللحفاظ على قاعدة الموارد البشرية والطبيعية والحد من التدهور البيئى. وفى هذا الشأن لا بد من مراجعة الطرق التعليمية التقليدية والسعى إلى تبنى أسلوب المنظومات التعليمية التى تتيح التعامل الفريقى وتنوع التخصصات فى تشخيص وتحليل القضايا، وتنمى العمل الجماعى لدى الطلاب، وتحقق الإبداع والابتكار الجماعى المؤسسى وليس الشخصى بما يضمن تواصل العطاء العلمى فى دراسة قضايا البيئة والمجتمع. ومن هذا المنطلق فإن الجامعات الإسلامية مطالبة بمساندة إستراتيجية التنمية البيئية وأهداف التنمية المستدامة على النحو التالى:

١- الحفاظ على التنوع البيلوجى وخاصة فى المحميات الطبيعية.

٢- الحد من ظاهرة التصحر ووضع برامج طويلة الأمد لهذا الغرض.

٣- الحفاظ على الموارد المائية وتطوير أساليب إدارتها والاستغلال الأمثل لها.

٤- تعزيز بناء القدرات فى مجال تأهيل وتهيئة الكوادر المتخصصة فى المجال البيئى وتعزيز دور الإعلام والتربية والتوعية البيئية فى متابعة ومراقبة وحل المشاكل البيئية.

وبصفة عامة تتبلور رسالة الجامعات الإسلامية فى تحقيق التنمية المستدامة بدولها فى الجوانب التالية:

١- تطوير السياسات التنموية التى تقى البيئة من التدهور وتحافظ عليها نظيفة وسليمة وصالحة لاستمرار عمليات التنمية.

٢- تقرير وتطوير مبدأ التنمية المستدامة فى استخدام الموارد وخاصة الطبيعية منها مع تعميق القيم التربوية بالمناهج وطرق التدريس الرامية إلى الحفاظ على البيئة.

٣- تكثيف بحوث حماية البيئة من التلوث وإيجاد الحلول للمشاكل البيئية القائمة من خلال تبنى سياسة بحثية تساعد على تحقيق المواصفات القياسية للمنتجات وتحسين نوعية الحياة البشرية بالمجتمعات الإسلامية.

٤- المعاونة فى تقديم دراسات الجدوى البيئية والاقتصادية والتى يجب أن تتضمن تكلفة المعالجات البيئية للمشاريع الجديدة.

٥- معاونة القيادة السياسية فى دولها لتحقيق موازنة مقبولة بين مبدأ الكفاءة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية فى توزيع الاستثمارات القطاعية وتقليل حدة التفاوت بين مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبين المناطق الحضرية والريفية.

٦- تقديم الدعم العلمى اللازم لتعميق دور السلطات المحلية والسكان المحليين فى عملية تخطيط التنمية وإدارة البيئة.

٧- إعطاء أولوية للمشروعات البحثية الموجهة لمشاريع الإصحاح البيئى وتوفير مياه الشرب فى البيئة السكنية خاصة المجتمعات الصحراوية.

٨- تنمية الإدراك السياسى لأهمية ربط الأبعاد التنموية وإعطاء أولوية لنظافة البيئة وتخصيص التمويل اللازم لها.

٩- الربط بين الأجهزة التنموية على المستويات : القومى والقطاعى والمكانى، فيما يتعلق بحماية وتحسين البيئة على مستوياتها المختلفة.

المستجدات فى خطاب وأسلوب عمل الحركات الإسلامية المعاصرة

أ.خالد الأصور (*)

شهد العقد الأخير من القرن المنصرم تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية، على كافة المستويات العالمية والإقليمية والمحلية، وذلك فى ظل النظام العالمى الجديد، وانهيار التوازن العالمى وتفرد أمريكا «شرطى العالم» ، وسياسة العولمة الاقتصاية والشركات متعددة الجنسيات، وثورة الاتصالات والمعلومات.

فأين يقع الخطاب الإسلامى من كل هذا.. أين الثابت والمتغير من هذا الخطاب فى هذا العالم المتجدد المتغير المتسارع الأحداث.. ما هو واقع الخطاب الإسلامى الآن فى مطلع القرن الحادى والعشرين.. ما هو الطرح المستقبلى أو الطموح المستقبيلى لهذا الخطاب.. وكيف ينبغى أن يكون ... ما موقفه من الديمقراطية فى السياسة والتعددية والحريات العامة والقومية والطائفية والسلم والحرب.. ما موقفه فى الاجتماع والتربية والمرأة والأسرة والعدالة الاجتماعية.. ما موقفه من العالم الغربى، الحوار أم العداء ؟؟ هذه الأسئلة وغيرها تحاول أن تجيب عنها هذه الورقة بقدر المستطاع.

بإلقاء نظرة فاحصة متأنية على واقع خطاب وأسلوب عمل الحركات الإسلامية المعاصرة تبدو ملامح التطور والتحول بادية داخل أروقة العمل المؤسسى الإسلامى، سواء على صعيد نمط التفكير أو الحراك اليومى.. ذلك أن عملية الاحتكاك بالآخرين والتواصل معهم على أكثر من مستوى أكسب قطاعًا واسعًا فى الوسط الإسلامى خبرات ومهارات نوعية ما كان لهم الظفر بها فى أجواء التقوقع والانغلاق.

(*) باحث بالهيئة العامة للاستعلامات.

فالمحاولات والمساعى لتحسين الأداء، وتطوير أساليب العمل، وتطعيم الرصيد الفكرى والحركى قائمة لا تخطئها العين، وعبر التجارب التى خاضتها الحركات الإسلامية فى السنوات الأخيرة، ومراحل التدرج الطبيعى- وأحيانًا القسرى - التى اجتازتها، تبوأت تلك الحركات موقع التكميل للرصيد الدعوى والتربيو والتطوير للآلات والأساليب، وأصبحت محاضن لتخريج العناصر التنفيذية، ونبوغ فى الأداء المنهجى، وتدريب على مواجهة التحديات.

والمتتبع الراصد لشئون العمل الإسلامى المؤسسى يلحظ نوعًا من التوجه نحو التخصص وإعادة النظر فى إدارة المؤسسات وترتيب الأوضاع الداخلية.

إن الخطاب الإسلامى المعاصر أصبح يقدم رؤى وتصورات أفضل بكثير من مثيلاتها فى العقود الماضية، بحيث انتقل من الجزر إلى المد. وإذا حاولنا أن نستعرض معالم التطور فسوف نلحظه فى مجالات عديدة، لعل من أهمها:

أولا: فقه المشاركة السياسية والديمقراطية:

إذ بالتوازى مع ظاهرة العنف التى تبدت فى بعض الأقطار، والتى هى فى حقيقة الأمر إفراز لعدة ظروف، فى مقدمتها الكبت والقهر السياسى، تنامى بشكل واضح فقه التغيير السلمى والمشاركة الديمقراطية، نجد ذلك فى الفتاوى التى دافعت عن الديمقراطية والتعددية السياسية، وفكرة الأحزاب التى اعتبرها الشيخ يوسف القرضاوى مذاهب فى السياسة، كما أن المذاهب الفقهية المعروفة تعتبر أحزابًا فى الدين.

لقد تجاوز الخطاب الإسلامى المعركة المفتعلة بين الديمقراطية والشورى، وذهب كثيرون إلى أن الديمقراطية مشاركة بالصوت، والشورى مشاركة بالرأى، لذلك فهى درجات من المشاركة، وإذا كانت الشورى هى الأكمل من وجهة النظر الإسلامية، فإن بلوغها لا يمكن أن يتحقق إلا بعد المرور بالديمقراطية.

إن القبـول بفكرة المشاركة الديمقـراطية فتح الأبواب لإغناء فكرة التـحالف مع الآخر حتى رأينا فى تركيـا -مثلا- تحالفًا إسلاميـا علمانيًا، ورأينا فى اليمن مشاركة إسـلامية مع الحزب الاشتراكى الماركسى، وكـانت تلك الأجواء مواتية لإنجاح فكرة «المؤتمر القومى الإسلامى» فى بيروت.

ولا يفوتنا فى هذا السـياق ملاحظة أن الجـماعات الإسـلامية التى اعتـمدت مبدأ المشاركـة السياسية والديمقـراطية، تمتعت بدرجة عالية من المرونة، دفـعتها فى بعض التجارب إلى القبول بصيغ منقوصة للمشاركة الديمقراطية، من قبيل المشاركة النيابية دون تداول السلطة.

وكان طبيـعيًا فى ظل التطور الحاصل فى فـقه المشاركة، أن يستـقر فى الفكر السـياسى الإسـلامى مـبدأ تداول السلـطة، الذى قبل من خـلاله الإسـلاميـون بالاحـتكام إلى الشعب من خـلال الانتـخابات، واعـتبـار رأى الأمة، ممثـلا فى أغلبية الأصوات، القول الفصل الذى يجب الامتثال إليه فى نهاية المطاف.

فى السيـاق ذاته، نلاحظ ما استـقر فى خطاب الباحـثين الإسلامـيين من أن الإسلام فى نظامه السياسى لم يعن بشكل خاص للدولة، خلافه أو إمامة، وإنما عنى بقيم ومبادئ تقوم عليها الدولة، وعلى رأسها الشورى والعدل.

إن حيز السـياسة العملى والسلمـى والعصرى- بناء على ما سـبق- قد أخذ مسـاحة كبيـرة فى اهتمامات الحـركات الإسلاميـة المعاصرة، خلافًـا لما ساد فى فترات تاريخية سابقة.

ثانيا: الموقف من غير المسلمين:

بشكل عام، يمكن القـول إن فكرتى «الذمة» و«الجزية» قد تم تجـاوزهما فى الخطاب الإسلامى الحـالى، فبعـد استقـرار فكرة «المواطنة» لم تعد هناك حـاجة لأن يصبح أحد فى ذمة أحد، ناهيك عن أن المصطلح الذى هو فى الأصل يعنى ذمة الله ورسوله، أسيء استخدامه فى مـراحل الانحطاط العثمانى، حتى أصبح

يقترن بفكرة المواطنة من الدرجة الثانية، وفى ظل استقرار فكرة المواطنة وإقرار مبدأ التساوى فى الحقوق والواجبات، لم تعد مسألة الجزية واردة بأى معيار، خصوصًا أنها ارتبطت بفكرة الدفاع عن غير المسلمين الذين أصبحوا الآن شركاء فى الدفاع عن التراب الوطنى.

أما بالنسبة للولايات العامة، فقد تطورت الرؤية الإسلامية فى صددها إلى حد كبير بفضل اجتهادات نفر من كبار رجال القانون، فى مقدمتهم المستشار طارق البشرى الذى لفت الانتباه إلى أن مفهوم الولايات فى العصر الحديث اختلف تمامًا عنه فى العصور السابقة، حيث كان المتولى - وليًا كان أو وزيرًا- يملك صلاحيات كبيرة فى الاجتهاد والتنفيذ، الأمر الذى كان يسوغ اشتراطات الإسلام فيه.

ولكن حين تطورت القوانين واللوائح، وأصبحت القرارات تخضع للدراسة عبر أوضاع مؤسسية عديدة، فإن دور الفرد تراجع إلى حد كبير، ولم يعد مطلوبًا منه أن يجتهد، حتى الاجتهاد- فى القضاء مثلاً- أصبح يمارس من خلال فريق وليس من خلال فرد، وإزاء ذلك فلم يعد شرط الإسلام ضروريًا، الأمر الذى فتح الأبواب لتولى غير المسلمين مختلف ولايات الدولة الإسلامية، وإعمال مبدأ الكفاءة دون غيره فى تلك الولايات.

وفى صدد الولاية العظمى، أو رئاسة الدولة - نجد اتجاهين، أولهما: يشترط الإسلام فيمن شغل هذا المنصب، باعتبار الرئيس رمزًا للدولة كما هو الحال فى بعض الدول الغربية، إنجلترا والدانمارك مثلاً، أما الثانى فيذهب إلى أن المسألة يجب أن تترك للأمة، فإن اختارت مسلمًا، فهى وذاك ، وإن اختارت غير مسلم، فالرأى رأيها.

ثالثا: دور المرأة ووضعها:

مع ضرورة الاعتراف بأن وطأة التقاليد ما زالت شديدة فى هذا القطاع، إلا أن الانطلاق من مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات، كأصل فى النظر إلى المرأة، يكسب أنصارًا بأعداد متزايدة فى أوساط الإسلاميين.

والنظرة التى تبلورت فى الخطاب الإسلامى الآن يعتبر أن رسالة المرأة تنحصر فى البيت، ومسئوليتها عن رعاية الأسر هى وظيفتها الأولى، وأجل عمل يمكن أن تؤديه، ولكن ذلك لا يحول دون أن تؤدى دورها فى الحياة العامة إذا ما أرادت واستطاعت، وفى بعض الأحوال فإن هذا الدور قد يكون مطلوبًا لتحقيق مصالح عامة أو خاصة.

وباعتبار أن المؤمنين والمؤمنات (بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ طبقًا للنص القرآنى، الأمر الذى يعنى المساواة بين الجنسين فى التكليف، فإن مشاركة المرأة فى الوظائف العامة والانتخابات والمجالس النيابية أصبحت أمرًا مقبولاً ومرحبًا به كقاعدة، أما تولى المرأة للوظائف العليا، فإن الأغلبية تقبل به.

رابعًا: العلاقة مع العالم الخارجى:

لم يعد هناك محل لتقسيم الدنيا إلى دار حرب ودار سلام، واستقر بين الأغلبية الساحقة من الباحثين الإسلاميين المعاصرين معها السفارات، هى دار عهد وأمان، بينما الدول التى تحتل أراضى المسلمين تظل دار حرب، لا يقوم معها عهد أو سلام إلا إذا ردت الحقوق المغتصبة.

فى هذا السياق، برز اتجاه لافت للنظر بين الجاليات الإسلامية فى المجتمعات الغربية، يسعى إلى تأسيس فقه جديد تبلور الآن ببطء، يمكن أن يسمى «فقه الأقلية»، ينطلق من أن الفقه السائد يخاطب الوضع الذى استقر تاريخيًا، ،مثل فيه المسلمون أغلبية بينما غير المسلمين أقلية.

ولكن هذا الوضع طرأ عليه تطور هام خلال العقود الأخيرة، وذلك بعد نزوح أعداد كبيرة من المسلمين إلى العالم الغربى، بحيث أصبحت هناك كيانات أو جيوب إسلامية تعيش فى كنف مجتمعات غير إسلامية، الأمر الذى احتاج إلى تأسيس ذلك الفقه الجديد الذى يحد التكاليف العامة التى يتعين على تلك الأقليات الالتزام بها، وضوابط تعايشهم مع المجتمعات التى يخضعون لقوانينها، ويلتزمون باحترامها.

خامساً: بروز الدور الاجتماعى:

برز دور الحركات الإسلامية المعاصرة فى العديد من تنظيمات المجتمع المدنى، وفى مقدمتها النقابات المهنية والجمعيات الأهلية، وهو ما يعكس اتساع قاعدة التأييد لهذه الحركات بين شرائح الطبقة الوسطى التى تمثلها من ناحية، وارتفاع القدرة التنظيمية لدى كوادر تلك الحركات فى إدارة الحملات الدعائية والانتخابية من ناحية أخرى.. وامتد حضور التيار الإسلامى ليشمل العديد من الاتحادات الطلابية ونوادى أعضاء هيئات التدريس بالجامعات.

وقد أدى هذا الامتزاج بنسيج المجتمع إلى أن ينجح الإسلاميون فى تأسيس شبكة واسعة من المؤسسات الاجتماعية والتربوية والثقافية والصحية، التى تقدم خدماتها لقطاعات عريضة من المواطنين، خاصة فى الأحياء الشعبية والفقيرة والمتوسطة، مجاناً أو بأجور رمزية أو زهيدة... فكان ذلك المجتمع بفئاته المختلفة، وبالتالى إيجاد ارتباط مصلحى بينها وبين القطاعات المستنيرة.

سادساً: الاستفادة من التقنية التكنولوجيا الحديثة:

شكلت وسائل تكونولوجيا الاتصالات والمعلومات بصورة خاصة آلية كبيرة وهامة للتيار الإسلامى، وعبر المدلول الأيديولوجى عن نفسه- من خلال الوسائل الإعلامية- عن أمرين:

١- القدرة على التعبير عن الرأى، ونشر الطرح الأيديولوجى وتفعيل برامج الإسلاميين النظرية فى إطار واقعى.

٢- إمكانية التأثير على الرأى العام، وتكوينه، وبلورته بصدد مشكلات بعينها، وتوجيه الرأى العام تجاه الأحداث المتجددة، والمواقف التى يفرضها الواقع السياسى، مع الأخذ فى الاعتبار ما يمثله الإعلام المقروء والمسموع والمنظور- فى عالمنا المعاصر من قوة ضغط كبرى فى الحياة السياسية والاجتماعية.

وغدت المؤسسات الإعلامية وسيلة قوية لنشر أفكار الحركات الإسلامية وممارسة طموحاتها الفكرية على أرض الواقع، إلى جانب إحداث تقارب بين هذه الحركات والنخب العلمانية والثقافية الأخرى، كما أصبحت محل عمل -غالبًا- لأعضاء الحركات الإسلامية والموالين لها أو المتعاطفين معها، وفوق منطق تولية أهل الثقة، والخبرة أيضًا.

ومن هنا كان اهتمام الحركات الإسلامية بالاستفادة القصوى من شتى الوسائل الإعلامية، التقليدية منها والحديثة، والتى تنوعت ما بين دور النشر والصحف والمجلات والدوريات والقنوات التليفزيونية الفضائية والمحطات الإذاعية والعديد من المواقع على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» وتسخير المعطيات التكنولوجية الحديثة لنشر الفكرة الإسلامية، والترويج لهذه المعطيات بين المنتمين للحركات الإسلامية.

***



بيان الإسماعيلية
فى مواجهة الحملة العالمية
على الأمة الإسلامية(*)

إن رؤساء الجامعات وأساتذتها الذين يجتمعون فى مدينة الإسماعيلية الباسلة إحدى ثغور كنانة الله (جمهورية مصر العربية) وقد هالهم ما يُطلَقُ على الإسلامَ والمسلمين من أباطيل وتُرهات تنطلق من إعلام صهيونى موتور، ومن نفوستحمل ضغائن وعصبية موروثة ضد الإسلام والمسلمين، وذلك من جانب الذَين أزْعجهم أن الإسلام ينتشر بين الناس فى كل يوم ويزداد عدد معتنقيه والمقبيلن عليه، على الرغم من ضراوة المحاولات المبذولة لتشويهه والإساءة عن عمد لقيمه وتعاليمه، عقيدةً وحضارة.

والتزاما بواجب العلماء نحو الأمة فى بيان الحقائق التى لا بد منها، وتبصرة للناس جميعًا بطبيعة هذا الدين، وأثره فى الحياة.

وردًا على حملات التشكيك التى بدأ نطاقها يتسع، وبخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر الماضى، وقيام بعض الأقلام الموتورة فى محيطنا الإسلامى بترديد ما يسىء إلى الإسلام والمسلمين على غير أساس، وبشكل فج.

انطلاقًا من كل ذلك، ووعيًا به، وأداء للواجب، يعلن رؤساءُ الجامعات وأساتذتها فى مناسبة انعقاد المجلس التنفيذى لرابطة الجامعات الإسلامية ما يلبك:

أولا: الإسلام والآخر:

من البديهيات المعروفة أن الإسلام أقرَّ الرسالات الإلهية السابقة عليه، ومن ثم يقررُ مبدأ (عدم الإكراه) فى الدين وهذا المبدأ لم تعرفه أوروبا إلا بعد الثورة

(*) صادر عن المجلس التنفيذى لرابطة الجامعات الإسلامية.

الفرنسية، كمـا أنه يحترم المخالفين ويتعامل معهـم بكل احترام، طالما لم يقوموا بإيذاء المسلمين أو الاعتداء عليهم. وهذا واضح فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ [البـقرة: ٢٥٦]، وفى قوله ـ تعالى ـ : ﴿لا ينهـاكم الله عن الذين لـم يقاتلـوكم فى الدين ولم يُخـرجـوكم من دياركم أن تبـرّوهم وتقـسطوا إليـهم إن الله يحب المقـسطين* إنما يـنهاكـم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة ٨ , ٩].

وقد دعا الإسلامُ المـسلمين إلى الحوار مع غير المسلمين، وفـقًا لأقومِ الطرق فى الحكمة والجـدال بالتى هى أحسن، والانطلاق من مسلمات جـاءت بها كلُ الرسـالات. قال ـ تعـالى ـ : ﴿قل يا أهل الكتـاب تعالوا إلـى كلمة سـواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًـا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مُسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤].

كما أنه نهى المسلمـين عن سبِّ أصحاب العقائد الأخـرى يقـول ـ تعالى ـ : ﴿ولا تسبـوا الذين يدعون من دون الله فيسـبوا الله عدوا بغيـر علم كذلك زينا لكل أمــة عـملهم ثم إلى ربـهم مـرجـعـهـم فـينبـئـهـم بما كـانوا يعــملون﴾ [الأنعام:١٠٨].

ولكى يُعَـمِّقَ الإسلامُ هذا الأدبَ وهذا الحـوار وهذا التفـاعل دعا المسلمـين إلى البحـث عن (الحكمة) مهـما كـان مصدرُهـا، فالحكمة ضـالة المؤمن .. أنى وجدها فـهو أحقُ الناسِ بهـا.. كمـا أنه أمر بتحـصيل العلم النافع مـهمـا كان موطنه، وجاءت التشريعات فيه واضـحةً لتأمين التبادل التجارى، والذى يدخل فـيه التـبادل الثـقـافى.. أخذًا وعطاءً، بـل إن التعـامل التجـارى بين المسلمـين وغـيـرهـم ورد ذكـره فى القـرآن الكـريم على أنه من أسـبــاب الأمن الدولى والجـماعى بمفـهوم حـديث، يقـول ـ سبـحـانه وتعالى ـ : ﴿لإيلاف قـريش *

إيلافهم رحلة الشتاء والصيف* فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [قريش: ١-٤].

فتأمين الطعام والشراب والكسوة، مع التبادل التجارى السليم الذى يقوم على مبادئ احترام الكلمة والوفاء بالعقود- هو من نعم الله على عباده المؤمنين، ويعترف الأوروبيون فى عصور مختلفة بفضل الإسلام والمسلمين على قيام التجارة الدولية على أسس سليمة، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة:١]، كما يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ [البقرة:٢٨٢]. ونجد فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية إطاراً يمثل منظومة كاملة فى المعاملات والقواعد التى تقوم عليها وهى لا تفرقُ بين المسلمين وغيرهم.

ثانياً: الإسلام والتفاعل الحضارى:

تزخر النصوص فى كتاب الله والسنة الشريفة الصحيحة بالمضامين الكريمة التى تُوضح أن الإسلام يحث المسلمين على تعمير الأرض وإصلاحها وينهى عن الإفساد فيها أو هدمها، كما تدعى الحملات المسعورة التى تشوه وجه الإسلام الآن. يقول ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف:٥٦]، كما يقول ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [المائدة:٢]، كما يقول ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ [البقرة: ٦٠]، وينهى ـ سبحانه وتعالى ـ وينددُ بالمفسدين فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٥]. والفساد هنا شامل لتدمير ثروات الشعوب، أو ترويع الآمنين.

وبالتالى فلا صحة على الإطلاق للقول بأن المسلمين «يصادمون الحضارة» ويسعون إلى تدميرها، كما يتنادى بذلك من ينظرون للعلاقة بين الإسلام والحضارة الغربية نظرة صدام. والتاريخ خيرُ شاهد على ما نقول. فهم قد نقلوا عن من سبقهم وعاصرهم من حضارات إبان عصر الترجمة (القرن الثامن الميلادى) فارسية وهندية وإغريقية ورومانية. وهم الذين حفظوا من الضياع التراث الفكرى الإغريقى الرومانى حتى تسلمه منهم علماء أوروبا فى عصر النهضة. وكانت كتابات العلماء المسلمين هى المصدر الرئيسى للحضارة الأوروبية فى عصر النهضة. والدول الإسلامية المعاصرة لم تتردد فى الأخذ بما قدمته الحضارة الغربية من إنجازات فى الوقت الحاضر طالما أنها لا تصادمُ الأصول الحضارية الثابتة فى الإسلام.

ومع ذلك فلا بد من التأكيد على بعض الخلافات فى الطبيعة بين الفكر الإسلامى والفكر المادى العلمانى، فالمسلمون يرون أن الإسلام قد وضع إطارًا عاما للحياة الإنسانية، هذا الإطار يتمثل فى قواعد كلية تترك للعقل البشرى أن يجتهد من خلالها، وقد برع الفقهُ الإسلامى فى التعامل معها دون أن يجعلها قيودًا تمنع الاجتهاد أو تعيق حركة الحياة أو تعادى الآخر كما يزعمون ، ولهذا فلا فصل فى الإسلام بين الدين والحياة من ناحية، كما أن القواعد الكلية فى الدين تُهيمن على حياة المسلمين من ناحية أخرى.

وهذه القواعد فى أغلبها قواعدُ مرنةٌ تسمح للعقل أن ينطلق بلا جموح، وللفكر أن يتألق بلا خروج.

ونظرًا إلى خطورة الاتهام بالجمود والوقوف عند ظاهر النصوص فإننا نكتفى بالقول بما هو معلومٌ من الدين بالضرورة، من أن الإسلام يأمرُ باحترام العقل، ويجعل العلم فريضة على كل مسلم، كما يأمرُ المسلمين باحترام العلوم النافعة، وقد أقام المسلمون تراثهم فى الفقه وَقواعده وأحكامه وأسسوا علم أصول الفقه ليتعرفوا على الأحكام من العلل والحكم والمقاصد التى تقوم

عليها، وذلك إعمالاً لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ [النساء:٨٣]، وقد اعترف بذلك فقهاء القانون الفرنسى وغيرهم، ولعل هذه الخاصية بالذات هى التى جعلت الفقهاء الذين وضعوا النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية يعتبرون الشريعة الإسلامية أحد المذاهب القانونية الرئيسة التى تُطبّقُ على المشكلات الدولية إلى جانب الأنظمة اللاتينية والجرمانية والأنجلوسكسونية.

ثالثا: العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم تقوم على السلام:

إن الأصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلام، وإن تقسيم الديار إلى دار إسلام ودار حرب، هو تقسيمٌ فقهى اهتم بوصف الواقع بعد هجرة المسلمين إلى المدينة، وإخراج أهل مكة للمسلمين من بلدهم والاستيلاء على أموالهم، ومحاولاتهم العديدة مصادرة حرية العقيدة للمسلمين، واجتثاث الإسلام من جذوره، وقتل رسوله، وقد وضع الفقهاء ضوابط واضحة لما يعتبرونه دار حرب. وأخرجوا من مدلول دار الحرب البلاد التى ترتبط بالمسلمين بمعاهدة سلام وأطلقوا على بلادهم دار العهد.

وآيات القرآن الكريم تدعوا المسلمين إلى تفضيل السلام على الحرب، ولا يمكن للمسلم فى ظل التوجيهات والأوامر القرآنية أن يحمل السلاح على الإنسان إلا بحق، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة:١٩٠]. وهذه هى حالة الدفاع الشرعى التى طبقها المسلمون بشرف دائما. المعنى نفسه يتردد من سورة النحل: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦].

ويفضل الإسلام الجنوح إلى السلم، ويكفى أن الرسول قد عاد من مكة فى

صلح الحديبية وترك القتال بعد أن منعه الأعداء من أداء شعيرة من شعائر الله (العمرة)، ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ [الأنفال: ٦١]، ويقول : ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ [النساء: ٩٠].

رابعاً: الإسلام والاعتراف بالرسالات الإلهية والمساواة بين الشعوب:

من مسلمات الإسلام التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله أن الإسلام هو الرسالة الخاتمةُ للرسالات، وأنها موجهةٌ لكل الإنسانية، فقد أرسل الله النبي ﷺ إلى الناس كافة ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [سبأ: ٢٨]، ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة:٢٨٥].

إن التوترات العالمية سببها جاء من جانب من يعتبرون جنسهم هو الأفضل وحضارتهم هي الحضارة الوحيدة التي تستحق البقاء، وذلك بكل (أفكار نهاية التاريخ) وينكرون على الشعوب الأخرى حقهم في الاحتفاظ بخصوصياتهم الحضارية، بل ينفون عن هذه الحضارات وصف الحضارة، وهم يريدون بهذه المقولات أن يفرضوا هيمنتهم على كل الدول والشعوب، ولعلّ هذا المسلك الذي يصادرُ حقوق الآخرين هو - وأسباب أخرى - ما يجعل فئة من المسلمين وغيرهم، يتخذون موقف الدفاع عن مصالحهم وهويتهم ودينهم بكافة الوسائل، بما في ذلك استخدام العنف، وهم بذلك يواجهون مسلكاً خاطئاً بمسلك خاطئ، ويجعلون العالم يندفع إلى مواجهات حروب لا يعلم إلا الله مداها، وتشهد الإنسانية- لهذه الأوضاع- في بداية قرن ميلادي جديد، واقعاً مراً، ممثلا في دماء وأرواح تُزهقُ بدون سبب.

ويؤكد العلماء على أنه يجب على العقلاء من كل الدول أن يُنبهوا الشعوب

إلى المخاطر الجسيمة التى تنجم عن ذلك، وهم يدعون إلى وجوب الرجوع إلى العقل، والجنوح إلى السلم، ووضع أسس للتعاون البناء بين البشرية.

والعلماء يرون أن درس الحرب العالميةً الثانيـة، قد أوجد واقعًا جديدًا يجب أن يسود العالم: أساسـه السلامُ والتشبثُ به، والتعاون بين كـافة الشعوب على أساس المساواة التامة بينها وحقها فى تقرير مصيرها.

وعلماء المسلمـين يرون - من جانبهم - أن هذا التعـاون وهذه المساواة هما اللذان يجب أن يسودا العالم المعاصر.

خامسًا: الإسلام والتعليم:

إن الإسلام منذ بداية الرسالة يؤكد عَلى أهـمية التعليم وأنه واجبٌ على كل إنسان، والآياتُ القرآنية التى تحث على العلم وتدعو إليه كثيرةٌ، قال ـ تعالى ـ : ﴿قل هل يستـوى الذين يعلـمون والـذين لا يعلمـون﴾. وقـد بدأت الرسـالةُ الإسلاميـة بالعلم، فأول الآيات القرآنيـة المنزلة: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ [العلق:١].

والتعليم فى الإسـلام دعوةٌ إلى معرفة الله ومـعرفة الكون ومعـرفة الإنسان، وهو يربى فى الإنسان المسلم الإيمـان بالله، وأهمية اكتـشاف الكون، وضرورة التـعاون بين الإنسـان وأخيـه الإنسان للانتـفاع به وتسـخيـره لخدمـة الإنسانـية جمعـاء، ولهذه الأهمية (الدينية والحـضارية) للعلم.. فإن المناهج التعليـمية فى العالم الإسـلامى- وهذه غايتـها- إنما تعد وسيلة للتعـارف والمعرفة، وتحـقيق سعـادة الإنسانية فى الدارين الدنيا والآخـرة وتحقق الصلة المثلى للإنسان بأخـيه الإنسان.

والعالم الإسـلامى من خلال مؤسـساته التعليـمية حريـصٌ على هويته التى تدعم السـلام الإنسانى، وتدعو إلـيه، وتحمـيه، وهى تسـتهدف أن يـحمل هذه

القيم كل الأجيال من أبنائها ليكونوا حماة لأمتهم دعاة فى دنيا الناس، وليس فى مناهج الجامعات الإسلامية إلا العلوم والمعارف الشرعيةُ والدنيوية التى تؤكد هذه المعانى، وتجعل واجبًا على كل مسلم احترام الآخرين، والاستفادة من خبراتهم فى مجالات العلم والحضارة.

ومن هنا فإن رابطة الجامعات الإسلامية تقف مع قادة الأمة الإسلامية فى دفاعهم عن أصالة التعليم الإسلامى وأثره فى إعداد المسلم الذى يحقق التوازن الذى ينشر قيم الحق والخير والسلام، كما أن الرابطة تقف معهم فى دفاعهم عن حضارة أمتهم وما أسهمت به فى بناء الحضارة العالمية للمسلمين وغير المسلمين.

سادساً: وضع الأقليات فى البلاد الإسلامية:

إن الأقليات فى البلاد الإسلامية لها حقوقُ المواطنة كاملة، وهى عبر تاريخ الإسلام الطويل، جزء من نسيج الأمة له أثره فى بناء حضارته، وللإسلام أحكامه فى حماية معتقداتهم، وفق معيار العدالة التى لا يحيد عنها تشريع الإسلام، ومن هذا المنطلق فإن احترام حقوق الأقليات أنشأ مساواة فعلية فى التنظير والتطبيق، انطلاقا من قاعدة فقهية مصدرها حديث شريف «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ولا يتوقف ذلك على الحق أمام القضاء، بل إن لهم حقوقهم السياسية، وقد رصد لنا المؤرخون أسماء وأعدادًا من غير المسلمين تولوا مناصب وزارية وشغلوا مواقع سياسية مهمة، أما حياتهم الدينية والفكرية فهى من شأنهم - قناعة وإيمانا- لأن الإسلام دين التسامح.

ويهيبُ أعضاء رابطة الجامعات الإسلامية بالدول غير الإسلامية التى توجد فيها أقلياتٌ إسلامية وبخاصة دولُ أوروبا وأمريكا، أن تعامل الأقليات المسلمة

الموجودة فيها وفقًا لحقوق المواطنة والإقامة التى أقرتها المواثيقُ الدوليةُ وقوانينُ حقوق الإنسان إعلاء لقيم العدل التى جاءت بها الرسالات الإلهية وأقرتها المواثيق الدولية.

وأعضاء الرابطة يُعربون عن أسفهم لتلك الحوادث التى تعرض لها المسلمون الأبرياء فى بعض البلدان الأوروبية والأمريكية عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

سابعًا: الإسلام وتحقيق العدالة فى قضية فلسطين بخاصة، وفى العلاقات الدولية عامة:

ينبه العلماء إلى أن تجاهل العدالة فى حل المشكلات، وإملاء القوة والاستعلاء على الجانب الضعيف فى العلاقات الدولية، هو من الأسباب الرئيسية لضعف الحلول التى تقدم للمشكلات، ولهشاشة النظام الدولى الآن، إذ يضطر المغلوب المقهور لاستخدام كافة الوسائل للتخلص من القيود الظالمة التى تفرض عليه. ويدعون المجتمع الدولى إلى نبذ العنف وإلى إرساء الحلول على أساس مبادئ العدالة، ومنع الظلم فى العلاقات الدولية.

ومن ناحية الإسلام فإنه يأمر أتباعه بالعدل مع الأعداء، كما يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [المائدة: ٢].

ويُعَدُّ عدمُ حل القضية الفلسطينية على أساس عادل يردُّ للشعب الفلسطينى حقوقه نقطة مأساوية دامية بشكل متصل فى العلاقات الدولية، وستظل بذرة للصراع والعنف إذا لم يتم حلها، وكذلك الحال بالنسبة للنزاع فى كشمير وفى الفلبين، وفى مختلف المناطق المتوترة فى العالم.

وإننا ندعو الشعوب الإسلامية إلى أن تتحد فى مواجهة أخطارها، وأن تعلم أن بقاءها رهن كونها تحت راية إسلامها، وتعلم أيضًا أن إسلامها نعمةٌ ينبغى أن تصان، ومنة توجب الشكر كما قال الخالق فى محكم التنزيل: ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ [الحجرات: ١٧].

وأخيرًا.. فإن علماء المسلمين إذ يتقدمون بهذا البيان إلى الناس كافة، يحدوهم الأمل فى أن يحدث هذا البيان لهم ذكرًا، وأن ينبه إلى ما ينبغى أن يقوموا به لمواجهة هذه الأخطار التى لا تُهدد المسلمين وحدهم، بل تهدد البشرية كلها.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

***

القسم الإنجليزى

In the Name of Allah, the Compassionate the Merciful

The presidents and professors of the Islamic universities, who are meeting today at the gallant city of Ismailiyah, on the main sea ports of Arab Republic of Egypt, to issue a declaration on confrontation of the campaign on the Islamic community, were really astonished by the allegation falsely linked to Islam and Muslims by malicious Zionist mass media, whose circles were disturbed by the fact that Islam is spreading fast, and that its new converts are increasing day by day, despite the vicious attempts made deliberatelyta to distort and defame its image, principles and civilization.

Therefore, in compliance with the duty of Ulama in elucidating essential facts, enlightening people with nature of this religion and its impact on life.

In response to the wide spread skepticism campaigns currently being Launched against Islam and Muslims, especially at the wake of 11 September 2001 incidents, followed by misleading articles of journalists in the Muslim world, repeating knowing Lyor unknowingly, and without base, what defamed and harmed Islam;

Based on what mentioned above, and in performance of their duty the presidents and

professors of the Islamic universities, declare, on the occasion of holding the meeting of the Executive Council of the League of the Islamic Universities, the following:

1: Islam and the other religions

Needless to say that Islam recognizes other heavenly religions revealed before it. More important that Islam recognizes that no compulsion in religion, a principle not known by Europe only after the advent of the French revolution. Moreover, Islam respects those who disagree with its tenets, treat them with due reverence, as long as they distance themselves from whatever harms or harasses Muslims. This is clear in the following (Let there be no compulsion in religion: Truth stands out clear from error) Qur'an, Ch, 2, vrse. 256., and (Allah forbids you not, with regard to those who fight, you not for {your} faith nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justly with them: For Allah loveth those who are just. Allah only forbids you, with regard to those who fight you for {your} faith. Drive you out of your homes, and support {others} in driving you out, from turning to them {for friendship and

protection}. It is such as turn to them {in these circumstance}, that do wrong) Qur'an, ch, 60, vrse.8-9.

Furthermore, Islam has encouraged Muslims to make dialogue with non-Muslims, in accordance to the best way and argue with them with wisdom and good exhortation. However, such dialogue and argument should be based on things taken for granted and conveyed by all revealed religions as confirmed by the following (Say: " O People of the Book! Come to common terms as between us and you: that we worship none but Allah; that we associate no partner with Him;that we erect not, from among ourselves, lords and patrons other than Allah. If then they turn back, say ye: "Bear witness that we {at least} are Muslims" {bowing to Allah's will}) Qura'n, Ch. 3, Vrse. 65.

In showing respect to non - Muslims Islam forbade Muslims from cursing or using bad language against non-Muslims. This is clearly underlined by the following (Revile not ye those whom they call upon besides Allah, lest they out of spite revile Allah in their ignorance. Thus have we made alluring to each people its own doings. In the end will they return to their lord

and He shall then tell them the truth of all that they did) Qur'an, Ch. 6, Vrs. 108.

To inculcate the discipline of dialogue, argument, and interaction in the minds of Muslims, Islam has invited them to take advantage of wisdom, irrespective of its source. For, wisdom is a thing always be sought by a Muslim individual, who should take it whenever he finds it, because he deserves it more than any other one Furthermore, Islam has urged Muslims to acquire useful knowledge, irrespective of its source and its place. This is confirmed by Islamic legislature, with a view to secure safe and active commercial exchange,- giving and taking- which includes of course cultural exchange. Such commercial exchange has been reiterated in the Qura'n as the main causes of the modern, collective and international security as emphasized by the following (For the familiarity of the Quraish, their familiarity with the journeys, bywinter and summer, let them worship the Lord of this House, who provides them with food against hunger, and with security against fear (of danger). Qura'n, ch. 106, vrss 1-4.

Therefore, the availability of abundant food and suitable shelter as well as securing of safe commercial exchange, which respects honouring of words, promises, and covenants, are indeed valuable blessings from Allah to His believing servants. Moreover, European throughout history recognized the role played by Islam and Muslims in the development and flourishing of the international trade on appropriate base. Allah says in this connection the following (O ye who believe! Fulfil {all} obligations) Qura'n, ch. 5, Ves 1, and (Oye who believe! When ye deal with each other, in transactions involving future obligations in a fixed period of time, reduce them to writing) Qur'an, ch, 2, vrs 282. Likewise, we find in the Holy Qura'n and Sunnah a general framework, which represents comprehensive aspects of transactions and the principles that govern them, and which do not discriminate against non-Muslims.

2: Islam and the interaction with Civilizations

There are many Qura'nic verses and prophetic Hadiths that encourage Muslims to inhabit and reform the earth; to prevent destruction and corruption thereupon, to

cooperate with all people in good deeds for the sake of mankind as a whole, and denounce those, who promote the spread of corruption on earth. Hence, such commandments refute the unjust claims highlighted by the vigorous campaigns, launched purposely to distort the beautiful image of Islam. These orders are substantiated by the following (Do not mischief on the earth, after it hath been set in order, but call on him with fear and longing {in your hearts}: For the mercy of Allah is {always} near to those who do good) Qur'an, ch. 7, vrs 56, (Help ye one another in righteousness and piety, but help ye not one another in sin and rancour: fear Allah: for Allah is strict in punishment) Qura'n, ch. 5, vrs 2.., (And do no evil nor mischief on the {face of the} earth), Qur'an, ch, 2, Vrs 60, and (When he turns his back, his aim everywhere is to spread mischief through the earth and destroy crops and progeny. But Allah loveth not mischief) Qura'n, ch. 2, vrs 205.. Moreover, the mischief referred to in the last Qura'nic verse is general and includes destruction of resources, killing of innocent people and terrifying those who enjoy peace.

Therefore, we have to confirm here that it is not true at all to say that Muslims always conflict civilization and seek to destroy it, as claimed by those who look at Islam and western civilization as always standing at variance. Furthermore, history is the best witness to what we say. During the eighth century, (the translation age) Muslims translated into Arabic several useful books of their contemporary scholars belonging to various civilizations, such as Persian, Indian, Greek and Roman. Hence they preserved from loss the intellectual heritage of Greeks and Romans, till it was received from them by the European intellectuals of the renaissance age. Moreover, the writings of Muslim scholars were in fact the main source of the European civilization during renaissance era. Contemporary Muslim countries showed no hesitation in taking from the production of western civilization in various fields, especially at this age, which is characterized by the advanced western technology, since such production does not virtually contradict with the firmly established values and principles of Islamic civilization.

However, it is essential to underline the differences between the Islamic thought and the secular one. Muslims believe that Islam has developed for human life overall framework, which is represented in general principles that allow people to use their intellects on the domain of these principles. Furthermore, Islamic jurisprudence (Fiqh) has dealt with these principles in an excellent way, but without employing them as restrictions that neither prevent interpretation judgement nor impede the smooth movement of life affairs or antagonize the other party as they falsely claim. Therefore in Islam there is no separation between religion and life, and that the comprehensive principles in religion dominate all aspects of the Muslims life. Likewise, most of these principles are elastic enough to allow the intellect to employ its faculties without exaggeration or limit, and give the thought the chance to prosper and flourish without promoting immorality.

Since it is dangerous to accuse Islam with stagnation, we suffice ourselves with saying what is necessarily known from religion, that Islam

commands Muslims to respect both intellect and useful knowledge, making it incumbent upon every Muslim to acquire knowledge. Therefore, Muslims have established their heritage of legislature on Fiqh"jurisprudence", its principles and rulings, and developed philology of Figh foundation, to help them derive rules from the causes, wisdom and objectives upon which they are based, in pursuance of the following (When there comes to them some matter touching {public} safety or fear, they divulge it. If they had only referred it to the Messenger or to those charged with authority among them, the proper investigators would have known it from them {direct}. Were it not for the grace and mercy of Allah unto you, all but a few of you would have followed Satan) Qur'an, Ch. 4, vrs 83. The Frenchd Jurists and Law ex perts have recognised such Islamic Fiqh legacy. This specific characteristic might have made the law jurists, who had promulgated the constitution of the International Court of Justice, to consider Islamic Shariah as one of the main schools of law, which can be applied to the solutions of the international disputes, besides Latin, Saxon, Germanic and Anglo-Saxon laws.

3 : Peace and International Relations between Muslims and non-Muslims

International relations between Muslims and non-Muslims should basically be founded upon peace. However, division of territories into Darul Salam (peace) and Darul Harab {war} was a juristic one, because it was a classification that gave much attention to the mere description of the situation prevailed at the wake of the emigration of Muslims to Madinah after they had been expelled from their homeland, Makkah, and their properties were confiscated, together with the many attempts of the infidels to restrict their freedom of practising their religion, uproot Islam, and even kill Prophet Muhammad, himself. Moreover, Muslim jurists have laid down clear principles that govern what they considered Darul Harab, a concept from which they excluded the countries that were related to Muslims with peace treaties, calling such countries Darul al-Ahd (convenant).

Moreover, there are many Qura'nic verses that urge Muslims to prefer peace to war. Thus, a Muslim in dividual, under such conspicuous directives, can not take arms in the face of his

fellow man, unless to repel an attack upon himself, a case of legitimate self defence, which Muslims always applied honourably. This notion is confirmed by the following (Fiqht in the cause of Allah those who fight you, but do not transgress limits; for Allah loveth not transgressors), Quran, ch 2, vrs 190, and (And if ye punish, let your punishment be proportionte to the wrong that has been done to you) Qura'n ch. 16, vrs 126. Likewise, Islam always prefers that Muslims should incline to peace if their foes showed such tendency. Indeed it suffices us to say that Prophet Muhammad returned from Makkah, after Hodaibibyyah reconciliation, abandoning fighting infidels, despite the fact that he was prevented by his arc enemies from performing Umrah, one the rituals of Allah. This attitude is confirmed by the following (But if the enemy incline towards peace, do thou {also} incline towards, and trust in Allah: for he is the one that heareth and knoweth {all things} Qura'n, Ch, 8, Vrs 61, and (Therefore if they withdraw from you but fight you not, and (instead) send you {guarantees of} peace, then Allah hath opened no way for you {to wage war against them} Qura'n, Ch, 4, Vrs 90.

4: Islam, the recognition of Heavenly Revealed Religions, and the Equality among Peoples

One of the undisputed facts mentioned in the Holy Qura'n and the Sunnah of the Prophet is that the Message of Islam is the last of all Messages and that it is directed to all mankind, for Allah Almighty has sent the Messenger (PBUH)- to all people {We have not sent thee but as a (Messenger) to all mankind, giving them glad tidings, and warning them (Against sin), but most of them know not}, (Qurain, ch 34, Vrs: 28), and He (SWT) says: {The Messenger beliveth in what hath been revealed to him from his Lord, as do the men of faith, each one (of them) believeth in Allah, his angles, His books, and His Messengers, "We make no distinction (they say) between one and another of His Messengers". And they say: "We hear and we obey: (we seek) they forgiveness, Our Lord, and to thee is the end of all journeys,"} (Ch 2, Vrs: 285).

Unfortunately, most of the universal disputes are caused by certain individuals, who ignorantly consider their race the best, and their culture the only one that deserves to remain

flourishing. In their attempts to dictate their hegemony on all nations and peoples, such individuals do not only deprive other people of their right to preserve their own cultural characteristics but they also strip the cultures of those people of even being described as such. This peculiar approach, may, among other things, eventually lead to the confiscation of the rights of others, the fact that encouraged a praticular group of both Muslims and non-Muslims, to adopt an attitude of their own in defending their interests, identities and religions, by all means, including resorting to violence. Of course, in this case they confront a mistaken approach with another mistaken one, and drage the world into unfortunate disputes and hostilities, whose magnitude is known by no one save Allah. Due to theses regretful circumstances, prevailing at the beginning of a new century, mankind has witnessed an extremely painful reality, manifested in blood that is shed and souls that are terminated without any reason.

Scholars affirm that the sagacious individuals in each nation should alert people against the grave dangers, which might

consequently result from adopting such type of attitude. They call such individuals to the necessity of resorting to reason, and inclining to peace in the resolution of disputes if other party convinced with it, as well as seeking to lay down the firm foundation for constructive cooperation among mankind. Scholars are of the opinion that the useful lesson of the Second World War has created a new situation that must dominate the world, based on peace and cooperation among all peoples, and characterized by equality and the right of self-determination. Muslim scholars- from their side- always adopt a view that such type of cooperation and equality should dominate our contemporary world.

5: Islam and the Education

Since the beginning of its revelation, Islam has both confirmed the importance of education and the fact that knowledge was an incumbent duty upon every individual Muslim. There are many verses in the Holy Qur'an that urge people to acquire knowledge. They include the following {Say: "Are those equal, those who know and those who do not know?" It is those who are

endued with understanding that receive admonition.} (Ch 39, vrs:9). The Islamic Message itself has started with learning. The first revealed verse is: {Proclaim! (or Read!)In the name of the Lord and Cherisher, who created-} (Ch. 96, Vrs:1).

Education in Islam is a call for knowing Allah, the universe and man. Through education the individual Muslim learns his belief in Allah, appreciates the importance of discovering the universe and the necessity of cooperation among people for the benefit and service of all mankind. Because of this (religious and cultural) importance of learning, the educational curricula in the Muslim World are considered means of acquaintance and knowledge, which are basically intended to achieve happiness for mankind both in this world and in the hereafter and to foster the ideal relationship among individuals.

The Islamic World, Represented in its educational institutions, attempts to keenly and seriously preserve its identity, which supports, protects and promotes peace among individuals. Those institutions aim at encouraging the coming generations to adopt those values, in order to protect their Ummah and spread

Da'wah among other nations. In fact the curricual of the Islamic universities include nothing other than religious and secular sciences that affirm those meanings which urge every Muslim individual to respect other people and attempt to take advantage of their experiences in the fields of education, culture and technology.

Therefore, the League of Islamic Universities stand firmly by the leaders of the Islamic Ummah in their defense of the originality of the Islamic education and its impact on the qualification of the individual Muslim, in a manner that achieves the equilibrium which helps in promoting the values of welfare, and peace. Moreover the Muslim World League (Rabita) stands by them in their defense of the civilization of their Ummah, which made positive contribution in civilization at large.

6: Status of Minorities in Muslim Countries

Muslim minorities in Muslim majority countries have enjoyed their full citizenship rights. Throughout the long history of Islam these minorities had been part and parcel of the

fabric of the Ummah, contributing its due share in the enrichment of Ummah civilization. Moreover, Islam has its rules in protecting the tenets of those minorities, on the light of the justice criterion, strictly observed by the Islamic legislation. Based on the observance of such rules on notices that the respect of minority rights had created a real equality in both theory and practice, in pursuance of an Islamic Fiqh principles, derived from the folowing Hadith of Prophet Mohammad (We and they must enjoy equal rights and shoulder the same responsibilities). Such rights were not confined only to their right of equality before judicature, but extends to safeguard political ones as well. Fortunately, historians numerated the names of many non-Muslims, who assumed the posts of ministers as well as other significant political ones in the Muslim majority countries. Since Islam is a religion of tolerance, the members of those minorities are always permitted to practice freely their religious rituals and intellectual activities in the manner, restricted by nothing other than their own faith and persuasion.

Therefore, the members of the League of the Islamic Universities call upon Non-Muslim

countries, especially in America and Europe, to kindly treat Muslim communities, living with them, by keenly observing their rights of citizenship and residence as endorsed by international charters and human rights legislature, with a view to promote the principles of justice, which were convened to us by heavenly messages and approved by international laws. however, the members of the League of the Islamic Universities express their profound regret to the unfortunate harassment and inconveniences to which innocent Muslims in American and European countries have been exposed at the wake of 11 September 2001 incidents.

Seven: Islam and the Achievement of Justice in International Relations in General and in Palestinian Issue in Particular

Scholars always draw the attention of people to the fact that ignoring justice in the solution of problems as well as imposition of force on the weaker party in international relations, are seen as the main reason behind the ineffectiveness of solutions and the fragility of the present world order. Such situation always tempts the

conquered and suppressed to employ all means available to them to get rid of the unjust restrictions, unfairly imposed upon them. However, scholars call upon international community to give up practicing violence, with a view to proposing solutions based on justice, and preventing injustice overshadowing international relations.

Moreover, Islam commands Muslims to be just with their foes, in pursuance to the following (Help ye one another in righteousness and piety, but help ye not one another in sin and rancour: fear Allah: for Allah is strict in punishment) Qur'an, Cha. 4, Vrs, 2. However, we consider that the failure to find out a just solution for the Palestinian issue, in a manner that resorts to the Palestinian people their legitimate and alienable rights, is indeed a black tragic point on the arena of international relations. Unless solved justly, this issue will continue to be the seed of conflict. Likewise, the same notion applies to the cases of the armed conflicts in Kashmir, Philippines and other war-torn parts of the world.

Therefore, we call upon all Islamic people to bury their hatchets, unite their ranks so as to confront the perils they face, especially if we

considered the fact that their very existence is associated with living under the umbrella of Islam. Moreover, Muslim peoples need to be reminded that Islam is a blessing, which should be thanked and maintained. Allah Almighty says (They impress on thee as a favour that they have embraced Islam. Say, "Count not your Islam as a favour uop me: Nay, Allah has conferred a favour upon you that He guided you to the Faith, if ye be true and sincere". Quran, Ch 49, Ves. 17.

Finally, the Muslim scholars, who declare this statement to all people, cherish the hope that it will serve as reminder to what they should do to seriously combat the imminent dangers, which will not threaten only Muslims but the whole mankind as well..

Allah Almighty is behind what we intend and He guides us to the straight way.

***

Ismaeiliyyah Declaration
on Confrontation
Of
the universal Campaign on the Islamic
Community

Issued by

The Executive Council of the Islamic
Universities League

Convened at Suez Canal University, Egypt

Between 14-16 Dul Qaedah 1422H,
Corresponding to 29-31 January 2002